الرد المتأني

على المدعو سيد القمني

تأليف

إسماعيل مرسي

وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا

الكهف 28

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين؛ والصلاة والسلام؛ على أشرف المرسلين؛ وخاتم النبيين؛ وعلى آله وصحبه الأطهار الطيبين؛ وعلى من اهتدى بهديه بإحسان إلى يوم الدين ثم أما بعد:

ما أن بزغ نور الإسلام في أرض الحجاز الجاهلية إلا وطعن فيه وفي نبيه صلى الله عليه وسلم من طعن؛ فقالوا عنه ساحر وقالوا عنه كاهن وقالوا مجنون وقالوا كاذب؛ بعد أن كانوا يسمونه بالأمين ويسيموه بالصادق؛ وقالوا علمه بشر؛ قالوا عنه وطعنوا فيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا من اتبعه وحاولوا قتله وقتلهم؛ وأخرجوه هو ومن آمن معه من بلدهم واستولوا على بيوتهم وأموالهم ومن استطاعوا قتله منهم قتلوه ولا دية له ولا ثمن.

أبى الكفار من قريش وغيرها من قبائل العرب وغيرهم من أهل الكتاب إلا أن يطفئوا نور الله؛ وأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون؛ فنصر نبيه ومن آمن معه؛ وجعل كلمتهم هي العليا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى؛ وانتشر نور الدين والعلم فكشف سحائب الجهل والظلام، واستقرت الدولة المسلمة وقويت وسطت على كافة الحضارات القديمة من الشرق الفارسي إلى الشمال والغرب الرومي بنور الدين وعظيم الأخلاق فكانت دولة الإسلام من المحيط إلى المحيط لا تغيب عنها الشمس.

وبعد مائة أو يزيد من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر المتكلمة وأهل الإعتزال وعادوا ليطعنوا في دين الله بعقولهم فقالوا ما نراه بعقولنا حسن فهو عند الله حسن؛ وما نراه قبيح فهو بلاشك عند الله قبيح، وقاسوا أنفسهم بخالقهم، وقاسوا ربهم بأنفسهم وقدموا العقل على النقل هكذا، وردوا قطعي الثبوت والدلالة من كلام الله وصحيح كلام رسوله لهوى نفوسهم وحجة منطقهم وحلاوة فلسفتهم؛ ودارت المعارك الفكرية الشرسة الطاحنة بين هؤلاء وبين المحافظين من أهل الفقه والحديث؛ وكانت تلك المعارك تتأرجح بين علو وهبوط تبعا لفكر الحاكم نفسه؛ فمن كان الحاكم وفكره من بين صفوف فريقه كان هو الظاهر الغالب.

ولكن لله رجال وجنود يزودون عن دين الله بكل غالي وثمين؛ وهاهو إمام أهل الحديث أحمد ابن حنبل يجلد بالسياط ويعذب وينكل به وهو ثابت راسخ كالجبل يصرخ في الحاكم والمعتزلة وأهل الكلام القائلين بخلق القرآن: القرآن كلام الله ولا أزيد.. وعلى هذا سار تاريخ الإسلام فكان كالحبل وعلى كل طرف من أطرافه وقف فريق يشد الحبل إلى إتجاهه الذي يريد فهذا محافظ تقليدي متشدد؛ وهذا محدث متحلل؛ وكل فريق منهما يطعن في الآخر والناظر يظن أن هذا عيب في الإسلام والمتعمق الفاهم يعلم أن الإسلام لا عيب فيه بل العيب في بعض من اتبعه؛ فالإسلام ميزان نزن به وعليه وليس هو الموزون.

على أية حال هذا هو ما قدره الله تعالى صاحب المنظومة الكونية من أولها إلى آخرها من عاليها إلى سافلها وهو الذي قال في آخر كتاب يتحدث فيه إلى أهل الدنيا: {وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُون} **النحل93.**

ومن هنا جاءت علاقتي بالسيد سيد القمني؛ فعلاقتي به هي علاقة فكرية أولا وأخيرا تتلخص في علاقة قاريء بكاتب وبمفكر في طارح أفكار؛ ومن أول سطر قرأته له ومن أول فكرة ذهلت أمام كم هذه العداوة الكامنة والحقد والبغض الغير دفين لدى القمني لكل ما هو عربي ولكل ما هو إسلامي!!

وياليت الأمر تلخص في هذا؛ لأنه لو كان لكان هذا رأيه ولكانت هذه حرية لا نلومه عليها، ولكن الأمر هو أن القمني بدافع من هذا الحقد والبغض يحاول أن ينقض ما يحقد ويبغض ونقصد بذلك العرب ولغتهم ودينهم الأول الذي هو الإسلام؛ مما قد يدفعنا إلى هذا السؤال المباشر: ما سر هذا الحقد والبغض؟

بصراحة هذا لا يهمنا في شيء، فالذي بيننا وبين الرجل لا يزيد عن سطور كتبها وفكر طرحه أراد مشاركة القراء به وعليه فنحن نشاركه فكرنا بدورنا علّه يرجع عن خطأ أقر به؛ أو لعلّه يهتم فيرجعنا عن خطأ لا نعرفه فنقر به..

هذا وإن كنا نعلم مسبقا رأي القمني فينا وفي كل مجتمعنا؛ فالرجل يرانا كلنا مختلين العقل وعنصريين قبليين همجيين متخلفين؛ حتى أنه طالب بالحجر علينا؛ **فهو يقول:** إن القانون يحجر على المختل ووطننا كله مختل وعقلنا يا سيدي مختل وحياتنا كلها طائفية عنصرية قبلية همجية متخلفة.**(أهل الدين والديموقراطية. ص 220. ط1. دار مصر المحروسة)** وكذلك الرجل يرى أن أكبر أسباب تخلف أمتنا هو المحجبات! **نعم فهو يرى أنه:** كلما ازداد عدد المحجبات في بلادنا، ازداد تخلفنا وضعفنا وهواننا.. **(المرجع السابق. ص13)** ولم أتعجب كثيرا عندما علمت أن آخر مشاريع القمني العلمية هو إعادة ترتيب وتطوير القرآن الكريم!!!! نعم فالقمني يريد إعادة ترتيب آيات المصحف؛ وإعادة ترتيب سوره؛ وحذف الآيات التي انتهت أحكامها مثل الآيات المذكور فيها أحكام الرق والعتق وغيرها من الآيات التي لم تعد تصلح لعصرنا المدني الحديث وفقا لفكره!! **يقول القمني:** التناقضات الناشئة عن طريقة جمع المصحف العثماني التي لم تراع في تصنيفها وتبويبها قواعد التصنيف والتبويب المعروفة، كأن تجمع آيات التعبد معا والتشريعات معا وعلى الترتيب الزمني والقصص الوعظي معا وقوانين الأخلاق معا، بل إنها لم تراع الترتيب الزمني للآيات وارتباطها بأحداث الواقع وهي سمة فارقة تميز الإسلام عن بقية الأديان.. **فسأله الصحفي المحاور بمنتهى الوقاحة:** لماذا لا يقوم عالم مسلم فدائي بترتيب آيات القرآن حسب تاريخ نزولها ومعها هامش بأسباب النزول؟ **فأجابه بوقاحة أكبر:** ربما لأن هذا العالم الفدائي غير موجود.**(المرجع السابق -حوار صحفي- ص 291)** بل ويرى الرجل أن بعض القرآن لم يثبت بل وضاع؛ فيقول عن رجال

الدين -السدنة أو الكهنة كما يفضل أن يسميهم-: فلا يعترفون بهذا الضياع الذي حدث -الآيات الضائعة- ويأخذون بأحكام السنة بدلا مما ضاع ويصرون على حكم رجم الزاني المحصن، وحتى يتم تبرير تفعيل حكم دون نص..**(المرجع السابق. ص292)**

والمسألة هي مسألة عقيدة مختلة لدى هذا الرجل وهو أمر خطير؛ فإن كان الابتداع في غير العقيدة مأمون الخطر، فهو في العقيدة غير مأمون، ورحم الله أبا حنيفة إذ قال-وقد سئل لماذا تركت علم الكلام إلى الفقه-: إن الخطأ في العقيدة يرمي صاحبه بالكفر، أما الخطأ في الفقه إن صاحبه يرمي بالمخالفة.

على أية حال فما قرأناه للقمني به الأكثر والمزيد. وفي كتابنا أو طرحنا هذا سنحاوره على الأوراق من خلال ثلاث محطات هي:

المحطة الأولى: القمني وشبهات حول الإسلام.

المحطة الثانية: القمني والحزب الهاشمي.

المحطة الثالثة: القمني وحروب دولة الرسول.

وأخيرا أريد أن أؤكد على أن الفكر طالما هو فكر فلا يدفع إلا بما هو فقط فكر؛ فالناس بأجسادهم يرحلون وبأفكارهم يخلدون..

إسماعيل مرسي أحمد

الإسكندرية في 2011/10/24

المحطة الأولى

القمني وشبهات حول الإسلام

عندما يتعرض المستشرقين للدين الإسلامي فغالبا ما يتخذون باب الهجوم وإثارة الشبهات؛ وعندها لا جرم يتصدى لهم علماء الاسلام بالرد والشرح والتبيان غير شاعرين بغضاضة في هذا الدفاع المقدس، ولكن عندما يتعرض علماء الاسلام وغيرهم من المهتمين لحال الدين وأهله لشبهات يثيرها من ينتسب إلى الإسلام فعندها لابد وأن يشعر المدافع منهم عن الإسلام بغصة ومرارة لأن هذا المثير للفتن والشبهات هو ظاهريا ينتسب إلى الملة معتقدا بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ولكنه غفل عن شرط مهم وعظيم من أركان الإسلام وهو الإيمان والتسليم بما يقول ويعتقد. أقول إنها لمرارة وكآبة أن ترد على من يطعن في الدين وبنيانه من أهل الدين أو من ينسبون أنفسهم إلى أهل الصلاة. ولا أخفي عنكم هذا الشعور بالكآبة والمرارة وأنا أتابع ما سطره القمني ونثره بين سطوره وألفاظه وأفكاره؛ حتى أنني لم أستطع منع نفسي في كثير من المرات من تخيل هذا الكاتب وشخصه والإنصراف عما كتب؛ وهذا الذي أعتبره غير موضوعي لكل من يتعرض بالنقد الموضوعي لمفكر؛ فالمهم السطور وما تحويه؛ ليس المهم الكاتب؛ ليس مهم أبدا؛ فالناس يرحلون وتبقى أفكارهم في العقول وما سطرته يمينهم في الكتب. وصعب أن تبحث عن الحقيقة كما هي حقيقة، وسهل أن تبحث عما يؤيد ما تظن أنه هو الحقيقة؛ ومن هنا كان القمني يتجه في كل ما كتب إلى أفكار مسبقة اعتنقها وأحاط عقله بها فصار لا يرى إلا ما أحاط نفسه به ضائق الأفق بما خلف هذه الأفكار والأهداف والأسوار؛ قاصر النظر إلا عما بين يدي عقله وفكره وما يطمح إليه؛ ولكي لا أنقل إليك قارئي الكريم قبسا من تلك الكآبات التي أعانيها مما قرأته للقمني أكتفي أن أنقل إليك قبسا بما أثاره من شبهات حول الإسلام..

القمني والقرآن

أعتقد أن قارئي الكريم قد شاركني عدم المفاجأة عندما علم معي أن القمني ينظر نظرة مختلة إلى القرآن الكريم الذي تعهد الله تعالى بحفظه؛ فقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون} **الحجر9**. ولكن عند القمني كالعادة الخبر الآخر؛ فالرجل يرى أن هذا القرآن لم يرتبت ترتيبا صحيحا؛ والرجل قد يتبرع لنا بجزء من وقته ليعيد ترتيبه من جديد آيات وسور؛ فيذهب الرجل منّا إلى المكتبة ليطلب بالإسم مصحف سيدنا القمني!!! **يقول القمني**: التناقضات الناشئة عن طريقة جمع المصحف العثماني التي لم تراع في تصنيفها وتبويبها قواعد التصنيف والتبويب المعروفة، كأن تجمع آيات التعبد معا والتشريعات معا وعلى الترتيب الزمني والقصص الوعظي معا وقوانين الأخلاق معا، بل إنها لم تراع الترتيب الزمني للآيات وارتباطها بأحداث الواقع وهي سمة فارقة تميز الإسلام عن بقية الأديان.. **(أهل الدين والديمقراطية. ص 291)**

جهل الرجل أن ترتيب المصحف على هذا الشكل الذي بين أيدينا اليوم هو أمر توقيفي أي من عند الله تعالى لا يملك لا ملك ولا رسول ولا صحابي أن يتدخل فيه وإلا كان الله تعالى لم يحفظ كتابه. **وللتأصيل العلمي نقول أن في موضوع ترتيب السور قد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: إنه توقيفي، تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي مرتَّب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه مما يدل على عدم المخالفة والإجماع.

والقول الثاني: إن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة؛ بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب؛ كمصحف ابن مسعود، ومصحف أُبي.

والقول الثالث: إن بعض السور ترتيبه توقيفي، وبعضه باجتهاد من الصحابة؛ حيث ورد ما يدل على ترتيب بعض السور في عهد النبوة، فقد ورد ما يدل على ترتيب السبع الطوال والحواميم والمفصل في حياته عليه الصلاة والسلام.

وقد ناقش بعض العلماء هذه الآراء الثلاثة، وانتهوا إلى أن الرأى الثاني الذي يرى أن ترتيب السور باجتهاد الصحابة لم يستند إلى دليل يُعتمد عليه. فاجتهاد بعض الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختيارًا منهم قبل أن يجمع القرآن جمعًا مرتبًا، فلما جمع في عهد عثمان بترتيب الآيات والسور على حرف واحد، واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم، ولو كان الترتيب اجتهاديًّا لتمسكوا بها.

أما الرأى الثالث: الذي يرى أن بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضها ترتيبه اجتهادي، فإن أدلته ترتكز على ذكر النصوص الدالة على ما هو توقيفي، أما القسم الاجتهادي فإنه لا يستند إلى دليل يدل على أن ترتيبه

اجتهادي؛ إذ إن ثبوت التوقيفي بأدلته لا يعني أن ما سواه اجتهادي، مع أنه قليل جدًّا. وبهذا يترجح أن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات.

جاء في نوادر التراث للإمام السيوطي: من قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.. قال الكرماني في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وكان يعرض النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل ما اجتمع لديه منه، وعرضه صلى الله عليه وسلم في السنة التى توفي فيها مرتين، وكذلك قال الطيبي.. وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي. **وقال ابن حزم الأندلسي في الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ على من قال أن القرآن من ترتيب البشر:** كذب هذا الجاهل وأفك أتراه ما سمع قول الله تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها. وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في آية الكرسي، وآية الكلالة، والخبر أنه عليه السلام كان يأمر إذا نزلت الآية أن تجعل في سورة كذا وموضع كذا؛ ولو أن الناس رتبوا سوره لما تعدوا أحد وجوه ثلاثة:

إما أن يرتبوها على الأول فالأول نزولاً؛ أو الأطول فما دونه أو الأقصر فما فوقه، فإذ ليس ذلك كذلك فقد صح أنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يعارض عن الله عز وجل لا يجوز غير ذلك أصلاً.

كذلك يرى القمني أن هناك آيات ضاعت من القرآن وأن الصحابة الكرام وعلماء المسلمين الأجلاء وهم عند القمني السدنة أو الكهنة لم يبذلوا جهدا في البحث عما ضاع من القرآن فاستبدلوا بالسنة ما ضاع من القرآن!! وأن هناك آيات لابد وحتما أن تحذف حذفا من المصحف فلا نتعبد بها ولا نتلوها مرة أخرى بعد أن سقطت أحكامها مثل أحكام الرق وملك إليمين؛ **يقول القمني:** وحتى الآن يردد المسلم آيات ملك اليمين دون أي محاولات من جانب فقهاء المؤسسات الدينية الإعلان الواضح عن وقف العمل بأحكام هذه الآيات، باعتبار استرقاق الإنسان لأخيه الإنسان كان وصمة عار في جبين الإنسانية على مر التاريخ. **(السؤال الآخر. ص63. ط1. 1998م. روز اليوسف)**

ونرد عليه: نعم الإسلام لم يحرم الرق صراحة ولكن لم تحرمه شريعة سماوية سابقة؛ فقد كان نظام الرق نظام عالمي له أحكامه عند كل مجتمع؛ وجاء الإسلام وتعامل معه كواقع مجتمعي مسلم به ليس في جزيرة العرب فقط بل في العالم أجمع فضيق موارده ووسع مصادر التخلص منه بالمكاتبة أو العتق الذي جعله سبحانه وتعالى كفارة لكثير من الذنوب؛ وبين أحكام الرق وقننها؛ وحفظ الحقوق الإنسانية للرقيق؛ وذلك في بداية الدعوة وحتى الزمن الآن ليس في بداية الدعوة فقط كما يزعم القمني ويكذب..

فلماذا يحمل الرجل وزر الرق على الشريعة الخاتمة دون غيرها من الشرائع؟!

أما عن حذف أية أو آيات من القرآن فهذه والله طامة كبرى لا يقول بها مسلم موحد؛ وهو يطالب كذلك بحذف الآيات المنسوخة من القرآن؛ ويتهم الصحابة جامعي القرآن ومدونيه بأنهم ما وضعوا تلك الآيات

المنسوخة بجوار الآيات الناسخة ولم يحذفوها إلا لأغراض سياسية ودنيوية دنيئة؛ **يقول القمني:** نتيجة ما احتواه المصحف العثماني من تجاور للآيات الناسخة بجوار المنسوخة وما يصح العمل بحكمه إلى جوار ما توقف العمل بحكمه، والتغطية الكاملة على هذا الأمر والتعمية عليه حتى يمكن استثماره وقت الحاجة.**(السؤال الآخر. ص66)**

وهذه والله قاصمة للظهر؛ فالرجل يتهم جامعي القرآن ومدونيه من كبار الصحابة الأوائل بأنهم تلاعبوا بكتاب الله وعتموا على ما فيه من ناسخ ومنسوخ ليستثمروه وقت الحاجة؟!! وهو بهذا يهدم الدين من أساسه هدما؛ فهو يكذّب الله تعالى الذي قال أنه حافظ القرآن من التبديل والتحريف؛ ويتهم الصحابة الذين ندين لهم بالإيمان والإسلام بعد الله ورسوله!! فالقرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن كما بيّنّا، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا؛ كما قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} **البقرة 185**. وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} **القدر1**.

ثم كان ينزل مفرقًا على رسول الله عليه السلام مدة حياته عند الحاجة؛ كما قال تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}**الإسراء 106**.

فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة؛ ولقد كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرءون القراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات؛ ولذلك اعتمده الصديق في جمعه، وولاه عثمان كتابة المصحف.

ورُوي عن علي بن أبي طالب أنه قال: رحم الله أبا بكر! هو أول من جمع بين اللوحين. ولم يحتج الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى جمعه على وجه ما جمعه عثمان؛ لأنه لم يحدث في أيامهما من الخلاف فيه ما حدث في زمن عثمان، ولقد وُفِّق الخليفة لأمر عظيم، ورفع الاختلاف وجمع الكلمة، وأراح الأمة. ومما يدل على صحة نقل القرآن وصحة تأليفه وترتيبه قول تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**الحجر9**.

وقوله: {إِنَّ علينا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} **القيامة 17**. وقد ثبت بإجماع الأمة أن الله تعالى لم يرد بهاتين الآيتين أنه تعالى يحفظ القرآن على نفسه ولنفسه، وأنه يجمعه لنفسه، وأهل سماواته دون أهل أرضه، وأنه إنما عَنَى بذلك أنه يحفظه على المكلفين للعمل بموجبه، وأنه يجمعه لهم فيكون محفوظًا عندهم، ومجموعًا لهم دونه، ومحروسًا من وجوه الخطأ والغلط والتخليط والإلتباس، وإذا كان ذلك كذلك وجب بهاتين الآيتين القطع على صحة مصحف الجماعة، وسلامته من كل فساد ولبس؛ لأنه لو كان مغيرًا أو مبدلًا أو منقوصًا منه أو مزيدًا فيه، ومرتبًا على غير ما رتبه الله سبحانه؛ لكان غير محفوظ علينا، ولا مجموع لنا، وكيف يسوغ لمسلم أن يقول بتفريق ما ضمن الله جمعه، وتضييع ما أخبر بحفظه؟!!

وينكر القمني أن يكون القرآن قد سطر من قبل في اللوح المحفوظ؛ يقول: كيف يمكن الجمع ما بين القول إن هذا القرآن الكريم كان كتابا في اللوح المحفوظ **من الأزل** وبين أنه جاء مفرقا ومنجما ليقرأه على الناس على مهل وعلى مكث حسبما تتطلب حالات المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الواقع، أو كيف أفهم أنه كان في اللوح المحفوظ وهناك خطابا يقول: ولما قضي زيد منها وطرا زوجناكها. هذا حدث آني، حدث زمن صاحب الدعوة فكيف يكون أزليا؟ **(السؤال الآخر. ص 165)**

أعتقد أنه لم يبقى مجالا للشك في كم الجهل الذي يعشش في عقل هذا الرجل؛ فالله تعالى أخبرنا أن أول ما خلق من مخلوقاته كان القلم؛ ثم قال للقلم: اكتب: قال: ماذا أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما يكون إلى الأبد. فكتب القلم في اللوح المحفوظ كل حركة وساكنة في هذا الكون ما كان وما سيكون بعده حتى المستقر الأخير إما في جنة أو في نار وإلى الأبد؛ والقرآن كان مسطور في اللوح المحفوظ لا من الأزل كما يدعي القمني؛ فلا أزلي إلا الله تعالى وحده لا شريك له وكل خلقه محدثا مصنوع؛ واللوح مخلوق محدث وليس أزليا، نقول أن القرآن الكريم كان مسطورا في اللوح المحفوظ بقوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيد. فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ} **البروج 21-22**.

فما علاقة أن القرآن كان مكتوبا في اللوح المحفوظ و آنية آية: ولما قضى زيد منها وطرا؟! ألا يعلم الله تعالى الذي خلق ما كان وما يكون إلى الأبد؟! فإن قال: لا. فقد خرج عن الملة. وإن قال: نعم؛ فقد صح قولنا بأن الله قد قدر ما سيكون وسطره في اللوح المحفوظ ثم إن جاء وقته بلغ به رسول الوحي جبريل عليه السلام ليبلغه إلى رسول التبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه لنا. فأية إشكال هنا؟! لا أعلم.

وعن نسخ القرآن يقول القمني: لكن يثور هنا السؤال: كيف يتحول الوحي ويتبدل وهل يمس ذلك قدسية كلمة الله الثابتة؟ وهذا ما دعي بعد ذلك إلى نشوء مبحث عام وكبير من مباحث علوم القرآن، هو الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وهو الظاهرة التي لحظها القرشيون حتى قالوا: ألا ترون إلى محمد يأتي أصحابه بأمر ثم ينهاهم ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولا يرجع عنه غدا؟ وهي ذات المقالة التي قالها اليهود اليثاربة بعد الهجرة، عندما تحول النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين في الصلاة عن بيت المقدس إلى كعبة مكة.. لكن ظاهرة النسخ تثير في وجه الفكر الديني السائد المستقر إشكاليتين يتحاشى مناقشتهما؛ **الإشكالية الأولى:** كيف يمكن التوفيق بين هذه الظاهرة بما يترتب عليها من تعديل للنص بالنسخ والإلغاء، وبين الإيمان الذي شاع واستقر بوجود أزلي للنص في اللوح المحفوظ. **والإشكالية الثانية:** هي إشكالية جمع القرآن، ومشكلة الجمع ما يورده علماء القرآن من أمثلة قد توهم أن بعض أجزاء النص قد نسيت من الذاكرة الإنسانية، ولم يناقش العلماء ما تؤدي إليه ظاهرة نسخ التلاوة، أو حذف النصوص سواء بقى حكمها أم نسخ أيضا، من قضاء كامل على تصورهم الذي سبقت الإشارة إليه

لأزلية الوجود الكتابي للنص في اللوح المحفوظ، فإن نزول الآيات المثبتة في اللوح المحفوظ ثم نسختها وإزالتها من القرآن المتلو، ينفي هذه الأبدية المفترضة الموهومة.. والذي لا شك فيه أيضا أن فهم قضية النسخ عن القدماء لا يؤدي فقط إلى معارضة تصورهم الأسطوري الأزلي للنص، بل يؤدي أيضا إلى القضاء على مفهوم النص ذاته..**(الأسطورة والتراث. ص 343. ط3. 1999م. المركز المصري لبحوث الحضارة)**

مازال الرجل على غيّه وضلاله يتردد؛ يقول: التصور الأزلي للنص؛ ولا يقدر أن يفهم هذه القاعدة الأساسية البسيطة أنه لا أزلي إلا الله تعالى فقط لا غير؛ فلا اللوح ولا غيره من مخلوقات الله تعالى إلا وهو مخلوق محدث ولايصح أن نطلق عليه لفظ الأزلي أبدا!! وعندما يذهب أهل الإسلام أن القرآن وغيره مما كان أو يكون هو مسطور في كتاب هو اللوح المحفوظ فإنهم يقولون بهذا لقوله تعالى لا إجتهاد من طرفهم؛ **يقول تعالى:** {يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَاب} **الزخرف39.**

أي: يمحو الله ما يشاء من الأحكام وغيرها، ويُبْقي ما يشاء منها لحكمة يعلمها، وعنده أمُّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ. وقال: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعلي حَكِيم} **الزخرف4.**

أي: وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعلي في قَدْره وشرفه محكم لا اختلاف فيه ولا تناقض. **يقول القمني:** والمعلوم أنه عندما جمع المصحف زمن عثمان بن عفان تم جمع كثير من الآيات المنسوخة إلى جوار الآيات الناسخة.. وهو الواقع الذي أدى إلى ظهور كثير من الآيات بمظهر التضارب والتناقض، وليس الأمر كذلك إنما الأمر يعود إلى واقع حدث الجمع.. ومثالا لحالات التناقض الظاهري أمثلة منها: **النموذج الأول:** الآيات المتعلقة بالكتب السماوية السابقة على كتاب الله العزيز: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور. **المائدة 14.** وأنزلنا إلىك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب. **48 المائدة.** وهي الآيات التي يقابلها آيات أخرى تقول: من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه. **46 النساء. النموذج الثاني:** الآيات المتعلقة بأصحاب الديانات الكتابية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليوم الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عليهمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}**البقرة62..** وهي الآيات التي يقابلها آيات تقول: إن الدين عن الله الإسلام. **آل عمران 19.** ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. **آل عمران85..** ومن ثم بات واضحا أن جمع الآيات المنسوخة إلى جوار الآيات الناسخة، أنشأ نوعا من التضارب الظاهري في الآيات جل الله تعالى عن ذلك..**(الأسطورة والتراث. ص360)**

أولا: الرجل يستنكر أن المصحف قد حوى الآيات الناسخة بجوار الآيات المنسوخة؟! ولا يعلم أن شرط اعتبار أحد الآيات منسوخة هو أن يأتي بالنص الناسخ -سواء أكان آية أو حديث- وإلا بقى النص على أصله من وجوب العمل به وبحكمه؛ **يقول ابن حزم في إحكامه:** الواجب حينئذ البحث عن الخبر الواهي

والمنسوخ حتى يعرف فيجتنب، وإلا فالعمل واجب، لأن الأصل وجوب العمل بالسنن حتى يصح فيها بطلان أو نسخ، وإلا فهي على البراءة من النسخ ومن الكذب والوهم حتى يصح في الخبر شئ من ذلك فيترك لقول الله تعالى: أطيعوا الله الرسول. ولقوله تعالى: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم. ولقوله تعالى: لتبين للناس ما نزل إليهم. وقد علمنا أن في القرآن آيات منسوخة بلا شك لقوله تعالى: ما ننسخ من آية أو ننساها نأت بخير منها أو مثلها. وقد اختلف العلماء فيها: فطائفة قالت في آية إنها منسوخة؛ وطائفة قالت: ليست منسوخة بل هي محكمة. فما قال مسلم قط لا إن الواجب التوقف عن العمل بشئ من القرآن من أجل ذلك، وخوفا أن يعمل بمنسوخ لا يحل العمل به، بل الواجب العمل بكل آية منه حتى يصح النسخ فيها فيترك العمل بها.. ولا فرق بين ترك الحق يقينا وبين العمل بالباطل يقينا، وكلاهما لا يحل..

ثانيا: الناظر في الآيات التي ساقها القمني مستدلا على وجود تضارب ظاهري فيها يستدل على مدى الجهل المستحكم عند هذا الرجل؛ **فيقول القمني:** النموذج الأول: الآيات المتعلقة بالكتب السماوية السابقة على كتاب الله العزيز: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور. **المائدة 14..** وهي الآيات التي يقابلها آيات أخرى تقول: من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه. **46 النساء.**

وله نقول: الله تعالى هو من أنزل التوراة والإنجيل؛ فلا شك أن فيهما نورا وهدى؛ ثم أتى الأحبار والكهنة من بني يهود والنصارى بعد رحيل النبي المبلغ فحرفوا كلام الله تعالى عن مواضعه أو بعض مواضعه؛ فبقى بعد التحريف في التوارة والإنجيل بعضا من صحيح كلام الله وهو ما فيه الهدى والنور؛ فأي تضارب يرى الرجل الذي أشك أنه من الأساس يرى؟!

ويقول القمني: النموذج الثاني: الآيات المتعلقة بأصحاب الديانات الكتابية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عليهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}**البقرة62**.. وهي الآيات التي يقابلها آيات تقول: إن الدين عن الله الإسلام. **آل عمران 19**. ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. **آل عمران85..**

وللقمني أقول: في الآية الأولى يخبرنا الله تعالى إن المؤمنين من هذه الأمة الذين صدَّقوا بالله ورسله، وعملوا بشرعه، والذين كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من الأمم السالفة من اليهود، والنصارى، والصابئين-وهم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه- هؤلاء جميعًا إذا صدَّقوا بالله تصديقًا صحيحًا خالصًا وبيوم البعث والجزاء وعملوا عملا مرضيًا عند الله، فثوابهم ثابت لهم عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا. وأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمًا للنبيين والمرسلين إلى الناس كافة فلا يقبل الله من أحد دينًا غير ما جاء به؛ وهو الإسلام. وهو ما جاء في الآية الثانية والثالثة من أن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا

بعد ما بلغه دعوة محمد بن عبد الله عليه السلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. فعن أي تناقض يتحدث الرجل؟! لا أعلم.

ثالثا: جهل القمني أن من المآثر الخالدة لذي النورين هو ما فعله حين جمع الناس على مصحف واحد، وجمع القرآن فيه؛ وبذلك صلح أمر الناس من السلف والخلف، ولولا الذي فعله عثمان لألحد الناس في القرآن إلى يوم القيامة؛ كما قال الحسن البصري. وجهل أن عثمان لم يقصد قَصْدَ أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين؛ وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثْبِتَ مع تنزيل، ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه؛ خشية دخول الفساد والشبهة على ما يأتي بَعْدُ. والذي حمل الصحابة رضوان الله عليهم على جمع القرآن ما جاء في الحديث أنه كان مفرقًا في: العسب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذَهَاب بعضه بذهاب حفظته، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يُقدِّموا شيئًا أو يؤخروا، وهذا الترتيب كان منه صلى الله عليه وسلم.. وقد قال علي رضى الله عنه: لو وُلِّيت ما وُلِّيَ عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل.

جهل الرجل -وكثيرا ما يجهل- أن القرآن كتاب الله المحكم الذي لا يناله باطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وأن كتاب الله ليس فيه أي تناقض ولا تقابل إلا في عقل ضعيف أو صاحب جهل مركب، وصدق صاحب الكتاب إذ قال: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا}**النساء82.**

الإسـلام والطعـام

يقول القمني: بعد أن دخل الجراد مصر ينهش ما تبقي لفقرائها في الحقول، وبعد أن أحسنت وزارة الزراعة استقباله هاشة باشة مرحبة بحلوله أهلا ومجيئه سهلا، كان الحل هو تشجيع الفقراء على تناول الجراد بحسبانه طعاما تناوله من قبل الأسلاف المسلمون والعرب الأوائل في بواديهم الشحيحة وبيئة الندرة التي كانت تسمح بتناول كل ما تقع عليه إلىد أيا كان، فكان العربي يأكل أي شيء يتحرك أمامه مع تحاشي السام منها بحكم خبرة الأجيال. وجاء الإسلام في مجتمع الندرة الشحيحة مطابقا لعاداتهم في تناول الطعام فلم يحرم لا أكل الجراد ولا أكل الضب -نوع من الأبراص الكبيرة السمينة الغنية بالبروتين- بل إن الجراد والضب يعتبران حتى الآن في موطن الإسلام الأول من ألوان الطعام المفضلة والنادرة. **(أهل الدين والديمقراطية. ص137)**

في البداية أقول لماذا لم يهاجم القمني الحضارة الصينية أصحاب المبدأ الشهير في الطعام والذي مفاده: أن كل ماله روح يُأكل!!؟ لماذا لا يطالبهم بغلق محال الطعام الفخمة التي خصصها الصينيون لطهي الصراصير؟! أو لماذا لم يهاجم الفرنسي وهو يطلب طبق شوربة الضفادع ويدفع مقابله عشرات اليوروهات؟! لماذا لم يهاجم بعض الأفارقة الذين يأكلون القرود؟! أو الفليبنيين الذين يأكلون الكلاب والقطط؟! أو الفراعنة الذين كانوا يأكلون الفئران المقلية للاستشفاء؟! أو الهولنديون مثلا في أحد محلاتهم متخصص ببيع الحلويات (كاب كايك) مزينًا بالدود الصغير للتأكيد على أهمية البروتينات الموجودة في الحشرات. أو تايلاند المشهورة بحبها للحشرات، وصولا إلى البيرو حيث تباع القوارض على حافة الطريق للسيارات المارة كنوع من الوجبات السريعة. ولو زرت كولومبيا فلابد أن تتناول طبق فيليه لحم مزينا بصلصة أُعدت من النمل المقلي!! فإذًا علمنا هذا خلصنا إلى أن القمني متخصص في الهجوم على الإسلام والمسلمين والعرب ومن والاهم؛ وإن كنا ضد فتوى تأمر الناس بأكل الجراد بدلا من حثها الحكومات على مواجهة هذا الخراب العاجل بكافة الوسائل العلمية الحديثة.

ولكن لابد لنا أن نُعرّف الرجل ما لا يعرفه عن أحكام الإسلام والطعام؛ فنقول:

الإسلام لم يفرض على الناس أكل الجراد أو أكل أي صنف من أَصناف وألوان الطعام مهما كان هذا الطعام؛ وكذلك لم يأمرهم بشرب أي نوع معين من أنواع الشراب. فاكتفى الإسلام في هذا الشأن بقول جامع حكيم من رب الناس الذي خلقهم وخلق طعامهم بأن قال: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عليهِمُ الْخَبَآئِثَ} **الأعراف157**. أحل لنا الله تعالى كل الطيبات من الرزق سواء أكان طعاما أو شرابا أو متاعا؛ وحرم علينا الخبائث كلها.

بل واستنكر الشارع جل وعلا من حرم على الناس الطيب من الرزق بأن قال: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} **الجاثية32.**

وماذا حرم علينا؟ الجواب يأتي سريعا في قوله تعالى: ويحرم عليهم الخبائث.

وما مثال الخبائث يارب الناس في طعام الناس وشرابهم؟ يقول: {إِنَّمَا حَرَّمَ عليكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} **النحل115.**

هذا هو تشريع الإسلام في طعام الناس وشرابهم؛ فهل أنت معترض عليه؟ هذا أولا؛ أما ثانيا: ولأنك اهتممت كثيرا بالجراد وأكله فإن تحليل أكله قد استمده المسلمون من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد؛ وأما الدمان فالكبد والطحال.

هل هذا نص يأمرنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نأكل السمك والجراد وأن نأكل الكبد والطحال؟! بالطبع لا؛ بل هو نص يبين لنا فيه رسول الله بعض ما أحل لنا استثناء من القاعدة التي تقول أن أكل الميت من الحيوان كله حرام بأن الميت من السمك والجراد يحل لنا أكله إذا ما أردنا أكله، وأن الدم كله علينا حرام إلا دمان هما الكبد والطحال. وأنت يا أخي بالخيار كل ما تريد ودع ما تريد؛ فلا تتجنى على الإسلام وأهله وتقول أنه وأنهم يأمرونا بأكل الجراد. وها هو القدوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه بعض قبائل العرب الضب المشوي فتعافه نفسه ويأبى أن يشارك فيه ولو بلقمة حتى أن من قدم إليه الضب ليأكله ظن أنه حرام عليه أكله فهل قال له رسول الله أنا لا آكله فلا تأكلوه؟! أو أنا لا آكله فأكله حرام؟! لا بل قال: لست آكله ولا أنهى عنها. فقد خرج ابن ماجه في سننه عن ابن عباس عن خالد بن الوليد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بضب مشوي فقرب إليه فأهوى بيده ليأكل منه؛ فقال له من حضره: يا رسول الله إنه لحم ضب. فرفع يده عنه؛ فقال له خالد: يا رسول الله أحرام الضب؟ قال: لا؛ ولكنه لم يكن بأرضي فأجدني أعافه. قال: فأهوى خالد إلى الضب فأكل منه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه.

أرأيت يا قمني لقوله صلى الله عليه وسلم: لكنه -أي الضب- لم يكن بأرضي -التي نشأت فيها- فأجدني أعافه. وأنا كمصري لم يكن الناس عندنا تأكل الجراد فتجدني أعافه. ولكن إن سألتني: هل هو حرام أكله أم حلال؟ لقلت بلا تردد بل هو حلال أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن وجد من يأكله فبالهناء والشفاء وصحة على بدنه..

غريب أمرك يا رجل أن تقول: يريد مشايخنا أن نأكل جرادهم وثريدهم، ولأن مشايخنا لا يريدون أن يتركوا شأنا من شئون الزمان إلا وتدخلوا فيه ودسوا فيه أنوفهم لإثبات ضرورة وجودهم سادة ومفتين وشارحين، فقد تكرموا علينا بفتوى أكل الجراد وهو ما لا يناسب طبائعنا ولا أذواقنا ولا ظروفنا البيئية..

ولا ندري هنا هل أسرع أَصحاب اللحى والجلابيب القصيرة وصويحبات يوسف من محجبات ومخمرات ومنقبات إلى هذه الوجبة الأصلية السلفية تأكيدا لسلفيتهم أم أن أنفسهم عافته..**(أهل الدين والديمقراطية. ص 138)**

من قبلك بألف وربعمائة من السنين قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضب؛ قال: أن لا طبعي ولا ذوقي ولا ظروفي البيئية تسمح لي بأكل الضب، فهل تعلمت هذا منه صلى الله عليه وسلم؟! أشك أنك تعلمت منه شيء.. أي شيء.

الإنسانية بين القمنية والدارونية

كثيرا ما تحير الإنسان في وجه الشبه بينه وبين القرود حتى أنه في عام 1871م نشر عالم الطبيعة العبقري الإنجليزي الجنسية تشارلز دارون كتاب أسماه أصل الإنسان، جاء في هذا الكتاب أن الإنسان تكوّن نتيجة تطورات طبيعية وطفرات جينية وراثية من سلالة القرود. مقرراً أن الإنسان لم يظهر فجأة على صفحة الوجود، بل تطور بصورة بطيئة عبر ملايين السنين من استرالوبثكس إلى هوموهابيلس إلى هومواريكتوس إلى سواستسكوب إلى إنسان نياتدرثال إلى الإنسان كما نعرفه اليوم، حتى إنك ترى في كل منهج تعلمي حديث هرم الأجناس الحيوانية وهو يتدرج من الحيوانات الأولية الخلية حتى يصل إلى الإنسان الذي تربع على قمة هرم الثدييات. وهذا والذي نفسي بيده لمنتهى المهانة والانتقاص من قدر ذلك المخلوق المتطور المكرم عند ربه على كافة المخلوقات الأرضية، والذي سماه ربه إنسان، وميزه فجعله سيد هذا الكوكب الأول. ذلك حتى خرج من خلف هذا السيد من وصف نفسه حيواناً أسلافه القرود!!

ولا يخفي على عاقل ما في هذا الكلام من لغو باطل وافتراء واضح، فالعلم الحديث ينفي هذا تماما ويبطله، وذلك لتميُّز كل كائن حي وكل نوع من بذور وأصول الأجناس النباتية والحيوانية بشفرة وراثية محددة ومعروفة الآن للبشرية كما تعرف أسماء أبنائها.

نقول أن نظرية دارون في أصل خلق الإنسان باطلة فما من أحد عاقل يقول أن هذا القرد الذي يعيش في الغابات وفي حدائق الحيوان سيتحول يوماً ما ويصير إنسانا سويا حسن الصورة والتقويم.

أو أن أصول باقي الحيوان والنبات قد يصير من تلقاء نفسه ويتحول إلى جنس آخر، فينادي في الناس أن هذه البطة ستتحول يوماً ما إلى نعامة، أو أن هذا الحمار سيتحول يوماً إلى حصان، أو أن الفأر سيتحول إلى قطة، والقطة ستتحول إلى أسد وهكذا!!! كما ان الله تعالى الذي يعلم كل شئ وخلق كل شئ قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم} **التين4**. وقال تعالى:{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم} **التغابن3**. وقوله تعالى هذا يدل على أن الإنسان مخلوق خلقه ربه في أحسن صورة وليس قرداً قبيح الصورة و التقويم.

كما إن الإنسان لو كان في أصله قرد قد تطور عبر ألوف السنين فما بال الإنسان لم يتطور هو أيضاً إلى كائن آخر أكثر رقياً وتطوراً.

فإذا كان التطور يتجه دائماً نحو الأصلح، فلماذا لا نجد القوى العاقلة في كثير من الحيوانات أكثر تطوراً وارتقاءً من غيرها، ما دام هذا الارتقاء ذا فائدة لمجموعها؟ ولماذا لم تكتسب القردة العليا من القوى العاقلة بمقدار ما اكتسبه الإنسان مثلاً؟! فالحمار منذ أن عرف إلى الآن ما زال حمارًا..

ولقد عرض داروين لهذه المشكلة في كتابه، ولكنه لم يجب عليها وإنما علق بقوله: إننا لا ينبغي لنا أن نعثر على جواب محدود ومعين على هذا السؤال إذا ما عرفنا أننا نعجز عن الإجابة عن سؤال أقل من هذا تعقيدًا.

وقد ثبت لدى الدارسين أن كثيراً من النباتات والحيوانات لم تتغير عن وضعيتها خلال قرون عديدة متطاولة، ويتضح ذلك من الأنسال الداجنة المنحوتة في بعض الآثار المصرية القديمة، أو التي حفظت بالتحنيط وكيف أنها تشبه كل الشبه الصور الباقية اليوم بل ربما لا تكاد تفترق عنها بفارق ما.

والأمثلة كثيرة في هذا الموضوع مثلا: الحشرات لم يتغير شكلها منذ أن وجدت فوق سطح الأرض إلى يومنا هذا، وسمك السلاكانت الذي يعيش في المحيط الهندي، ولم يحدث عليه تغيير منذ أربعة مائة مليون سنة مما جعل العلماء يطلقون عليه اسم الحفرية الحية، وتوجد أمثلة كثيرة للحفريات الحية، مثل الزاحف النيوزيلاندي: سيفنودون، والرخوي البحري: نيوبيلينا والشجرة اليابانية جينجيكو، وطائر الكزوار، وحيوان الأكوندون.

كذلك نقول أنه لم ترصد البشرية في أي وقت عبر الزمن أي كائن ما قد تحول إلى كائن آخر بالترقي أو بالتطور، خاصة وأنه يوجد العلماء المتخصصون الذين يراقبون أدنى تغيير حديث في المظهر الخارجي لتلك الكائنات أو تركيبها الداخلي.

ويدخل في معنى قوله تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. أن الله تعالى ركب الإنسان في أفضل صورة وخلقة ممكنة بحيث لو بدلت عضو مكان عضو لما تمكن هذا العضو من تنفيذ مهمته الموكلة إليه على أفضل وجه. مثلا: لو كانت عينا الإنسان في غير هذا المكان المعهود لما تمكنت العينان من الإبصار على هذا النحو الكامل التي هي عليه الآن. كذلك القول لو بدلنا مكان الرأس أو الأنف أو الأذنان أو الفم أو أي عضو من أعضاء الإنسان الداخلية أو أطرافه الخارجية لو تبدل مكان هذا العضو إلى غير مكانه الواقعي الموجود عليه الآن لما تمكن من أداء وظيفته على نحو كامل كما هو عليه الآن فسبحان الله العلي القدير:{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} **الأعلى2**. أي: الذي خلق المخلوقات فأتقن خلقها وأحسنه.

هذا كله وأكثر يعرفه ويعتقد فيه كل مسلم موحد بالله ورسوله ويؤمن بأن أصل الناس كلهم هما آدم؛ ومن آدم خلقت حواء؛ ومن قبل خلق آدم من تراب حتى يأتي القمني فيؤكد إيمانه بما جاء في نظرية النشوء والارتقاء لداروين، مؤكدا أن الإنسان والقرود انحدرا من أصل واحد، وكافرا بما جاء في كتاب الله تعالى؛ من أن أصل الإنسان آدم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء}النساء1. وأن آدم أول الصنف البشري خلقه الله تعالى من تراب: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}**الروم20**.

فيقول القمني: تعمد نظرية النشوء والارتقاء إلى القول بتطور حيوي عبر ملايين السنين انتهى بتطور جميع الكائنات من أصول أولي مجهرية إلى ما هي عليه الآن.. وقد جاء الإسلام ليخاطب أهل ذلك الزمان بلسانهم وعلى قدر عقولهم، لقد جاء ليقول لهم ما يعلمون مسبقا من أديان ومعارف متواترة، وكان طبيعيا أن يخاطبهم حسب إدراكهم الذي هو أقل بألف وأربعمائة عام من إدراكنا، وتحسب العام الأخير فيها بما يعادل ما أنجزته الإنسانية كلها عبر تاريخها منذ وجدت على الأرض، وما كان ليحدثهم بلسان نظرية التطور لأنه لم يكن لديهم مختبرات ولا ميكروسكوبات الكترونية ولا مناهج علمية في البحث والتفكير، لقد كان بإمكان الإنسان أن يتصور إمكانية تحول البشر إلى كائنات أدنى عقابا لهم على الآثام والجرائم كالقردة والخنازير، لكنه لم يكن يتصور أن يكون هو مسخا من القردة والخنازير لأنه الأرقى والأكثر وعيا منها، لذلك ما كان ممكنا نظريا لصالح التفوق الإنساني أن يكون الإنسان متطورا أو ممسوخا عن كائنات أدنى رتبة.. ونحن نعترف لله بقدرته على إحياء كل تلك الأحياء ثم ننكر عليه القدرة على تطوير وترقية ذلك الخلق، خاصة إذا كان بإمكانه تغيير الصورة الآدمية إلى قرد، فإن بإمكانه أيضا القيام بالعكس.. وبهذا المنطق يمكن القول أن الكفر البين هو الكفر بقدرة رب الإسلام على خلق ما يدير به أكوانه من قواعد وقوانين، وأن جهل السلف الصالح بالجراثيم والميكروبات لا يعني أنها ليست من خلق الله، وقولنا اليوم بوجودها لا يعني أننا قد كفرنا بالله، بل ربما كان الكفر هو إنكارها.. ماذا لو كان عصرنا الذي نعيش بكل إمكانياته قد تقدم زمانه فجاء في القرن العاشر قبل الميلاد. فهل كانت الكتب السماوية ستتغاضى عن ذكر مكتشفات زمانها ونظرياته وعلومه؟ هل ستنكر أن نجوم السماء ليست مصابيح زينة إنما هي شموس عظيمة الأجرام؟ -يقصد القمني قوله تعالى: {وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظا} **فصلت12**- هل كان النبي سينكر النشوء والارتقاء الذي تقوم عليه علوم البيولوجيا والاستنساخ؟ فلماذا والحال كذلك لا نتوقف عن تبرير العلم أو تحليله استنادا للدين؟ ولماذا لا ننتهي إلى أن هذا شأن قلبي تؤمن به على علاته أو لا تؤمن، وأن العلم شأن عقلي مخبري لا علاقة له بالقب ولا بالإيمان؟**(أهل الدين والديمقراطية. ص163)**

ونسى القمني أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر النشوء والارتقاء الذي ينادي أن أصل الناس كان قردا؛ عندما قال: كلكم بنو آدم؛ وآدم خلق من تراب. فلم يقل أنه تحول من قرد ولا أن أجداده وآباؤه كانوا قرودًا؛ بل أكد أنه أول جنسه كله، وأنه تحول من تراب.. بل ويشبه القمني إمكانية أو تأكيدا لنظرية داروين وأن الإنسان أصله قرد؛ بقدرة الله تعالى على تحويل البشر إلى قرود كما حول أو سخط بعض بني يهود الكافرين إلى قرود!! **فيقول معترضا وساخرا من دكتورة متخصصة في علم الجينات: أنكرت علمية نظرية داروين، وأكدت على أن التطوريكون في دائرة الكائن الواحد وليس من كائن إلى آخر:** إن

سيدتي المؤمنة بدلا من أن تري هذا فلا يحدث لها هذا الإرتباك بين العقل والنقل كان يجب عليها أن تدافع عما تعلمت بدلا من أن تقوم بتسفيهه.. إن سيدتي أستاذة علم الوراثة مشغولة بالدين وليس بالعلم.. وبغض النظر عن تسليمها بحكايات سيدنا آدم وحكايات سيدنا نوح.. ترفض سيدتي الشيخة فكرة التطور بالتحول من نوع إلى نوع، من جد مشترك للإنسان إلى إنسان وقردة أخرى، فماذا عن قدرة الله التي تؤمنين بها والتي حولت اليهود إلى قردة وخنازير؟ وهل تنكرين هذه القدرة على الله؟ فإذا لم تنكريها فلماذا تنكري قدرته على فعل العكس وهو الثابت اليوم.. فإذا كان الله قادرا على إحالة العصاة إلى قردة بفارق في الجينات بين الأصل والمسخ ولا يتعدي 1.7% أفلا يمكن العكس؟ أم هي تنكر معلوما من الدين بالضرورة بانكارها آيات القردة الخاسئين؟**(أهل الدين والديمقراطية. ص169)**

وينسى المأسوف على فكره أنه لولا أن الله تعالى أخبرنا في كتابه الذي لا يناله الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن هناك أناس من بني إسرائيل قد حولهم الله أو سخطهم إلى قرود وخنازير لما صدقنا بهذا أبدا!! ولقلنا أن العلم يرفض وينكر ويشجب؛ ولكن لما أخبرنا ربنا أنه قد فعل، ونحن نؤمن بقدرة الله تعالى الغير متناهية على فعل أي شئ وكل شيئ صدقنا وآمنا. وإن أخبرنا ربنا أن آدم -أول إنسان- كان قرد أو ابن قرود لصدقنا وآمنا رغم أن العلم ينفي إمكانية حدوث هذا بل ويدخله في درب المستحيلات العلمية.. **نقول:** أن هناك الكثير من الأدلة التي تجعلنا نقف أمام فرض النظرية الدارونية على أفكارنا وأفكار أولادنا خلاف الدين وما جاء فيه؛ منها:

أولاً: يختص الإنسان باحتواء خلايا جسمه على 46 صبغي، فإذا حدث أي تغيير في هذا العدد من زيادة أو نقصان فإن جسم الإنسان لا يتطور إلى جسم آخر بل يتعرض للتشوه وهذا العدد الثابت للصبغيات عند جميع الأحياء لا يسمح بأي تطور من كائن حي إلى آخر أبداً وأي تغيير في المادة الوراثية (الصبغيات) يؤدي إلى تغيير الملايين من البروتينات المتدخلة في تكوين الجسم، والذي يتكلم في تحول القرد إلى إنسان إما أن يكون جاهلاً كمعظم الصحفيين الببغاوات الذين يرددون هذا القول بدون علم، (أو هم معذورون لتكوينهم الأدبي غالباً وبعدهم عن الميدان العلمي) وإما أن يكون شيطاناً يعلم الحقيقة ويظهر غيرها..

ثانياً: لا يجب الاعتماد فقط على البقايا الصلبة من الجسم لتشييد وتشكيل الحالة الصحيحة الأصلية، وذلك لأنه تبين أن الشكل النظري المقترح لسمكة السيلاكانت بعيد كل البعد عن حقيقة أمرها. ولقد ذكرت أنه يستحيل معرفة أن للكنغر كيس بطني فقط من خلال هيكله العظمي، وأن المشاهدة المباشرة هي الوحيدة الكفيلة بإعطاء معالم الجسم التامة، فالهيكل العظمي للكنغر يشابه الهيكل عند الديناصور أو الكومودو.. وزيادة على ما سبق فإننا إذا أعطينا جمجمة واحدة وقدمناها لعدة باحثين لا يرى بعضهم بعضاً، فإن تصورهم لتشكيل وتغليف الجمجمة سيختلف حتماً الواحد عن الآخر.

ثالثاً: أين الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان؟ إننا قبل أن نتساءل عن الحلقة، يجب أن نعرف أولاً أننا لن نجد في هذا الكوكب من يجيب أو يستطيع حتى التلميح لهذا الموضوع، لماذا لم يبق لها أي وجود أو أي أثر؟ ولماذا لم تبق كما بقيت تلك القردة؟ لماذا هنا البقاء لغير الأصلح؟ أما كانت هي الأحق أن تبقى لأنها كانت هي الأقوى والأفضل والأحسن، ألم تكن هي أحسن من النسانيس التي هي أدنى في الرتبة؟.

رابعاً: لماذا وقف التطور عند الشكل الإنساني؟ عجيب حقاً أن تمر آلاف السنين ولم نر أي تطور ما قد حدث في جسم الإنسان؟ أو حتى أي بادرة تشير إلى تغيير في أي عضو فيه، بل يجب أن نتساءل أو نتخيل: ما هو الطور الذي سيلي طور الإنسان بالرغم من أن المتغيرات حوله زادت لصالحه؟

خامساً: إن الزائدة الدودية لن تنقرض، لأنها موجودة عند الحيوانات الأخرى، وأثبت لها العلم الحديث فوائد منها: المساعدة على الهضم لم يكن يعرفها (داروين) وإلا فهل وجود الثدي عند الرجل يجعل أصل الذكور إناثاً؟ وإن كان شعر الصدر عند الرجل من بقايا الحيوان، فلماذا لم يوجد عند الإناث؟ لعل أنصاره يقولون بخروج الرجل إلى الصيد، وبقاء المرأة في الكهف، ويعود الرد من جديد: ولماذا بقى الشعر في الرأس والعانة عند المرأة؟

وهناك من الأدلة العلمية الكثيرة التي تسحق نظرية داروين تماما لا يتسع لها كتابنا؛ ويختتم القمني مقالته هذه بخفة دمه المعهودة فيقول: وفي ضوء كل ما هو غير مسموح به كما قالت سيدتي الدكتورة قررت من جانبي زيارة حديقة الحيوان بالجيزة وكتبت هذا الموضوع وأنا جالس أمام جبلاية القرود لأحسدها وهي تتحرك بحرية ولها حيزها الشخصي الذي لا يتدخل فيه أحد بفتوى كيف يتصرفون أو يسلكون أو يتكلمون أو يتبرزون، شاهدتهم يمرحون بسعادة وبحرية دون استئذان القرداتي حيزها حسدت أبناء عمومتي وعدت إلى بيتي أحلم بيوم نحصل على حرية أبناء عمومتنا..**(أهل الدين والديمقراطية. ص173)**

وأخير والآن فقط فهمت لما هذا الدفاع المستميت عن نظرية التطور والنشوء لداروين من قبل السيد القمني؛ فالرجل معذور فهو يرى القرود أبناء عمومته يحسدهم على حريتهم وتنططهم على الجبلاية وتبرزهم بحرية دون فتاوى تتحكم في تصرفاتهم وسلوكهم الحر الطليق؛ فالقمني يطبق المثل المصري الشهير: أنا وأخويا على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب. فالقرد ابن عمه أما نحن مجموع البشر فغرباء..

غرانيق القمني

قال ابن كثير في تفسيره: عن ابن شهاب؛ قال: أنزلت سورة النجم، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنه ضلالهم، فكان يتمنى هُداهم، فلما أنزل الله سورة النجم؛ قال: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنْثَى} ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت، فقال: وإنهن لهن الغرانيق العلى. وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى. وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمدا، قد رجع إلى دينه الأول، ودين قومه. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم، سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك. غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا، فرفع على كفه ترابا فسجد عليه. فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود، لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين -ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين- فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطانُ في أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحدثهم به الشيطان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها في السورة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم. ففشت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشيطان، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين، عثمان بن مظعون وأصحابه، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، وحُدِّثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته، وحفظه من الفرية، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ علِمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، فلما بين الله قضاءه، وبرأه من سجع الشيطان، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين، واشتدوا عليهم. **(تفسير القرآن العظيم. ص 442-443. ج5)**

والغرانيق هي نوع من الطيور يقال أنها طائر الكركي؛ واحدُها غِرْنوقٌ وغِرْنَيْقٌ. وكان الكفار يشبهون الأصنام بتلك الطيور لارتفاعها في السماء؛ فكانت بين السماء والأرض كاعتبارهم أن الأصنام هي الوسيط والشفيع بين السماء والأرض.

هذه هي رواية الغرانيق الكاذبة الموضوعة كما سنبين في السطور القادمة ولكن أولا دعنا نرى تأصيل وتفسير القمني؛ **يقول القمني بعد ذكر رواية الغرانيق المزورة**: ثم نجد تبريرا قرآنيا لما حدث، لا مجال فيه لخلط أو لبس، يوضح أن الشيطان لعنه الله انتهز فرصة تمني النبي القرب من قومه، فتدخل في الوحي إبان تلقيه، وألقى إليه بتلك الآيات الفظيعة، فنسخها تعالى بالآيات الصادقة، ويعلمنا الله تعالى أن ذلك ليس أمرا جديدا ولا غريبا، فقد كان الشيطان يفعلها مع أي نبي من الأنبياء والرسل المكرمين إذا تمنى أحدهم ذات الأمنية أو مثلها، وقد جاء هذا الإيضاح المبين في قوله جل وعلا: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته..

وبعد أن أكد القمني على صحة حديث الغرانيق؛ قال: وفي ظل ذلك الوضع يمكن قراءة حديث الغرانيق مرة أخرى، ففي تلك الظروف ومع مهاجرة الأتباع للحبشة، ومع قسوة الواقع ومرارته، ومع الغربة وسط الأهل، ومع الظرف النفسي الذي لابد تركته تلك الأوضاع في النبي صلى الله عليه وسلم، تمنى فتدخل الشيطان فقال، فتبعته قريش وخاصة سادتها الذين تواجدوا تلك اللحظة بالحرم، لأنه هكذا لن يمس الأمر مصالحهم فسجدوا بسجود النبي صلى الله عليه وسلم وصلوا معه صلاته، وهنا كانت الفتنة المقصودة بقول الآيات: ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم.. والقلوب كانت آنذاك بمعنى العقول، أي الذين لا يفقهون ولا يدركون المرامي البعيدة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم تلك المرامي التي سبق أن أدركها العقلاء منهم رغم عدم إيمانهم وأفادوهم بها وشرحوها لهم.. لكن كان واضحا أن الأمر بهذا المعنى لم يصل إلى أذهان الأرستقراطيين المكيين في ظل دعوة الإسلام الأولى للمستضعفين، فكانت فتنتهم بحديث الغرانيق، لكن توتر بعض المسلمين نتيجة ما ألقى الشيطان وتضعضع أحوالهم المعنوية، كان لابد أن تتبعه العودة السريعة بإيضاح دور الشيطان فيما حدث، والذي كان أيضا اختبارا للمسلمين المستضعفين لإظهار مقدار الطاعة ومدى مسارعتهم إليها، مسارعة إسماعيل إلى الذبح طاعة للأمر الإلهي، وعليه فقد جاء النسخ لما ألقى الشيطان في الوحي، عملا إجرائيا..**(الأسطورة والتراث. ص38-39)**

إذا فقد تعامل القمني مع حديث الغرانيق على أنه حديث صحيح لا غبار عليه؛ ثم بعد هذا أخذ يسوق المرامي التي من ورائها ترك الله تعالى رسوله تحت سلطان الشيطان ليلقي على لسانه أو يتكلم على لسانه إبان الوحي؛ بآيات شيطانية تحطم التوحيد تحطيما؛ وتحطم عصمة القرآن؛ وتحطم عصمة نبيه من سلطان الشيطان؛ وكان من أهم هذه المرامي التي من أجلها أراد الله تعالى ورسوله فتنتنا وفتنة الكافرين وفتنة المؤمنين الأوائل؛ يقول القمني أن أهم هذه المرامي اختبار المسلمين المستضعفين لإظهار لإظهار مقدار الطاعة ومدى مسارعتهم إليها، مسارعة إسماعيل إلى الذبح طاعة للأمر الإلهي، وعليه فقد جاء

النسخ لما ألقى الشيطان في الوحي، عملا إجرائيا؟!! القمني ينتقي رواية ساقطة ليتسلل إلى قلب وعقل الإنسان المسلم ليطعنه في أقدس ما بين يديه؛ أي القرآن الكريم.. وعصمة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقبل أن نخوض في تفاصيل تلك الرواية لابد لنا أن نذكر رأي ابن كثير في هذه الرواية وغيرها من الروايات التي تروي نفس الموضوع؛ **يقول ابن كثير:** قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغَرَانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظَنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم.**(المرجع السابق. ص 441. ج5)**

ويكفينا أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل. **وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال:** لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته، فقائل يقول: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول: قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول: بل حدث نفسه فسها، وآخر يقول: إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل؛ قال: ما هكذا أقرأتك. وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك؛ قال: والله ما هكذا أنزلت. إلى غير ذلك من اختلاف الرواة. ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية.

أما من جهة المعنى، فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم، ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام، وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم. أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر، أو سهوا وهو معصوم من هذا كله. هذا وجه.. **ووجه ثان:** أنه قد علم من عادة المنافقين، ومعاندي المشركين، وضعفة القلوب، والجهلة من المسلمين، نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة، وتعيرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة. ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة. **ووجه ثالث:** ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إليكَ لِتفْتَرِيَ علينا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلا} **الإسراء73.**
ونزلت:{وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إليهمْ شَيْئاً قَلِيلا} **الإسراء74.**

وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه، حتى يفترى وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم. فمضمون هذا ومفهومه: أن الله تعالى عصمه من أن يفترى، وثبته حتى لم يركن إليهم

قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله عليه وسلم: افتريت على الله وقلت ما لم يقل. وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح، فكيف ولا صحة له. وممن أنكرها الإمام ابن خزيمة وقال: هذا من وضع الزنادقة. وهذا هو الصواب.

وقال ابن حزم في الفصل: وأما الحديث الذي فيه: وأنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى. فكذب بحت موضوع لأنه لم يصح قط من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد.

وأما قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان الآية. فلا حجة لهم فيها لأن الأماني الواقعة في النفس لا معنى لها وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم إسلام عمه أبي طالب ولم يرد الله عز وجل كون ذلك فهذه الأماني التي ذكرها الله عز وجل لا سواها وحاشا لله أن يتمنى نبي معصية وبالله تعالى التوفيق.

كما أن قول الشيطان: تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى. للنبي صلى الله عليه و سلم قَبله منه، فالتبس عليه الشيطان بالملك، و اختلط عليه التوحيد بالكفر، حتى لم يفرّق بينهما، وهذا كفر لا يجوز وروده من عند الله، فضلًا عن أن يجهل النبي صلى الله عليه و سلم حال القول، ويخفى عليه قوله ولا يتفطن لصفة الأصنام بأنها: الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتجى. وقد علم علمًا ضروريًا أنها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تنطق ولا تضر، ولا تنفع ولا تنصر ولا تشفع، بهذا كله كان يأتيه جبريل الصباح والمساء، وعليه انبنى التوحيد ولا يجوز نسخه من جهة المنقول، فكيف يخفى هذا على الرسول؟! ثم لم يَكْفِ هذا حتى قالوا: إن جبريل عليه السلام لما عاد إليه بعد ذلك ليعارضه فيما ألقى إليه من الوحي كررها عليه جاهلا بها -تعالى الله عن ذلك- فحينئذ أنكرها عليه جبريل، وقال له: ما جئتك بهذا! فحزن النبي صلى الله عليه و سلم وأنزل عليه: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إليكَ لِتَفْتَرِيَ علينا غَيْرَه} **الإسراء 73.**

وقوله: كاد يكون كذا. معناه قارب ولم يكن فأخبر الله في هذه الآية أنهم قاربوا أن يفتنوه عن الذي أوحي إليه، ولم تكن فتنة، ثم قال: لِتَفْتَرِيَ علينا غَيْرَه. ولم يفتر، ولو فتنوك وافتريت لاتخذوك خليلًا، فلم تفتتن ولا افتريت ولا اتخذوك خليلًا.

أهذا كلام يقوله نبي؟!

يقول القمني: ومن ثم تصبح حياة المسلم محكومة بالأدعية وإبراز العبادة لله طوال الوقت وإثبات النبوة لنبيه طوال الوقت، لكن ما ليس مهما عند الفرقة الناجية أن يكون المسلم عنده أخلاق أو حسن معاملة صادقة فهذا مما لا يخرج المسلم من هذه الفرقة، **بتأكيدهم لحديث نبوي لا تعرف كيف يصدر عن نبي يقول فيما يزعمون: لا يدخل ابن آدم الجنة بعمله.** أفلا يفسر لنا هذا مستوى الأخلاق في بلاد المسلمين بعد انتشار التجديد الوهابي؟ **(أهل الدين والديمقراطية. ص80)**

هذه أيضا خرافة جديدة من تخريفات السيد القمني؛ فالرجل يستنكر أن تكون حياة المسلم محكومة بالأدعية وإبراز العبادة لله وإثبات النبوة لنبيه طوال الوقت؟! ألا تعلم يا رجل أن الله لم يخلقنا إلا من أجل هدف واحد وغاية واحدة هي عبادته: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} **الذاريات56.**

ثم ما يغيظك ويحرق دمك يا رجل عندما ترى المسلمين يذكرون الله كثيرا؟! لا أعلم. ثم انظروا إلى قوله: أن سوء الأخلاق لا يخرج المسلم من الفرقة الناجية؛ ألم يبلغك أي آية أو حديث نبوي يحض الناس على الأخلاق وحسن معاملتهم لبعضهم البعض؛ مثلا؛ قوله صلى الله عليه وسلم: أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن. أو قوله عليه السلام: وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل.. الحديث. أو قوله عليه الصلاة والسلام: أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم. أو قوله: إن أقربكم مني منزلا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا في الدنيا. ويكفينا في هذا الباب قوله عليه السلام: إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا؛ وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة. أرأيت: حسن الخلق عند الله كالصلاة والصوم!! ثم دعك أيها القارئ من كل هذا وتعالى لترى هذه الطامة الكبرى التي يلقي بها القمني على عقولنا وقلوبنا عندما يستنكر حديث صحيح لمجرد أنه استعصى عليه فهمه؛ فيقول: **بتأكيدهم لحديث نبوي لا تعرف كيف يصدر عن نبي يقول فيما يزعمون: لا يدخل ابن آدم الجنة بعمله.** أفلا يفسر لنا هذا مستوى الأخلاق في بلاد المسلمين بعد انتشار التجديد الوهابي؟ **وللقمني أقول:** بل هذا يفسر لنا مستوى الجهل والإصرار على الضلالة لديك فقط!! فالحديث صحيح صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو: مروي عن عائشة رضي الله عنها وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لن يدخل أحد الجنة بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل. ولقصور فهمك؛ دعني أشرح لك معنى الحديث الذي تنكر؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم يريد من خلال هذا الحديث أن يعلم المؤمنين أننا نعبد الله تعالى ونحسن في هذا العمل على قدر الطاقة والمستطاع لأن هذا هو حق الله تعالى علينا؛ فليس مقابل عملنا الجنة؛ لأننا مهما عبدنا الله تعالى فلن نوفيه ذرة أو أقل من نعمه علينا؛ والله تعالى يؤكد في الآية تلو الأخرى أن من

يدخل الجنة يدخلها بالعمل؛ وأن من يدخل النار يدخلها كذلك بالعمل؛ فتجده تعالى في كتابه الأخير كثيرا ما يؤكد: {وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون} **الأعراف43**. {ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}**النحل32**. {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}**الزخرف72**. وقال في أهل النار:{وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}**السجدة14**. ولكن يبقى أن يتواضع الإنسان وأن يرجوا رحمة ربه مهما كان عمله؛ لأن أول درجات الهلاك هو الكبر والفخر بالعمل. أو بعبارة أخرى لنكون مثل أبو بكر الذي قال وهو من بشره ربه بالجنة: لو كانت إحدى قدمي في الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله. أو كما قال تعالى: {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون}**الأعراف99**.

وأخيرا أذكر القمني -لعل الذكري تنفعه- أن من كذب على رسول الله فقال أنه قال كذا وهو عليه السلام لم يقله يتساوى مع من كذب على رسول الله فقال أنه لم يقل كذا وهو عليه السلام قد قاله؛ وكلاهما حق عليه قوله عليه السلام: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

الإسـلام والـطب

ينتقد القمني افتتاح أي كلام أو حديث بقول بسم الله الرحمن الرحيم، ويعترض على تعليق الأطباء المسلمين لآية: وإذا مرضت فهو يشفين؛ **فيقول:** وإذا كانوا على صحيح الاعتقاد باليقين فلماذا هم أطباء حتى الآن مادام هو يشفين؟.. ويرى القمنى أن فقهنا يرى أن نترك التداوي توكلا على الله أفضل ويكره إكراه المريض عليه.**(أهل الدين والديمقراطية. ص 88)**

يمارس القمني التدليس والغش كعادته؛ فهو:

أولا: ينكر أن الله تعالى هو الذي يبتلي الإنسان بالمرض؛ وأن الله تعالى هو من يشفيه من المرض؛ وأن الدواء ما هو إلا وسيلة للشفاء وليس هو في نفسه الشفاء. وإلا لو كان الدواء هو الشفاء ما مات أحد.. وكذلك نجد الرجلان مبتليان بمرض واحد هو هو؛ ويأخذون الدواء هو هو؛ وقد يشفى أحدهم ولا يشفى الآخر وقد يموت. فمن شفى هذا وأمات ذاك إلا الله تعالى وليس الدواء.

ثانيا: يكذب القمني على الله ورسوله فيقول أن فقهنا -الذي هو بيان لديننا- يحض الناس على ترك التداوي والتوكل على الله؛ وهذا والذي نفسي بيده كذب ما بعده كذب؛ ولما لا والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم. وتداووا هنا أمر من الله ورسوله؛ فنحن مأمورون أن نطلب الدواء. وقال صلى الله عليه وسلم: تداووا فإن الذي خلق الداء خلق الدواء. فالله تعالى هو من خلق الأمراض، وهو سبحانه من خلق الأدوية. فلماذا عندما نمرض نطلب التداوي عند الأطباء وكلنا يقين أننا لو شفينا أن الله تعالى هو من شفانا؟! لا أعلم.

أما عن قول القمني: وماذا عن موقف الأطباء المتأسلمين من دعوة المبادرة إلى إقامة علمنا على شرعنا، وشرعنا يقول غير ما يقول طبهم، وعليهم أن يختاروا هذا أو ذاك، فيقول الفقه الحنبلي: إن أكثر مدة للحمل هي أربع سنين لأنها أكثر ما وجد، وأقل مدة حمل هي ستة أشهر. وما انتهي إليه الفقه الحنفي: إن أقل مدة حمل ستة أشهر وأكثرها سنتان. بل وكان الإمام مالك نموذجا لهذا الحمل المعجز فقد كان حمله سنتين!! **(أهل الدين والديمقراطية. ص 92)**

أما قول القمني: أن شرعنا يقول غير ما يقول الطب، وعلينا أن نختار هذا أو ذاك. فهذا منتهى الكذب وقمة التزوير؛ فالله تعالى هو صاحب الشرع وهو المشرع وحده سبحانه وتعالى. وفي مسألة الحمل هذه فقد قال تعالى فيها بنص قطعي الدلالة كما هو قطعي الثبوت: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}**الأحقاف15.** أرأيت يا قمني: حمل الإنسان وفطامه يكون في مدة أقصاها ثلاثون شهرا؛ وفي آية أخرى يحدد الله تعالى المدة القصوى للفطام بأربعة وعشرون شهرا في قوله: {وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} **لقمان14**. ومن هاتين الآيتين وضع الفقهاء القاعدة أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر؛ أما عن أقصى مدة للحمل فلم يجزم غالبية

الفقهاء بها؛ ولما كنا في زمن العلم الحديث والطب المتطور وجب علينا أن نترك تلك المسائل الطبية إلى أهلها ومتخصصيها؛ فإن قالوا أقصى مدة للحمل هي كذا؛ وجب علينا التسليم بها. أما عن قول بعض أو قلة قليلة من الفقهاء بتحديد فترات عن المدة القصوى للحمل فهي كانت منهم إجتهادًا بوسائل عصرهم وبإمكانياته الضئيلة المحدودة؛ والتي منها السمع؛ كأن يخبره أحدهم أن امرأة ولدة في الشهر العاشر أو العشرين فيأخذ الفقيه من هؤلاء ما سمع ويضعه كحد أقصى للحمل؛ ولا شك أن هذه المسائل الطبية في عصرنا هذا لا يمكن أخذها بالسمع والشائعات؛ فلا جرم أن نسأل أهل الطب في مسائل هم أدرى الناس بها وأعلم الناس بها لا نأخذها من فقيه أو عالم دين. أما حكاية الامام مالك وحمل أمه فيه سنتين فهذه التقطها القمني كعادته من مزابل التراث ولا أصل ولا صحة لها..

كيف يظن القمني في ربه؟

لم يختلف المسلمون الأوائل في نظرتهم وفهمهم لربهم سبحانه وتعالى؛ فكانوا جميعا رضي الله عنهم ينسبون إلى الله تعالى كل صفات الجمال والكمال وينفون عنه كل صفات النقص؛ ولا يقولون عنه سبحانه إلا ما قاله هو سبحانه عن نفسه من أسماء وصفات؛ أو قال عنه نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ يقفون عند ما وقف عنده؛ ويلتزمون بما ألزمهم به دون الخوض في التفاصيل.

فلن تجد أحدهم مثلا يسأل الرسول عليه السلام كيف هو ربنا؟ أو مما هو؟ أو كيف يستوي على العرش؟ وما إلى ذلك من الشطحات العقلية التي كان يتميز بها أهل الكلام والمعتزلة وغيرهم من المذاهب الباطنية المنحرفة الفكر والعقيدة؛ وعلى هذا استمر فكر علماء أهل السنة والجماعة؛ فكانوا يتوقفون كلما شعروا بأن السؤال فوق حدود العقل وطاقة الخيال البشري المحدود مثل إمام أهل المدينة مالك بن أنس الذي أوثر عنه قوله في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**طه5**. أما الإستواء فمعلوم وأما الكيف فمجهول. فالرحمن على العرش استوى أي ارتفع وعلا استواء يليق بجلاله وعظمته. هذا هو المعلوم من قوله تعالى؛ أما السؤال كيف؟! فهو مما لا يمكن وصفه أو الكلام عنه لأن الله تعالى هو أعظم سر في الوجود كله، وحق على العاقل أن يحترم حدود عقله؛ وإلا كان يهرف بما لا يعرف. أو كما **قال ابن حزم الأندلسي:** العقل لا يحكم به على خالقه؛ لكن يفهم به أوامره تعالى ويميز به حقائق ما خلق فقط.

ولكن ما هو موقف القمني مما نقول الآن؛ تعالى نتعرف؛ يقول القمني: وكوننا ننزه الله فإن السنة يجسدون الله ويرون له يدا وبصرا وأنه يجلس على عرش تحمله الملائكة.. إلخ وهو ما اختلف فيه معهم المعتزلة تنزيها لله فكفرهم أهل السنة لهذا التنزيه، وكون المسيحية قد أنسنت الإله فإن هذه الأنسنة في كثير من الفلسفات اقتراب رباني من العباد وتواضع إلهي بغرض خلاص المؤمن، وفي النهاية هي عقيدة لا تجبر أحدا على اعتناقها ولا تقتل من يرفضها ويخرج عليها.. والمسيحية لا تقدس شرب الخمر إنما ترمز بنبيذ غير مختمر لدم المسيح في طقس المناولة، كما أن الإسلام لم ينصح باجتناب الخمر إلا متأخرا بعد أن شربه جميع الصحابة الأكارم، ولم يكن محرما في شرائع الله عند الأنبياء السابقين والإسلام سمح بالزواج من المسيحيات لأننا من سيركب، ولم يسمح بالعكس..**(أهل الدين والديمقراطية. ص124)**

بالطبع أعتذر للقارئ الكريم عن هذه اللغة المنحطة التي قرأت من قول القمني ولكن الرجل بما فيه ينضح!! على العموم تعالوا لنتعرض لما خطته يمينه؛ أولا الرجل يتهم أهل السنة والجماعة زورا وبهتانا وافتراءا -يشهد عليه الله تعالى ورسوله والمؤمنين- فيتهم القمني أن أهل السنة الذين نزهوا الله تعالى عن الجسد والمادة وكل ما هو ينسب إلى مخلوق. يقول عنهم أنهم جسدوا الله ويرون له يدا وبصرا وأنه يجلس على عرش تحمله الملائكة.. **ويقول في سطور أخرى:** ومن قبيل التهم المعروفة بالخروج على هذا المعلوم

بالضرورة ما جاء عند الإخوانجي الأشهر السيد سابق في كتابه فقه السنة، أو وهي إنكار رؤية الله يوم القيامة، لذلك فمن أراد أن يقرأ نصوص القرآن بتأويل يترفع بالله إلى مستوى كماله فلا ينزله منزلة الحس المرئي وينكر عليه التجسد لما فيه من نقص، يكون قد أنكر معلوما من الدين بالضرورة عند السدنة الكهنة.. إذ أن الإصرار على تجسيد الله هو مذهب أهل السنة وحدهم خاصة فرعه الحنبلي وتجديده الوهابي. وهو ما تخالفهم فيه معظم فرق المسلمين طوال تاريخ المسلمين. **(أهل الدين والديمقراطية. ص 251)**

يا سبحان الله الرجل لا يقدر ولا يستطيع حتى أن يخفي مدى كرهه للإسلام وأهله وخاصة أهل السنة والجماعة فتراه يدلس عليهم ويخلط الحابل بالنابل كي يضلل المسلمين ضعاف العلم والعقل والإطلاع عن العقيدة الصحيحة التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة والتي هي الفرقة الناجية كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهل يرى أهل السنة والجماعة أن لله تعالى يدان؟

الإجابة: نعم؛ فكما قال تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان}**المائدة64**. ولقوله:{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَي} **ص75**. ولكن كيف هما اليدان؟ الإجابة: الله تعالى أعلى وأعلم.

هل له تعالى عين وأعين؟ الإجابة: نعم لقوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}**طه39**. ولقوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} **القمر14**. أما كيف تلك العين والأعين، الله تعالى أعلى وأعلم.

هل تعالى يجلس على عرش تحمله الملائكة كما زعم القمني؟

الإجابة: لا. بل الله تعالى مستوي على عرش تحمله الملائكة؛ وذلك لقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}**طه5**. ولم يقل على العرش جلس.. وأما كيف استوى؟ الله تعالى أعلى وأعلم.

والعرش تحمله الملائكة؛ لقوله: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشِ}**غافر7**. وعددهم ثمانية ملائكة؛ لقوله: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَة}**الحاقة17**.

هل سيرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ نعم لقوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة} **القيامة 22-23**. أما كيف سنراه؟ فالإجابة الله تعالى أعلى وأعلم.

هذا ما التزم به أهل السنة والجماعة؛ يجب على كل من آمن بالله تعالى أن يعلم ويؤمن بكل ما جاء في كتاب الله الكريم وفي السنة النبوية الصحيحة من صفات الله تعالى وأسماءه مع إثباتها لله تعالى على الوجه الذي يليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فالله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير} **الشورى11**.

وصفات الله تعالى عند أهل السنة تنقسم إلى قسمين:

الأول صفات ثبوتية: وهي الصفات التي أثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والكلام فيجب إثباتها لله حقيقة على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى.

الثانية صفات سلبية: وهي ما نفاها الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه سبحانه وتعالى كالموت والجهل والنسيان والسهو وغيرها مما يجب نفيها عن الله مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل. فمذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثل صفات الله تعالى بصفات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، فيعطلوا أسماءه الحسني وصفاته العليا، يحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته.

أما ما قاله القمني في الدفاع عن النصارى وعن كل من أنسن الإله من الفلاسفة وبأنه اقتراب رباني لعقول البشر؛ وهجومه على أهل التوحيد الصحيح أهل السنة والجماعة لا يدع لنا مجال للشك في عقيدة الرجل والتي هي على ما يقول هي عقيدة مختلة بكل المقاييس.. أما قوله أن الخمر لم يكن محرما في شرائع الأنبياء السابقين!! فهذا قول كاذب يحتاج من الرجل إلى برهان وهو ما لم يأت به ولن يأت به؛ فهل لدى السيد القمني دليل أو نص يفيد أن نبي من أنبياء الله شرب الخمر أو أمر بشربها!! والله تعالى يقول: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. وأرجو من الله أن لا يأتي القمني في هذا الصدد بالآيات التوراتية المكذوبة الضالة التي حدثت عن أنبياء سكيرين ومجرمين وزناة..

أما قوله أن جميع الصحابة الكرام كانوا يشربون الخمر في الجاهلية وأول الإسلام؛ فهو أيضا قول كاذب فكان هناك من الصحابة من حرم على نفسه الخمر كأبي بكر وعثمان وغيرهما؛ وإن كان هناك من شربها فلا بأس فكانت غير محرمة في الإسلام حتى حرمها الله.

الإسلام امتداد للجاهلية

هكذا يرى القمني الدين الإسلامي الحنيف؛ أنه امتداد للجاهلية. هو يرى أن الإسلام: قد استمد معظم شرائعه إن لم يكن كلها من شرائع العرب قبل الإسلام بعد هذب بعضها القليل جدا وشذ به لأنه ما كان ممكنا نقل شعب بكامله إلى شرائع لا يعرفها أو تناقض ما ألفه..**(أهل الدين والديمقراطية. ص124)**

ليس هذا فقط بل يحذرنا وينصحنا الرجل من السخرية من عقائد الأخرين؛ وليس هذا من باب احترام عقائد الناس أو من باب لا يسخر قوما من قوم؛ لا بل لأن في عقائدنا ما يستدعي السخرية منه؛ **يقول:** فلا سبيل هنا للسخرية من عقائد الأخرين، لأن لدينا الكثير في تراثنا يستحق منهم السخرية بينما هو عقائد عزيزة علينا ونؤمن بها عن يقين كالتداوي ببول الجمل، وناقة صالح التي ولدتها صخرة، والحصان الطائر المعروف بالبراق..**(المرجع السابق. ص124)**

الرجل يرى أن إيماننا بناقة صالح التي أخرجها الله تعالى من صخرة هو أمر يستدعي السخرية من ديننا!! حتى أن الله تعالى قال أن سر منعه لإرسال الآيات الظاهرة كآية الناقة تلك التي طلب الناس من نبيهم صالح أن يخرجها لهم من صخرة هو أن يأتي أمثال القمني هذا ويكذبوا بها: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفا}**الإسراء59.**

أما الحصان الطائر المعروف بالبراق؛ وهو من مخلوقات الله تعالى التي لا يمكن أن نرى لها مثيل في الأرض فهو مخلوق سماوي ملائكي قد أخبرنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم لما حمل عليه في رحلة الإسراء والمعراج؛ ولولا أن رسول الله عليه السلام أخبرنا عنه ما صدقنا ولا وقع في عقولنا أن هناك مخلوقات مثله في الوجود، ولكنه لما أخبرنا عنه وجب علينا تصديقه وإلا فكيف نكون مؤمنين؟!

وعن التداوي ببول الإبل فهو كان نصيحة نبوية أو وصفة نبوية لأهل عرينة الذين قدموا المدينة وكان بهم من الأمراض فكان نصح رسول الله عليه السلام لهم أن يشربوا من ألبان وأبوال إبل الصدقات؛ وهذا أمر طبي من الدرجة الأولى والكثير من العلماء والباحثين قد أثبتوا بالفعل فوائد التدواي بألبان وبول الإبل كتلك التحاليل المخبريه التي دلت على أن بول الجمل يحتوي على تركيز عالي من البوتاسيوم والبولينا والبروتينات الزلالية والأزمولارتي وكميات قليلة من حامض اليوريك والصوديوم والكرياتين وأوضح أن ما دعاه تقصي خصائص البول البعيرى العلاجية هو أنه رأى أفراد قبيلة يشربون ذلك البول حينما يصابون باضطرابات هضمية واستعان ببعض الأطباء لدراسة البول الإبلي فأتوا بمجموعة من المرضى وسقوهم ذلك البول لمدة شهرين وكانت النتيجة أن معظمهم تخلصوا من الأمراض التي كانوا يعانون منها يعني ثبت علميا أن بول الجمال مفيد إذا شربته على الريق. كما توصل أوهاج إلى أن بول الجمال يمنع تساقط الشعر..

أما من يكذّب الرسول في بعض ما صح عنه فعليه مراجعة عقيدته قبل أن يتصدر للناس بالكتابة والشرح!!

والآن تعالوا نتعرف عن الشرائع الإسلامية التي يرى السيد القمني أنها امتداد لشرائع العرب الجاهلية: الرجل يرى أن الإسلام والقرآن قد قدس النجوم والكواكب: وغني عن البيان أن يوم الزهرة (الجمعة) الذي أسماه الجاهليون اعتزازا (يوم العروبة) أصبح في المأثور الإسلامي يومه الأسبوعي المقدس، إضافة إلى أنه قد جاء في الآيات القرآنية تقديس واضح للكواكب الخمس السيارة، في قولها: فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس.. ويذكر ابن الكلبي أن النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ذكر العزى (الزهرة) يوما؛ فقال: **لقد أهديت للعزى شاة عفراء و أنا على دين قومي**. ويعلق إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان يأكل مما ذبح على النصب، فإنما فعل أمرا مباحا.. **ويقول:** وغني عن الإيضاح أن الرقم 7 قد نال حظوته القدسية في الإسلام، والقرآن الكريم ثري بالآيات التي تجعل لهذا الرقم مكانة خاصة، (طبقات السماء، والأرض، ودرجات الجنة، وأبواب االعالم الآخر، وكذلك السنابل السبع، والبقرات السبع.. الخ) كذلك نجد في التفاسير الإسلامية القرآنية صدى لما اعتقده البابليون في قدرات الزهرة الجنسية وتمكنها من ملكاتها الجسدية الإغوائية، وقد جاء في سورة البقرة: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان.. وفي التفاسير القديمة تفسير الطبري الذي يورد قصة تشرح هذه الآيات يمكن إيجازها في الآتي: وأنه لما وقع الناس من بعد آدم في الضلال، شرعت الملائكة تطعن في أعمالهم فأراد الله أن يبتلي الملائكة أنفسهم، فأمرهم باختيار ملكين من أعظم الملائكة علما وزهدا وديانة، فاختاروا هاروت وماروت وأهبطا إلى الأرض بعدما ركبت فيهما شهوات الإنس، وأمرا أن يعبدا الله ولا يشركا به أحدا، ونهيا عن قتل النفس والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من المعصيات، وفي الأرض عرضت لهما امرأة هي الزهرة، فغلبت عليهما الشهوة، فأقبلا عليها وراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأخرجت لهما صنما يعبدانه ويسجدان له فامتنعا وصبرا ردحا، ثم أتياها وراوداها عن نفسها، فأبت ثانية واشترطت عليهما إحدى ثلاث، إما عبادة الصنم أو قتل النفس أو شرب الخمر، فقالا كل ذلك لا ينبغي، ثم احتدمت بهما الشهوة فآثرا أهون المطالب وهو شرب الخمر، فسقتهما حتى أخذت الخمر منهما ووقعا بالزهرة، وهنا مر بهما إنسان فخشيا الفضيحة فقتلاه، وبشاءان الصعود إلى السماء بعد ان عرفا وقوعهما في الخطيئة فلا يستطيعان، ويكشف الغطاء بينهما وبين الملائكة في السماء، فتنظر الملائكة إلى ما وقع فيه هاروت وماروت من الذنب فيعجبون كل العجب ويأخذون في الاستغفار لمن في الأرض من البشر، ويروى أنها طلبت منهما (أي الزهرة) تعليمهما الكلام الذي يصعدان به إلى السماء فعلماها، وعرجت بهذا الكلام السري إلى السماء، وهناك نسيت الكلام الذي تنزل به فبقت مكانها، وجعلها الله هذا

الكوكب الجميل، أما هاروت وما روت فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لأنه ينقطع فجعلا ببابل يعذبان منكوسين في بئر إلى يوم القيامة.. ويروى عن عبد الله بن عمر أنه كلما رأى الزهرة يلعنها؛ ويقول: هذه التي فتنت هاروت وماروت. وفي الحديث عن عبد الله بن عمر: أن النبي إذا رآها كان يقول: طلعت الحمراء فلا مرحبا ولا أهلا.**(الأسطورة والتراث. ص91-92)**

أعتقد أنه لم يعد هناك مجال للشك في مصادر القمني فالرجل لا يدع يوسّخ السطور بمداد لا يظهر إلا كل ما هو ضعيف وموضوع وباطل ولا أصل له عن السنة المحمدية المطهرة؛ ولا يسعني هنا إلا أن **أتذكر كلمات الألباني وهو يقول**: إن السنة التي لها هذه الأهمية في التشريع إنما هي السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالطرق العلمية والأسانيد الصحيحة المعروفة عند أهل العلم بالحديث ورجاله. وليست هي التي في بطون مختلف الكتب من التفسير والفقه والترغيب والترهيب والرقائق والمواعظ وغيرها فإن فيها كثيرا من الأحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة وبعضها مما يتبرأ منه الإسلام. مثل حديث هاروت وماروت وقصة الغرانيق.

وبناء عليه فكلمات القمني السابقة والتي تؤكد تقديس القرآن والإسلام للنجوم والكواكب وتقديسهم للرقم سبعة وهذا اللغو عن الزهرة وعن الملكين هاروت وماروت كل هذا زيف وكذب على الله ورسوله؛ بل وتقشعر منه ذوائب المؤمنين..

ويستمر القمني في ضلالته وكذبه: سين كبير آلهة حضرموت.. وبعض المتخصصين في اللغات السامية وعلمائها، يرون أن الاسم هو ياسين، وهو ما يستدعي التساؤل: هل هناك علاقة بين سين أو ياسين وما جاء في القرآن الكريم: يس والقرآن الحكيم.. هذا إضافة إلى ما يجب وضعه في الاعتبار عن اعتياد القرآن الكريم القسم بمقدسات عرب قبل الإسلام وتمجيدها، مثل قسمه بالشمس والقمر صراحة، وبالكواكب الخمس المعبودة المعروفة بالخنس الجوار الكنس في قوله: فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس. أو كما في قوله: فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم.. وقد كان من أسماء الإله القمر لدى عرب الجنوب الاسم شهر، وكان منتشرا بدوره في كل اللغات السامية كعلم على إله القمر في حالة الهلال، ولم يزل مستعملا إلى الآن في اليمن، وقد جاء بنفس الاسم والمعنى في القرآن الكريم في قوله: فمن شهد منكم الشهر فليصمه. بمعنى من شهد منكم الهلال؟! **(الأسطورة والتراث. ص147-148)**

وعند هذه النقطة تذكرت مقولة كان يدلس بها بعض المستشرقين على غير المسلمين الذين لا يعلمون شيئا عن الإسلام فكانوا يقولون لهم أن المسلمين وثنيين يعبدون القمر!! ألا ترونهم على كل مأذنة وجامع يضعون رمز الهلال؟!! فلا فرق بين ما قاله القمني وبين ما يقوله هؤلاء المستشرقين المضللين؛ **يقول القمني:** وظل القمر دوره واحترامه في الإسلام، بعد أن تحول من إل أو الله إلى آية من آيات الله، فوضع

فوق المآذن مع النجمة رمزا للزهرة؟! وظلت الشهور قمرية، والحج قمريا، والصيام قمريا بدويا كامل الجوع، بل ظن أكثر الناس أن العلة في صيام الأيام البيض لأن لياليها مقمرة لولا أن الفقهاء لا حظوا ذلك؛ فقالوا: إن العلة الحقيقية هي آن آدم هبط إلى الأرض مسودا من الذنب فناداه مناد من السماء أن يصوم ثلاثة أيام هي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشهر القمري، وهي الليالي المقمرة تماما فعاد أبيض..**(الأسطورة والتراث. ص166)**

كلاهما -المستشرقين والقمني- يكذبان الكذبة ويصدقانها ثم يطرحان أدلة نصفها وضعوها من خيالهم ونصفها الآخر استخرجوها من مزابل التاريخ والتراث ويقدمونها للناس على أنها البحث العلمي والدليل الوحيد الذي لا أدل منه.. ولو توقفنا عند كل كذبة من كذبات هؤلاء ما وسعنا في الرد عليهم عشرات بل مئات الأوراق والتي لن تزيد المطالع إلا ثقة ويقين بانحراف هؤلاء وأمثالهم وكذبهم وغشهم الذي تطفح به كتبهم ومقالاتهم.. فمثلا كلمة ياسين الواردة في القرآن والتي اجتهد القمني في إيجاد تفسير وأصل لها؛ مع ان عامة المفسرين والعلماء قد أجمعوا على أن: يس. هي حروف مقطعة عبارة عن حرف الياء وحرف السين؛ مثلها مثل مطلع سورة البقرة: ألم. وغيرها من الحروف المقطعة في أوائل السور لا يعلم مرادها إلا الله تعالى، ولا تفسير لها نعلمه. ولا دخل لها ولا صلة بإله وثني قديم اسمه ياسين أو سين!!

أما ما ورد ذكره عن الشمس والقمر والنجوم في كتاب الله فهو لا يخرج عن الآيات التالية: أن الشمس والقمر والليل والنهار كلهم خلق من مخلوقات الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} **الحج33**. وأن كل هؤلاء خلق مسخر لنا بأمر الله: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون} **الحج12**. وأنهم آيات لقوم يعقلون: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون} **الحج37**. أما قسمه تعالى بنفسه أو بخلق من مخلوقاته فهذا مما لا يسأل عنه سبحانه؛ فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وهذا مما يجوز له سبحانه ولا يجوز لنا؛ فحرام على المسلم أن يقسم إلا بالله تعالى.

وعلى العموم هو سبحانه بالفعل لا يقسم إلا بعظيم من مخلوقاته؛ عظيم في الخلق وليس عظيم في المكانة إذ أن كل شيء بعد الله سبحانه وتعالى هو مخلوق من مخلوقاته وعبد من عبيده؛ ونحن المسلمون لا نقدس تقديس العبادة إلا ما هو لله تعالى فقط. والله تعالى في كتابه أقسم بالعديد من المخلوقات؛ وكذلك أقسم بنفسه كما جاء في قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُون} **المعارج40**. و{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَة} **المعارج2**. و{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّس} **المعارج15**. {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَق} **المعارج16**. {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَد} **المعارج1**. وغيرها من الآيات..

أما قول القمي عن رسول الله أنه أهدى للعزى شاة عفراء وهو على دين قومه!!!! فهو قول عجيب غريب صادم؛ أمعنى هذا الكلام أن الرسول عليه السلام كان على دين قومه؛ معناه أنه كان يعبد الأصنام ويهدي لها القرابين؟؟!! أهذا كلام يقوله مسلم موحد؟! أو هذا كلام يمكن أن يعتقده مسلم موحد؟!!

سأترك الإجابة والرد إليك أيها القارئ المطلع ولكن بعد أن نؤكد أن هذا الحديث موضوع كاذب منكر لا صحة له ولا وجود له من الأساس..

ثم يستمر القمني في شرحه لنا عن الإسلام الذي هو امتداد طبيعي للجاهلية عقيدة وعمل فيقول عن الحج: والعجيب حقا أن الروايات الإسلامية عندما أرادت تفسير السر في استمرار تقديس الصفا والمروة في الإسلام، واستمرار السعي بينهما في شعائر الحد الإسلامي واستبدلت الذكر إساف والإنثى نائلة، بذكر وأنثى مرة أخرى، ممثلين في آدم وحواء ليقوما بالفعل الجنسي بدلا من إساف ونائلة، حيث أمر الله جبريل أن يُنزل آدم من على الصفا وحواء من على المروة إلى خيمة نصبت موضع البيت وهناك جميع بينهما في الخيمة وساعتها أضاء قضيب الخيمة الذي كان من ياقوت أحمر، ثم أمر الله جبريل بعد هذا الجمع أو الجماع أن ينحي آدم وحواء عن موضع البيت ليرفع مكانه قواعد البيت فهبط جبريل مرة أخر وأخرجهما من الخيمة وبنى البيت بحجر من الصفا وحجر من المروة. أو بمزيج من الذكر والأنثى؟.. وإن العقل ليتسائل أمام مشهد ألوف الرجال والنساء يتجهون إلى الجبل ليبيتوا هناك جميعا حتى الصباح: ما وجه القدسية في هذا الطقس؟ إن لم يكن من قبل ذلك تجمعا لممارسة طقس الجنس الجماعي طلبا للغيث والخصب، مع ملاحظة أن عرفة يطلق عليه الجمع عرفات، ولا نعرف جبلا يجمع اسمه إلا عرفات؟! فهل الجمع هنا للجبل أم المجتمعين على الجبل في حالة جماع أو عرفات يماثلون به الفعل الأول الذي قام به إساف عندما عرف نائلة أو آدم عندما ضاجع حواء أو إله القمر إل عندما جامع الشمس إلات. وهذه حقيقة ثالثة نضيفها إلى الرصيد.. ولو عدنا إلى طقوس الحج الجاهلي فسنجد طقسا عجيبا ومثيرا، وهو أنهم كانوا يطوفون حول البيت الإلهي ذكورا وإناثا عراة تماما، فما الداعي لهذا العري إن لم يكن بغرض يستحق العري؟ وعندما جاء الإسلام جعل للإحرام زيا لا يستر إلا العورة، بل وحرم لبس المخيط وكره لبس الطيلسان المزرر للمحرم.. وهناك رواية إسلامية تقول: إن الحجر الأسود كان أبيض لكنه اسود من مس الحيض في الجاهلية؟. أي أنه كان هناك طقس لدي الجاهليين تؤديه النساء في الحجر، وهو مس الحجر الأسود بدماء الحيض، ودماء الحيض بالذات؟!! وطقس عجيب آخر هو الاحتكاك بالحجر الأسود. بل إن كلمة حج مأخوذة أصلا من فعل الاحتكاك فهي في أصلها من ح ك، مع الأخذ بالاعتبار هيئة الحجر الأسود وشكله.. ثم ما الداعي لطقوس أخرى مثيرة في الحج الجاهلي، ولا معنى لها إلا في ضوء احتفالات الخصب والجنس، مثل طقس الشرب من زمزم، وحتى الاسم زمزم وهو من الزمزمة والزمزمة

صوت الرعد الذي يسبق المطر، وما لزوم طقس حلق الشعر وبالذات عند المروة الذي لا يمكن فهمه بالمرة إلا في ضوء طقوس الخصب الجنسية القديمة، والذي كان بديلا عن الجنس الجماعي.. إضافة إلى الذبح كطقس أساس وصلاة الغيث وإهداء الجواري للكعبة والذي استمر في صدر الإسلام.. **(الأسطورة والتراث. ص161-162)**

والله ما رأيت مثيل لهذا الكم من التخريف والجهل؟!!

ولكل نقطة مما ساقها القمني في السطور السابقة رد يفيد مدى الجهل المستحكم داخل عقل هذا الرجل؛ مثلا تعريفه لأصل كلمة الحج بأن مصدرها حك من الاحتكاك!!

والصحيح أن: كلمة حج من الكلمات السامية الأصلية العتيقة، وقد وردت في كتابات مختلف الشعوب المنسوبة إلى بني سام. كما وردت في مواضع من أسفار التوراة وهي تعني قصد مكان مقدس وزيارته. وليس لدينا ويا للأسف أخبار مدونة عن مناسك الحج وشعائرة عند الجاهليين. لعدم ورود شيء من ذلك في النصوص الواردة إلينا. ما خلا الحج إلى بيت الله الحرام بمكة؛ حيث حفظت الموارد الإسلامية لنا شيئا من ذلك، بسبب فرض الحج في الإسلام، واقرار الإسلام لبعض شعائره التي لم تتعارض مع مبادئه ولولا ذلك لما عرفنا شيئا عن الحج إلى مكة عند الجاهليين.

ونريد من القمني الذي اتهم الإسلام بنقله كافة شرائع الجاهلية في الحج كما هي؛ نريد أن نسأله: أي شريعة جاهلية في الحج قد نقلها الإسلام؟ عن أي قبيلة وجماعة؛ فقد كان لكل منهم طريقة وشريعته في الحج؛ وانفردت قريش بأمور من أمور الحج، واعتبرتها من مناسك حجها. وأوجبت على من يفد إلى مكة للحج، مناسك معينة سنتحدث عنها. فلما ظهر الإسلام وحد مناسك الحج وثبتها. وأوجب على كل مسلم اتباعها.

مثلا نقطة السر وراء طواف الناس عرايا حول الكعبة؟ أهل التاريخ قالوا أن السر وراء هذا الطواف العاري هو أنهم كانوا في الجاهلية لابد وأن يطوفوا في ملابس أهل مكة القرشيين أو سكان الحرم أو الأحماس أو الأحامس رجال الدين منهم، فمن لم يجد طاف عريانا لأنه يرى أنه يجب أن يتجرد من كل الآثام والمعاصي حتى أنه يرى أن ملابسه قد علق بها من الأدران والآثام ما لا يستقيم معه الطواف!! **فقال أهل التاريخ:** والأخباريون يذكرون أن الطائفين بالبيت كانوا على صنفين: صنف يطوف عريانا، وصنف يطوف في ثيابه. ويعرف من يطوف بالبيت عريانا بالحلة أما الذين يطوف بثيابهم فيعرفون بالحمس.. وهم يذكرون أن الحلة هم ما عدا الحمس وأنهم كانوا يطوفون عراة إذ لم يجدوا ثياب أحمس، وكانوا يقولون: لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب ولا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها، ولا نطوف في ثياب عصينا الله فيها.. **وجاء في بعض الروايات:** كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس، والحمس قريش وما

ولدت، كانوا يطوفون بالبيت عراة، إلا أن تعطيهم الحمس ثيابا، فيعطي الرجال الرجال، والنساء النساء. فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوبا ولا يسار يستأجر به، كان بين أحد أمرين: إما أن يطوف بالبيت عريانا، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه عنه، فلم يمسه أحد. وكان ذلك الثوب يسمى اللقيّ. وجاء أيضا أن الحمس كانوا يقولون: نحن أهل الحرم، فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا.. وقد منع الإسلام طواف العري في أي وقت كان، وحتم على الجميع قريش وغيرهم لبس الإحرام. وقد ذكر علماء التفسير في تفسير قوله تعالى: وإذا فعلوا فاحشة، قالوا وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها. قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون. إن هذه الآية نزلت في حق المتعرين الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة، فإذا قيل لهم: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها. فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم ونستن بسنتهم. والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فيه. فنحن إذن أمام سنة جاهلية قديمة، ترجع طواف العري إلى أمر سابق وشريعة سابقة..

قد يظن القارئ أننا قد نتجنى في القليل على القمني عندما يخدع ويدلس في التاريخ لينقض الدين؛ ولكن هذا هو فكر القمني وما نضح منه فوق السطور؛ إسمع لقوله هذا أيها القاريء عن تبدل الآيات القرآنية والعبادات الإسلامية من حكم إلى حكم وفق استراتيجيات النبي الهاشمي: ومن ثم كانت التراجعات التي اعترفت بمقدسات القرشيين والتي كانت تعد وثنيات، كالاعتراف بالكعبة، ثم في فتح مكة يتم تقديس الكعبة ذاتها وحجرها الأسود، وشعائر الوثنين القديمة كالطواف والسعي وتكريس المقامات والمواضع كالصفا والمروة وعرفات. لقد باتت الدولة بحاجة إلى معبد مؤسسي له تاريخه، بعد الرجوع عن القدس (أورشليم) معبد يجتمع عنده جميع العربان، لكنه معبد قريش قبيلة الرسول في المقام الأول وسدنته الهاشميون آل البيت.**(حروب دولة الرسول- ج2. ص 50- ط2- مدبولي الصغير) ويقول:** وتصعق قريش مأخوذة عندما ترى النبي ذلك الذي حاصرها اقتصاديا وقتل أفلاذ كبدها وفكك عرى إيلافها، وأعلن كفرانها يسلك مسالكها وينسك مناسكها ويهل بشعائرها، فيسعى بالبيت، وبالصفا والمروة، وهو ما فاجأ المسلمين أنفسهم، فكما كانوا يرون أنهم بعائدين إلى شعائر الجاهلية ومناسكها.. ومن ثم لزم النبي شعائر قومه، لكنه توجها بالإعلان الجديد واحتواها وتضمنها في الأداء العلني لدولته النبوية ممثلا في الأذان الإسلامي: ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه في القضاء ودخل البيت لم يزل فيه، حتى أذن بلال الظهر من فوق الكعبة..**(المرجع السابق- ج2. ص 285)**

أسمعت لهذا القول: إن الكعبة من الوثنيات!! والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات من شعائر الوثنين القديمة!! ولماذا أيها الدكتور المنور المتنور؟! أعتقده سيجيب لأن الناس في الجاهلية كانوا يحجون

إلى الكعبة؛ ويطوفون بها ويسعون بين الصفا والمرة وينحرون الهدي في ساحتها ويقفون بعرفات ويرمون الجمرات إلخ.. ولكن دعني أسألك أيها النجم الغابر: ومن بنى الكعبة ونادى في الناس في الحج؟ ومن قبل من أمر بالبناء وأمر بالحج؟ ومن سن تلك الشعائر والنسك ومن أين بدأت؟

دعني أجيب: أمر الله تعالى نبيه إبراهيم وولده النبي إسماعيل برفع قواعد الكعبة: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيل} **البقرة 127**، وأمره أن ينادي ويؤذن في الناس بالحج: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق} **الحج27**. وأمر بالذبائح توزع لحومها على الفقراء والمساكين وعابري السبيل: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عليها صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَ} **الحج36**. وأنه سبحانه من شرع لنا السعي ورمي الجمرات إلى آخر ذلك من شعائر الحج إلى البيت الحرام: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّه} **البقرة158**. فإذا بدل الناس دين الله واتخذوا العباد والأصنام والحيوان بديلا عن الله الواحد الأحد، وحجوا إلى البيت بعقائدهم الوثنية؛ وبأصنامهم المجلوبة؛ وعكروا مناسك الحج بأماثيل الوثنية والشرك؛ فإن كل هذا وأكثر لا يجعل الكعبة وثن أو يجعلها من الوثنيات في شيء، ولا يجعل الكعبة ولا الحجر الأسود شيئا مقدسا تقديس الإله أو أسمائه أو كلامه؛ فالمسلمون يعرفون أن نفس الإنسان المؤمن وحرمة ماله أعظم حرمة عند الله من الكعبة، عن عبد الله بن عمرو؛ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة؛ ويقول: ما أطيبك، وما أطيب ريحك، ما أعظمك، وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه. وأن الحجر ما هو إلا حجر أو كما قال عمر بن الخطاب عندما جاء إلى الحجر فقبله؛ فقال: إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر؛ ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك. **ولعلمك يا قمني:** فالكعبة ليست معبد العربان؛ بل هي معبد المسلمين في كافة بقاع الأرض؛ إن كنت لا تعلم!! **قال القمني:** معبد يجتمع عنده جميع العربان، لكنه معبد قريش قبيلة الرسول في المقام الأول وسدنته الهاشميون آل البيت.

وله أقول: وكأن الله تعالى شرع لنبيه وللمؤمنين معه الصلاة إلى بيت المقدس ثم أمر بتحويله عنها إلى الكعبة؛ فهذه أرضه سبحانه وهذا أمره وتلك قبلته يفعل ما يريد، فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون: {سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عليها قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِب} **البقرة142**. وفي هذا إشعار بأن الشأن كله لله في امتثال أوامره؛ فحيثما وَجَّهَنا تَوَجَّهْنا.

المرأة بين القمني والإسلام

لا يرى القمني دين أو ملة ظلمت المرأة كما ظلمها الإسلام وحقر من شأنها في كل أمرها؛ **فتجده يقول:** وإن أحسنت المرأة المسلمة إيمانها، وأحصنت فرجها، وأمتعت سيدها الذكر وأطاعته؛ دخلت يوم الدينونة إلى عالم الخلد خالدة أبدا، لكن في خدمة السيد الذكر مرة أخرى ومن أجل متعته، وضمن حريمه في جنة رضوان اللائي يصل عددهن إلى المئات وربما الألوف في أحاديث منسوبة لنبي الإسلام. وإن تلك المنحة الخالدة لا تتسم إلا بالإيمان رأسه وقمته طاعة الرجل الكاملة والخضوع له والتسليم لسيادته في الدنيا الفانية، لتضمن لنفسها بذلك مكانا بين حريم الجنة في الآخرة الباقية.. **(السؤال الآخر. ص166)**

الرجل يجعل من يقرأ تلك الكلمات المسمومة يظن أن دين الإسلام هو امتداد للأديان الوثنية السابقة فهو يتكلم عن الدين وكيف أنه فرق بين الذكر والأنثى بل وجعل الذكر شريك لله في العبادة وأوجب على الأنثى بعد إمتاعه طاعته المطلقة شرطا لدخولها جنة الخلد!! وهذا والذي نفسي بيده منتهى التدليس والكذب؛ فلم يبلغ الرجل ذلك الحديث النبوي الجامع: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.. واللفظ واضح بيّن لا يقبل تأويل ولا يحتاج حتى تفسير.. لا طاعة لأي مخلوق؛ في معصية الله تعالى الخالق، فكيف يمكن أن يقبل أن يدعي القمني أن الإسلام أوجب على الأنثى طاعة زوجها الذكر في كل أمر؟!! فالإسلام قد أمر المرأة بطاعة زوجها ولا طاعة في معصية؛ والإسلام وجب احترام الزوجة لزوجها؛ وأوجب على الرجل احترام زوجته والإحسان إليها في عشرتها ومعاشها؛ أوجب عليه كفالتها ولو كانت غنية؛ فقد كفل الإسلام للمرأة الذمة المالية الكاملة المتساوية تماما مع الرجل، أوجب عليه إشباعها جنسيا -لأن القمني مولع بالكلام عن الجنس- ولو لم يفعل كان عند الله آثما، وأباح للمرأة طلب الطلاق إذا ما أصابها ضرر من الرجل، وأباح لها الخلع منه لو لم يصبها ضرر ولكن لو استحالت العشرة بينهما حتى لو لسبب عاطفي، هذا قبس من حقوق المرأة في الإسلام والسؤال الآن ما يضير القمني لو أن المرأة المسلمة احتسبت أجر طاعتها لزوجها -فيما ليس فيه معصية- عند الله تعالى. والله تعالى الذي أمرها بهذه الطاعة قد عظم أجرها حتى جعل ثوابه الجنة ونعيمها؟!! وفي المقابل أوجب على الرجل حب زوجته والصبر عليها والترفق بها؛ ولنا في رسول الله أسوة حسنة؛ **يقول الأستاذ العقاد:** وإنما نخلص ما أوجبه النبي على المسلمين عامة في معاملاتهم لزوجاتهم هي دون ما أوجبه على نفسه في معامة زوجاته بكثير: فكان يشفق أن يرينه غير باسم في وجوههن.. ولم يجعل من هيبة النبوة سدا رادعا بينه وبين نسائه، بل أنساهن برفقه وايناسه انهن يخاطبن رسول الله في بعض الأحايين، فكانت منهن من تقول له أمام أبيها: تكلم ولا تقل الا حقا.. ومن تراجعه أو تغاضبه سحابة نهارها، ومن تبلغ في الاجتراء عليه ما يسمع به كعمر ابن الخطاب في شدته فيعجب لهم ويهم بأن يبطش بابنته حفصة لأنها تجترئ كما يجترئ الزوجات الأخريات. وإذا رأى النبي

غضبا كهذا من جرأة كتلك كف من غضب الأب وقال له: ما لهذا دعوناك! وقد كان يتولى خدمة البيت معهن أو كما قال: خدمتك زوجتك صدقة.

أتعلم يا قمني أن المرأة التي تطيع الرجل في كل شيء كما تصورها أنت في سطورك السابقة وهي تفعل ذلك من أجل هذا الرجل لا تفعله من أجل أمر الله تعالى لم يقع لها عند الله تعالى من أجر؛ سيقول الله تعالى لها: قد فعلت ما فعلت كي يقول زوجك والناس أنك زوجة كذا وكذا وقد قالوا فليس لك عندي من أجر. لماذا؟ لأنها أشركت بالله تعالى ذلك الزوج تماما مثلها في ذلك أمثال هؤلاء؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة: رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها؛ قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال فلان جريء فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها؛ قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها؛ فقال: ما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب كما أردت أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكن ليقال إنه جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه فألقي في النار.

والقاسم المشترك بين هؤلاء جميعا هو عدم الإخلاص في الطاعة والعبادة لله تعالى وحده؛ قال تعالى في الحديث القدسي: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه.

وإذا كان مازال عند قارئي الكريم شك في قولنا أن القمني يصور الإسلام كدين وثني فاقرأ السطور التالية؛ يقول القمني: وعندما جاء الإسلام كان الموقف من المرأة قد تأسس قدسيا؛ فالذكر هو المخلوق الأول وهي الثاني، وهي قطعة منه خلقت من أجله، وتمت إعادة حواء إلى زمن الخطيئة الأولى الأسطوري ليمركز الشر كله حولها، فهي شيطانة غواية لأنها رفيقة إبليس، وهي لا تتحكم بشهواتها ولا تكون مع رجل إلا وكان الشيطان ثالثهما، حتى قصص الأنبياء تخبرنا أن نساءهن قد وقعن في الخطيئة مثل امرأة لوط وامرأة نوح وهاروت وماروت أغوتهما امرأة وكانا ملائكة مكرمين وولدا آدم تقاتلا على امرأة، فالمرأة تخضع للشهوة لا للعقل، ميولها للخيانة طبيعية ومن الطبيعي أن تخون، فهي أحد أربعة خوانين في مأثور يقول: أربعة لا أمان لها: المال ولو كثر، الحاكم ولو قرب منك، الدهر ولو صفا، المرأة ولو طالت عشرتها. خلقت من ضلع أعوج، وناقصة عقل ودين، وشهادتها نصف شهادة الرجل، وميراثها نصف ميراث الرجل: ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. حديث نبوي. والكهنة رسل الشيطان والنساء مصايده. حديث نبوي. هي مجرد جسد ومتاع للمتعة كأي متاع، أصبح منها أن لا تفكر فهناك من

يفكر بالنيابة عنها. هي مجرد فرج لذلك هي حرمة وحرام، صوتها عورة ورضا زوجها عنها رضا من الرب والناس. والمرأة النموذج هي التي لا تعرف عن نفسها سوى كونها عورة وحرم لا يجوز لمسه إلا لصاحبه المالك الأوحد الأب ثم الزوج. وهي ناقصة دين لأنها نجسة وطبيعتها النجس والفعل الجنسي معها يؤدي إلى النجس كالموت فكلاهما يستوجب الاغتسال الكامل مع بعض الدعوات المنجيات والآيات المطهرات ودم الحيض يغطيها بالدنس لذلك ترفع عنها أثناء فترة الحيض أو النفاس بعد الولادة كل التكاليف التعبدية لا تصلى، لا تصوم. وبينما يحتسب ذلك بسبب نجاسة الدم، **نظن من جانبنا أن ذلك إنما هو بقايا زمن قديم كان فيه الدم سر سيادة الأنثى وألوهيتها..** وفي عهد الجاهلية الأخير عشية الإسلام كان الدم الحيضي لم يزل مقدسا، وكان نسوة العرب يطفن بالكعبة ويمسسن بدم الحيض حجرها الأسود تقديسا له وتواصلا مع الذكر السماوي لكن كتبنا التراثية تسجل لحظة التبخيس فتقول: إن الحجر الأسود كان أبيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية. **(السؤال الآخر. ص188)**

ويهمني الآن قبل الخوض في بعض ما قاله القمني أريد أن أصحح هذا الحديث الأخير؛ فهو لا أعلم ما هو ولا من أين أتى به؟!! فالصحيح هو قوله صلى الله عليه وسلم: كان الحجر الأسود أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا بني آدم.

على العموم هذا هو فكر القمني عن الدين السماوي الأخير الإسلام ونظرته الدونية إلى المرأة؛ مما يدفعنا دفعا إلى الدفاع عن الإسلام وذكر المميزات التي زين بها الإسلام كل النساء؛ وكيف أنه هناك سورة في القرآن بإسمهن؛ وكيف أنه حرم وأد البنات في الجاهلية وحرم معاملتهن على أنهم متاع أو حيوانات أو أي شيء يصرف عنهن صفة الإنسانية؛كما أقرت الحضارة الرومانية أن المرأة تكون رقيقاً تابعاً للرجل ولا حقوق لها على الإطلاق؛ وكانت المرأة في أثينا تعد من سقط المتاع فكانت تباع وتشترى وكانت تعد رجساً من عمل الشيطان. ومن قبلها قررت شرائع الهند القديمة: أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي والنار خير من المرأة؛ وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها -الذي هو سيدها- فإذا رأت جثمانه يحرق ألقت بنفسها في نيرانه وإلا حاقت عليها اللعنة.

أما المرأة في اليهودية فقد جاء الحكم عليها في العهد القديم ما يلي :درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً؛ ولأعرف الشر أنه جهالة؛ والحماقة أنها جنون؛ فوجدت أمرّاً من الموت: المرأة التي هي شباك؛ وقلبها شراك؛ ويدها قيود. **(سفر الجامعة؛الإصحاح7:25؛26)** ومن المعلوم أن العهد القديم يقدسه ويؤمن به اليهود والنصارى.

أما عن نظرة المسيحية للمرأة فحدث ولا حرج: فقد عقدت الكنيسة مؤتمرات عديدة وغريبة لبحث أمر هذا الكائن (المرأة)، ففي القرن الخامس عقد مؤتمر ماكون للنظر هل للمرأة روح أم لا؟ و قرر المؤتمر

خلو المرأة عن الروح الناجية. **وقال القديس جيروم:** المرأة عندما تكون صالحة تكون رجلا. أي شذت عن مثيلاتها الإناث فكانت مثل الرجال. وفي عام 586 م عقد مؤتمر لبحث إنسانية المرأة، ثم قرر المؤتمر بأغلبية صوت واحد بأن المرأة إنسان خلق لخدمة الرجل. وبعد ظهور البروتستانت في القرن السادس عشر عقد اللوثريون مؤتمراً في وتنبرج لبحث إنسانية المرأة. وقد انعكست هذه الصورة القاتمة للمرأة على القوانين المدنية و التي كانت تفرض غير بعيد عن رأي القسس و الأساقفة ، فقد بقيت المرأة في القانون الإنجليزي تباع من زوجها لآخر بست بنسات و استمر هذا القانون سارياً حتى عام 1805م؛ فيما اعتبر قانون الثورة الفرنسية المرأة قاصراً كالصبي و المجنون ، و استمر ذلك حتى عام 1938م.

أما في الجاهلية قبل الإسلام فكانوا يورثون الذكور دون الإناث، فالنساء في الجاهلية لا يرثن من الآباء، وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وإن كان ذكرا، وقد ذكر بعض العلماء أن آية: للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون. أنها نزلت في أم كحة وابنة كحة وثعلبة وأوس ابن سويد، وهم من الأنصار. كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها. فقالت: يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته، فلم نورث! فقال عم ولدها: يا رسول الله لا تركب فرسا، ولا تحمل كلأ ولا تنكأ عدوا يكسب عليها، ولا تكتسب. فنزلت: {لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضا}**النساء7**.

وإن كان الله تعالى قد فرض للذكر المتساوي في الرتبة ضعف نصيب الأنثى فهذا أمر الله تعالى أولا وأخيرا والمال مال الله يوزعه بين الناس كيفما شاء؛ ولا يجب أن ننسى أن الله تعالى قد فرض كذلك على الرجل كفالة المرأة فهي إما زوجته أو ابنته أو أمه أو أخته وكل هؤلاء هن ضمن مسئوليته وكفالته ولو كن أغنياء. فضاعف الإرث للرجل وضاعف معه مسئوليته في كفالة نسائه وجعل للمرأة نصف إرث الرجل المتساوي معها في الرتبة وأعفاها من كل المسئوليات المالية.. فهل هذا عدل؟ بالطبع كل فعل الله تعالى عدل وإنصاف.. ولو مات الرجل وترك مثلا بنتان وزوجة وعشرة أعمام ذكور؛ فللزوجة الثمن، وللبنتان الثلثان وللأعمام العشرة ما يتبقى. وإن كانت بنت واحدة فلها النصف. هذه صورة لإرث النساء في الإسلام. وفيها أن المرأة قد تأخذ أضعاف الذكر أو كل الذكور.. فأين ذكر هذا يا قمني؟!

يقول الأستاذ العقاد: وإنما تعرف مكانة المرأة التي وصلت إليها بفضل محمد ودينه، متى عرفت مكانة المرأة التي استقرت عليها في الجاهلية، ومكانة المرأة التي استقرت عليها في عصره وبعد عصره وبين أمم أخرى غير الأمة العربية. وقياسان اثنان كافيان لبيان الفارق البعيد بين ماكانت عليه المرأة في الجاهلية وما صارت إليه بعد رسالة محمد: كانت متاعا يورث ويقسم تقسيم السوائم بين الوارثين، فأصبحت بفضل الإسلام ونبيه صاحبة حق مشروع، ترث ولا تورث ولا يمنعها الزواج أن تتصرف بمالها وهي في

عصمته كما تشاء. وكانت وصمة تدفن في مهدها فرار من عار وجودها، أو عبثا تدفن في مهدها فرار من نفقة طعامها. فأصبحت إنسانا مرعيّ الحياة ينال العقاب من ينالها بمكروه. ولم تكن في البلاد الأخرى بأسعد حظا منها في البلاد العربية فلا نذكر شرائع الرومان واستبعادها النساء. ولا نذكر المتنطسين في صدر المسيحية وتسجليهم عليها النجاسة وتجريدهم اياها من الروح، وكفى أن نذكر عصر الفروسية الذي قيل فيه أنه عصر المرأة الذهبي بين الأمم الأوروبية، وأن الفرسان كانوا يفدون النساء بالدم والمال..

فهذا العصر كان كما قال الدارسون له: عصر الحصان قبل أن يكون عصر المرأة أو عصر السيدة المفداة. **وقد أجمله جون لانجدون دافيز صاحب التاريخ الموجز للنساء فقال:** أن عصر الفروسية كان معروفا بما لحظ فيه من فقدان الشبان على الجملة الاهتمام بالجنس الآخر.. ففي سنة 1790 بيعت امرأة في أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تؤويها. وبقيت المرأة إلى سنة 1882 محرومة حقها الكامل في ملك العقار وحرية المقاضاة.

وكان تعلم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجل، فلما كانت إليصابات بلاكويل تتعلم في جامعة جنيف سنة 1849 وهي أول طبيبة في العالم كان النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقارا لها كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها..

وهكذا تقدم الغرب إلى أوائل عصرنا الحديث ولم تتقدم المرأة فيه تقدما يرفعها من مراغة الاستعباد التي استقرت فيها من قبل الجاهلية العربية.

فماذا صنع محمد؟

وماذا صنعت رسالة محمد؟

حكم واحد من أحكام القرآن الكريم أعطى المرأة من الحقوق كفاء ما فرض عليها: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف. وحكم آخر من أحكامه العالية أمر المسلم باحسان معاشرتها ولو مكروهة غير ذات حظوة عند زوجها: وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. وأباح لها الدين في الجهاد أن تكسب كما يكسب الرجال: للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن.

ولم يفضل الرجل عليها إلا بما كلفه من واجب كفالتها واقامة أودها والسهر عليها.. أما محمد فقد جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم: أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم. وأمر بمداراة ضعفها ونقصها: المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها. وأوجب على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها في المنظر الذي يروقها.. وبلغ من رعاية شعورها ومداراة خجلها الذي فطرت عليه أنه أوجب الرجل أن يمتعها كما تمتعه لأنها لا تطلب لنفسها ما يطلبه الرجل منها..

القمني وحروب الردة

كانت الخطبة الأولى لأبو بكر الصديق خليفة الرسول عبارة عن ميثاق أو دستور بينه وبين من آمن ووقع تحت سلطته الدنيوية؛ والتي كان شرطها الهام والأهم هو أن طاعته مرتبطة بطاعته هو لله ورسوله؛ فإن لم يطع الله ورسوله فلا طاعة له عليهم.. وكلنا نعلم كيف لعب الجهل والنفاق والعصبية القبلية الدور الأكبر في ردة الكثير من قبائل العرب عن دين الإسلام..

ونعلم كيف كان الوضع الحرج الذي وضعت فيه الدولة الإسلامية الناشئة؛ وكيف كان الوضع الحرج الصعب الذي كان فيه الخليفة الأول والقائم على أمر المسلمين؛ إزاء مخاطر خارجية متمثلة في الفرس والروم؛ ومخاطر أعظم داخلية من منافقين ومرتدين وأتباع متنبئين كاذبين وكلهم ينهشون في جسد الإسلام دينا ودولة.. **يقول الأستاذ العقاد واصفا حال الأمة حين ذاك وموقف الخليفة من كل ما يجري:** وجاءت حروب الردة التي هي مفخرة أبي بكر الكبرى غير مدافع، أو هي مفخرته الخاصة التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الإسلامية بغير شريك.. وقد سبقت هذه السابقة في فريضة من فرائض الإسلام وإن لم تكن فريضة الزكاة: سبقت في فريضة الصلاة، وذهب أناس من المثقفين يعرضون على النبي إسلامهم على أن يعفيهم من الصلاة، فقال عليه السلام: إنه لا خير في دين لا صلاة فيه. وكذلك لا خير في دين لا زكاة فيه، فإذا جاء المرتدون يزعمون أنهم مسلمون يقبلون فرائض الإسلام ولا يقبلون الزكاة فليس أبو بكر بالذي يقبل منهم ما يزعمون.. وأناس منهم آمنوا بالزكاة ولم يؤمنوا بمن يؤدونها إليه، واحتجوا بآيات من القرآن الكريم حرفوها إلى المعنى الذي أرادوه، ومنها: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عليهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عليم}**التوبة103**. قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا! وأبوا أن يدفعوها وإن علموا أن دفعها فريضة من فرائض الدين، فهم لم ينكروا الفريضة ولكنهم أنكروا الجباة.

وبعد أن سرد العقاد الأسباب المختلفة في ردة الكثير من الأقوام من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ مؤكدا أنه لو كان نجاح الدعوة الإسلامية نجاح سلاح أو دهاء أو عصبية لقد كان أصغر متنبئ من أدعياء الردة خليقا أن يطمع في هذا النجاح، لأنهم بدأوا دعوتهم ومعهم من جموع القبائل التي تعتز بعصبياتها مالم يتهيأ لصاحب الدعوة المحمدية قبل عدة سنين، وصدقهم أناس كانوا يقولون إن نبيا كاذبا منهم خير من نبي صادق من مضر أو قريش؛ **قال:** وأحزم الحزم في تلك الفتنة عقابه للمرتدين الذين مردوا على العصيان ولم يستجيبوا نصيح المودة ولا استجابوا نذير الجزاء؛ فقد كان العقاب أليق شيء بالوزر الذي اجترموه ومردوا عليه: أناس قد استوهنوا سلطان الدين وبخلوا بالمال فبلغ من شحهم به أنهم أنكروا حقوق الدين كله في سبيل حصة من الزكاة، فجزاؤهم أن يشهدوا من بأس ذلك السلطان

ما يعتبرون به ولا ينسونه مدى الحياة، وأن يفقدوا المال الذي من أجله تبادروا إلى الفتنة واستبقوا إلى العصيان. فاستبيحت ديارهم ومراعيهم ومساقيهم ووهبت عطايا للمجاهدين، ولأن خالد في بعض المواقع وأبو بكر الوديع الرفيق لا يلين، وضع القصاص فيمن تجاوزا منه الزكاة إلى قتل المسلمين بين ظهرانيهم، فلم تأخذه فيهم هوادة بعد إصرارهم على العصيان واعتدائهم بالقتل وإعراضهم عن النصيح والنذير. جزاء حق لأنه من جنس العمل. استهانة يقابلها بأس، وبخل بالمال يقابله ضياع للمال، ونفس بنفس، ومجاهدون مخلصون يؤثرون الإيمان على عروض الدنيا أخذا بثأرهم من عصاة غادرين يؤثرون الدنيا على الإيمان.. **قال أبو رجاء البصري:** دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول له: أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا، قلت: من المقبل ومن المقبل؟ قالوا: هو عمر يقبل رأس أبي بكر في قتال أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين.. كان عمر يقول لصاحبه: يا خليفة رسول الله؛ تألّف الناس وارفق بهم! كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه؟

وكان أبو بكر يقول: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا (الأنثى من أولاد المعز) لقاتلتهم على منعها.. ويملكه الغضب فيصيح بصاحبه: يا ابن الخطاب، رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك؟ أجبار في الجاهلية وخوّار في الإسلام؟! إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أوّ ينقص وأنا حي؟

ولكن فيما يمكن اعتباره طامة كبرى وتزييف للتاريخ وعرضه في صورة البحث العلمي وهو في حقيقته لا هو بحث ولا يمت للعلم بصلة فهو إلى الكذب والزيف أقرب يتعرض القمني لحروب الردة التي قادها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق أبو بكر **فيقول بمنتهى الجراءة في الكذب والإقدام بالزور:** لقد صرخت القبائل العربية في الجزيرة منذ فجر خلافة وا إسلاماه تستغيث بالمسلمين لرد جيوش الدولة عن ذبحها وسبي حريمها وأطفالها لبيعهم في أسواق النخاسة، تلك القبائل التي تمسكت بحقها الذي أعطاه لها ربها بالقرآن في الشورى والمشاركة الفاعلة في العمل السياسي، فرفضت خلافة أبي بكر (القلة بتعبير عمر بن الخطاب) لأنها تمت بدون مشورتهم ولا ترشيح أحد منهم ولا أخذ رأيهم فامتنعوا عن أداء ضريبة المال للعاصمة تعبيرا عن موقفهم، لكنهم عملوا برأي الإسلام فجمعوا الزكاة ووزعوها على فقرائهم في مضاربهم التزاما بهذا الركن الإسلامي بجوار صلاتهم وقيامهم ببقية الأركان المطلوبة، كلا لم يعفها ذلك من جز الرقاب والحصد بالسيف والإذلال بالسبي لنساء وأطفال مسلمين ومسلمات والصراع هنا لم يكن حول الإيمان والكفر بل كان الشأن شأن سياسة دنيوية لا علاقة لها بالدين لا علاقة بها بالعدل.. ورغم الجميع قد تواطأ السدنة مع السلطان ضد تلك القبائل ليؤسسوا في التاريخ المذهب السني

الذي وجد فرصته في مكان سيادي بجوار الحاكم فقام بتحويل الخلاف السياسي خلاف ديني، واعتبر أن محاربة هؤلاء واجب ديني لأنهم قد كفروا وارتدوا عن الإسلام لا لشيء إلا لأن هكذا كان قرار الخليفة، ولأن هذا الخليفة كان الصديق صاحب رسول الله وصهره ووزيره الأول، فألبسوا الخليفة أولا ثوب القدسية ولو ضد منطق الإسلام الذي لا يقدس بشرا، ثم ألبسوا القرار قدسية الخليفة، ثم أصدروا قرارهم بتكفير هذه القبائل بتهمة الردة عن الإسلام..**(أهل الدين والديمقراطية. ص66)**

يرى القمني أن هؤلاء المرتدين الذين نكثوا ما عاهدوا الله عليه ورسوله يراهم ضحايا لديكتاتورية أبي بكر -صاحب قرار الحرب عليهم- وكيف أن باقي الصحابة -السدنة كما يسميهم- وافقوه على هذا الظلم البّين لأناس أرادوا أن يتلاعبوا بدين الله تعالى وأن يتقبلوا منه ما يوافق هواهم وشحهم؛ وأن ينكروا منه ما لا يوافق هواهم!! **يقول القمني:** النموذج البكري في حرب الردة التي رفض فيها مشورة الصحابة، وكان كلهم صحابة، وكان كبارهم على ذات الدرجة من السابقة في الإسلام والجهاد، ولم يكن لأحد هؤلاء الكبار أن يتخذ هذا القرار أو يأمر به، بل كان القرار قرار أبي بكر..**(المرجع السابق. ص107)**

نعم ولنعم القرار كان قرار الخليفة الأول؛ وهكذا سيقول كل منصف رجّاع إلى الحق؛ إن هؤلاء الذين يدافع عنهم السيد القمني ويلبسهم أثواب الأغنام ويلبس الصديق أبو بكر وصحابة رسول الله ثياب الذئاب؛ هؤلاء المرتدين جاؤوا إلى الخليفة في المدينة وعرضوا عليه شروطهم في بقائهم في الإسلام؛ وشروطهم هي أن يقيموا الصلاة وألا يؤتوا الزكاة؛ فرفض أبو بكر وقال مقولته الشهيرة: لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه. فعادوا وأخبروا عشائرهم بقلة أهل المدينة وأطمعوهم في اقتحام عاصمة الدولة الاسلامية الناشئة؛ فألهم الله تعالى الخليفة أبو بكر بطمع المرتدين فيهم فجمع من في المدينة وقال لهم: إن الأرض كافرة؛ وقد رأى وفدهم منكم قلة؛ وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً! وأدناهم منكم على بريد. وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم؛ وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا. فلم تمر الليلة الثالثة حتى تحققت شكوك أبو بكر وأغار المرتدين على المدينة ليلا؛ ولأن المسلمين كانوا مستعدين لهم فتصدوا لهم وطاردوهم حتى بلغوا منطقة قريبة من المدينة؛ وقد كان المرتدين قد تركوا جماعة منهم في تلك المنطقة وفاجأوا المسلمين فنفرت إبل المسلمين وهم عليها وانقلبت الابل على عقبيها حتى دخلت المدينة مرة أخرى ولكن لم يقتل مسلم ولم يصاب أحد ليلتها. **قال ابن الأثير في كامله:** وقال عبد الله الليثي ؛ وكانت بنو عبد مناة من المرتدة -وهم بنو ذبيان- في ذلك الأمر بذي القصة (بفتح القاف والصاد المهملة المشددة ، وهو موضع قريب من المدينة المنورة) :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا — فيا لعباد الله ما لأبي بكر!

أيورثها بكراً إذا مات بعده — وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فظن القوم القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى أهل ذي القصة بالخبر؛ فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم، وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي أراده، وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر ليلته يتهيأ، فعبى الناس، ثم خرج على تعبية من أعجاز ليلته يمشي.. فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم؛ فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظهرهم؛ وقتل حبال واتبعهم أبو بكر؛ حتى نزل بذي القصة -وكان أول الفتح- ووضع بها النعمان ابن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة فذل بها المشركون؛ فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين؛ فقتلوهم كل قتلة؛ وفعل من وراءهم فعلهم. وعز المسلمون بوقعة أبي بكر، وحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين كل قتلة؛ وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة. ثم لم يصنع إلا ذلك؛ حتى ازداد المسلمون لها ثباتاً على دينهم في كل قبيلة.. **وعن القاسم بن محمد، قال:** لما أراح أسامة وجنده ظهرهم وجموا، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم، قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواء.. ففصلت الأمراء من ذي القصة، ونزلوا على قصدهم، فلحق بكل أمير جنده، وقد عهد إليهم عهده، وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدة. فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام؛ فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له؛ ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم؛ لا ينظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم؛ فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف؛ وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله؛ فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان؛ وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام؛ فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله؛ فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم؛ لا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول.

هذه هي رسالة أبو بكر إلى كل الناس في حدود دولته المسلمة؛ يأمرهم بأمر الله وينهاهم عما نهاهم عنه الله. وهذا هو نطاق سيادته كرئيس شرعي لتلك الدولة المسلمة؛ فكان قرار أمن دولة وسيادة ومن قبل

هو عملا بشرع الله الذي أوجب على الناس فروض وحد لهم حدود فمن يتعدي تلك الفروض والحدود وجب على ولي الأمر محاربته ومقاومته وإلا ما كانت هناك دولة ولا بقى هناك دين؛ قرار حكيم وصعب تحمل أبو بكر مسؤوليته الكاملة وأنقذ به الله تعالى الإسلام ودولة المسلمين وحفظ على يديه دين الله تعالى فمن نحن حتى نشكك في قرار قد ثبت التاريخ قبل العقلاء من الناس صحته وحكمته وبعد نظره ووجاهته؟!! ومن هذا القمني حتى يدعي كذبا وزورا أن ردة هؤلاء وثورتهم الضالة على الدين والدولة كان رفضا لشرعية الصديق؟؟!! ولم تكن منهم نكوثا عن دين الله وأمره فآمنوا ببعض الدين وكفروا ببعض؛ وحق على من آمن بالله أن يسلم بما أمره به الله.. فما بالك من تعدي على المسلمين وبيوتهم وقراهم وسلب منهم أموالهم ونسائهم وأطفالهم؟؟!!

حتى وصل بهم الحد إلى التعدي على عاصمة الدولة الإسلامية وأغاروا عليها لولا أن الله تعالى قد ألهم الخليفة الصديق أن يتحذّر منهم ويحتاط لغدرهم لضاعت الدولة ولضاع الدين.. ورغم هذا حذرهم الخليفة ودعاهم إلى العودة إلى دين الله وآمنهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا إلا القتال والفساد في الأرض؛ فمن أنت بل ومن نحن جميعا أيها القمني لنحكم على الصديق؟!!

اسمع لقول القمني هذا: حد الردة الذي لم يعرفه الإسلام والمسلمون إلا في زمن الخليفة الأول أبي بكر، ولذلك لشأن سياسي تاريخي معلوم للكافة.. وتم وضعه لتحقيق شأن سياسي لصالح خلافة أبي بكر وبهدف القضاء على المعارضين لخلافته باسم الإسلام، والإسلام مما حدث بريء، ويربطون حد الردة بقاعدة الخروج عن معلوم من الدين بالضرورة الذي هو بدوره قاعدة فقهية بشرية لا علاقة لها بزمن النبوة.**(أهل الدين والديمقراطية. ص 251) ويقول:** حد الردة وهو ليس من الدين في شيء. بالطبع لابد من العودة هنا إلى زمن حرب دولة المسلمين في الزمن البكري للمعرضين الذين منعوا الزكاة عن العاصمة وتم وصمهم بالردة. ولأن أبا بكر أمر بقتالهم وقتلهم فكان الاستنتاج هو أن تكون عقوبة الردة هي القتل نسبة للفعل البكري ومن الطبيعي أن يتساءل المسلم: هل كان أبو بكر شخصا مقدسا يمكن أن يضع للمسلمين شرائع جديدة وحدودا جديدة؟ ألا يعني ذلك أن الرسول قد قصر في تبليغ رسالته فجاء بعده من يستكملها، وهو ما لا يستقيم مع مفهوم أي رسالة.. وحارب (أبو بكر) مسلمين لم يتنكروا لإسلامهم وقاتلهم وقتلهم ومثل بهم. هنا لم يكن من حل سوى تقديس شخص الخليفة حتى تتقدس أفعاله ويصبح فعله شريعة إسلامية. وهنا يقول قرضاوي: فما أجمله القرآن من أمور بينته السنة النبوية وأكدته سنة الراشدين المهديين، الذين اعتبرت مواقفهم في فهم الإسلام وتطبيقه من السنن الواجبة اتباعها لأنهم أقرب الناس إلى المدرسة النبوة. **يقول القمني:** وهو ما يعني تقديس أشخاص الراشدين الأربعة، ومن ثم تقديس أفعالهم التي تحولت إلى شرائع وحدود أضيفت للإسلام وتم تقديسها، ومن ثم تصبح مصادر

الإسـلام لـدى حضـرات الكهنـة هـي القـرآن وسـنة نبيـه وسـنة الراشـدين المهـديين؟!**(أهـل الـدين والديمقراطية. ص 252)**

بأي ميزان يوزن القمني الأمور؛ وبأي عين يرى؟! أشك أن لديه بصر أو بصيرة.. فالرجل يتهم أول رجال المسلمين المؤمنين بالله والمصدقين برسوله يتهمه في دينه؟! يتهم الرجل الذي سماه رسول الله عتيق من النار؛ وبشره بالجنة؛ وقال في حقه أنه أرأف أمتي بأمتي؛ وأرحم أمتي بأمتي؛ وقال عنه: نعم الرجل أبو بكر؛ وقال أنه حبيبه من الرجال والأصحاب؛ وقال: إن آمن الناس على في ماله وصحبته أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر. فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله. والذي قال عنه على بن أبي طالب أنه: خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. يظن القمني أن أبو بكر سيخالف شرع الله؛ أو أنه سيبتدع في الدين ما ليس فيه؟!! فيقول أن حرب المرتدين ومانعي الزكاة منهم شرع جديد قد ابتدعه أبو بكر في دين الله؛ فلو كان صحيحا أنه ابتدع في الدين ما ليس فيه ألا يمنعه صحابة رسول الله الكبار وأعلم أمة محمد بدين محمد صلى الله عليه وسلم من الإقدام والتجني على دين الله؟!!

نعم قد راجعه الفاروق وألح عليه واستنكر في بداية الأمر أن يحارب مانعي الزكاة هؤلاء، حتى أنه ساق له الحديث الذي قال فيه الرسول عليه السلام: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها. فرد عليه الصديق من فوره: وهذه حقها؛ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله تعالى قد شرح صدر أبي بكر لقتالهم فعرفت أنه الحق.

والواقعة الشهيرة التي حرّق فيها علي بن أبي طالب بعض من ارتدوا عن الإسلام وزعموا أن على هو الله؛ فأنكر عليه ابن العباس أن يحرقهم بالنار لأنه لا يعذب بالنار إلا الله تعالى فقط وأخبره بأنه كان يكتفي بقتلهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من بدّل دينه فاقتلوه. فهؤلاء مرتدين وهؤلاء كذلك وقد عمل فيهم الأئمة المهدين عمل وأمر رسول الله عندما قال بقتل من يبدل دينه.

وهؤلاء بدلوا دينهم الذي تم بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأنكروا فرض عظيم من فروض الإسلام هو الزكاة؛ ولو كان الأمر كما يصوره القمني بأنهم مجرد امتنعوا عن أداء الزكاة إلى بيت مال المسلمين وأنهم أدوها لأقربائهم الفقراء ووضعوها في مواضعها الشرعية المأمور بها أهل الزكاة والصلاة لما كان الخليفة الأول ليحاربهم محاربة الخارجين عن الدين؛ وإن كان ليحاربهم لخروجهم على الدولة.. والحقيقة أنهم أنكروا تلك الفريضة شحا وبخلا من أنفسهم؛ بل وحاربوا المسلمين وأغاروا على عاصمتهم،

وقتلوا من المسلمين من قتلوا فكان وجوبا على الخليفة القائم على أمر المسلمين أن يعلن الحرب عليهم؛ فما كان منعهم لفريضة الزكاة هو سبب حربهم الوحيد؛ بل كان هو السبب الأول..

وللقمني أقول وأكرر نحن المسلمين لا نقدس أحد قداسة التعبد إلا الله تعالى القدوس؛ وكلا يأخذ من رأيه ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما أبو بكر فنحن نعلم علم اليقين قدره عند الله ورسوله والمؤمنين، ونعلم أن مكانه عند رسول الله في حياته كمكانه منه في مماته وقبره. ولكن هذا هو سبيل القمني في كل كتاباته ينهج نهج الروافض في تشويه كل صحابة رسول الله ويكفي أنه كان يسميهم السدنة والكهنة؛ وما كان هدف القمني وهؤلاء إلا أن يقال على صحابة رسول الله صحبة سوء؛ وهو الطريق الأمثل للطعن على الرسول نفسه فكما قال القائلون: إذا أردت أن تعرف المرأ فاسأل عن رفيقه.. فالمرأ على دين خليله..

الإيمان والكوارث الطبيعية

كثيرا عندما نقرأ القرآن الكريم سنجد فيه قصص لأقوام قد تجرأوا على خلق الله؛ بل وتجرأوا على الله تعالى نفسه؛ وأشركوا في عبادته ما لم ينزل به من سلطان؛ وأتوا من الأفعال أفجرها ومن الأمور أفظعها؛ فأرسل الله تعالى فيهم الرسل الذين يحذرونهم من بطش الله تعالى ويردونهم إلى دين التوحيد الذين هو دين الفطرة السوية. فلما عصوا ربهم واضهدوا رسوله ومن آمن معه؛ دمرهم الله تعالى تدميرا جماعيا؛ كقوم نوح؛ وقوم صالح وقوم هود وقوم لوط وغيرهم؛ هذا كلنا كمؤمنين موحدين نعرفه ونؤمن به؛ ولكن القمني سيأتي كعادته ليبدل لنا علومنا وأفهامنا؛ **فيقول:** ألا يمكن أن تكون تلك الأقاصيص من حكايا الأولىن مجرد ضرب مثل، وعاه مؤرخونا ورجالاتنا الأوائل فنحتوا له اصطلاحا نعلمه هو الترغيب والترهيب.. ربما.. ربما كان ذلك ضربا من المثل الرمزي لعقول غير عقولنا في زمن غير زماننا له مفاهيم غير مفاهيمنا ومستوى معرفي غير مستوانا.. ربما.. إن الإصرار على المنهج العتيق في فهم لغة المقدس بقدر ما يضر بحياتنا بالتأكيد فإنه يضر بالمقدس ذاته، ذلك المقدس الذي نريد أن نحافظ عليه وعلى احترامه، لأنه جزء من تاريخنا الذي يشكل هويتنا.**(السؤال الآخر. ص102)**

نفس منطق الباطنية المنحرف؛ يأولون النصوص الواضحة الدلالة والألفاظ ويحرفونها لرموز واستعارات هم فقط من يفهمونها؛ ودين الله تعالى الذي ندين به ليس فيه أسرار خفيت علينا؛ فيعلمها البعض دون البعض.

وكتب القمني تحت مقال بعنوان كوارث إلهية عن شيخ خرج في التلفاز يقول للناس أن الزلزال الذي ضرب مصر كان سببا لأفعالنا و أنه كان غضبة من الله علينا: ومن هنا يبطل العجب فقد استثرنا علينا غضب الله، فقام يدمر ويهدم ويسحق ويبيد ويهلك، يخلط اللحم بالحجر، والأسفلت بالدم، ويكتم صرخات الألم تحت الأنقاض.**(السؤال الآخر. ص110) ويقول القمني:** لكن الشيخ وهو يؤنبنا على خطايانا ولا نعلم إن كان بإمكانه بدوره أن يرمينا بحجر، إنما يسير على ذات المنهج الذي ران على عقولنا عبر القرون، منذ أيام التنين والعنقاء وعفريت المصباح السحري والحوت الحنون والنملة الذكية والهدهد اللبق (يشير الكاتب بسخرية إلى مجموعة من القصص القرآنية كحوت يونس ونملة وهدهد سليمان) منذ أن قررت الأسطورة في خطو العقل الإبتدائي أن كل أمر مقدور لا فكاك منه، وهو ما تجاوزته البشرية في خطوها التطوري لتفسير ما يحيق بها من أزمات، وتفسير ما يلحق بالناس من كوارث لها أسباب واضحة معلومة في قوانين بات يعرفها أطفال المدارس الإبتدائية لكن الشيخ لا يعلمها لأنه حاصل على الدكتوارة فهناك فرق.. وبهذا المنهج ينسب الشيخ المفضال كارثة الزلزال إلى الله.. دون أن يلقي نظرة واحدة على الإحصاءات التي تناولت الخسائر ليعلم أن أشد آثار الزلزال قد أصابت أكثر المناطق

فقرا في بر المحروسة، لأنهم لا يملكون ممكنات المعمار القوي الذي يتحمل تلك الهزات، ثم لم يسأل نفسه عن مدى استحقاق هؤلاء الفقراء للعقاب زيادة على فقرهم؟ ثم لا يحاول أن يقرأ أعمار القتلى والمصابين وحتى دون أن يقرأ.. فالكوارث الجماعية تأخذ أول ما تأخذ الأطفال الذين لا يملكون لأنفسهم شيئا، ولا يستطيعون الفرار ثم الشيوخ الذين كلت حواسهم عن إتيان المعاصي، ويتطهرون استعدادا للقاء ربهم، ثم النساء لحرصهن الأمومي على نجدة أطفالهن، أما الجاني الحقيقي فهو الذي كان يستوجب العقاب.. وعلى مستوى آخر فإن فكرة العقاب الجماعي تتنافي مع قدرات الله الكلية، ثم تناقض مع صفاته تناقضا صارخا لأن الله لا يمكن أن يكون فاقدا لقدرة التمييز، أو عاجزا عن معاقبة المسيء وحده وبمفرده بإساءته دون إنزال الدمار بالجميع صالحا وطالحا، ومن جهة أخرى تتناقض فكرة العقاب الجماعي مع صفة العدل في الله، تلك الصفة التي نطمئن إليها وهي وراء إيماننا الصادق به، ثم إنها سر هدوء نفوس كثيرة مقهورة وفقراء يطمحون إلى تدخله لإصلاح أوضاع دنيوية فاسدة أو على الأقل للحصول على نصيب مناسب في جنته يتناسب مع اختلال الأوضاع في الحياة الدنيا..**(السؤال الآخر. ص105)**

كلام قد يظهر لمن يدعي المنطق كلام صحيح وللقمني وغيره هذا السؤال: من خلق الأمراض التي تفتك بالناس أطفالا وشيوخا ونساءا؟! ومن خلق ظاهرة الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وأعاصير؟! ومن خلق الشر والأشرار؟! إن قال لم يخلقهم الله تعالى فقد خرج عن الملة؛ لإثباته خالق مع الله؛ لقوله تعالى: الله خالق كل شئ. وإن قال خلقهم الله فقد رجع عما قاله في تلك السطور المسمومة السابقة فكل هذه الأمراض الخطيرة والكوارث الطبيعية المدمرة قد خلقها وحركها وسلطها على الإنسان رب الإنسان؛ وضحايا هؤلاء قد يكونوا صالحين وقد يكونوا طالحين؛ قد يكونوا ذئاب بشرية أو أطفالا ونساءا لا حول لهم ولا قوة؛ ووالله الأمر من قبل ومن بعد، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

أما قول القمني: فكرة العقاب الجماعي تتنافي مع قدرات الله وتتناقض مع صفاته لأن الله لا يمكن أن يكون فاقدا لقدرة التمييز أو عاجزا عن معاقبة المسئ وحده!!! وأنها تتناقض مع صفة عدل الله!! فكل هذا كلام فارغ لا يساوي ثمن المداد الذي كتب به. **فهذا كله فكر شيطاني خبيث..** فبمثل هذا الفكر الشيطاني دخل الشيطان الرجيم على الناس؛ فكفر منهم من كفر وأشركوا بربهم ما لم ينزل به سلطان وقاسوا أنفسهم على ربهم وشبهوا ربهم بأنفسهم؛ فقالوا: ما نراه بعقلنا حسن فهو عند الله حسن، وما نراه بعقولنا قبيح فهو قبيح، وما لا يصح عندنا فعله لا يصح كذلك أن يفعله الله، ومن فعل ظلماً فإن الله تعالى لا يريده ولم يقدره ولم يجز أن يجريه على عباده. فزعموا أن خالق الخير هو غير خالق الشر، وأن خالق الجمال هو غير خالق القبح، وأن خالق المؤمنين هو غير خالق الكافرين، فقسموا الخلق نصفين وقسموا الإله الواحد الأحد الفرد إلهين، وكل إله منهما له نصف الخلق ونصف الملك ونصف الأمر،

فزعموا في بادئ الأمر أن في الكون إلهين إله للخير ورمزه النور وإله للشر ورمزه الظلام أحدهما يخلق والآخر يميت أحدهما يزرع وآخر يحصد أحدهما يمرض وآخر يشفي، وهكذا في كل أمور الكون. وكلاً من هذين الإلهين لا يقدر على فعل الآخر فأثبتوا لكلاً منهما في نفس ذات الوقت القدرة والعجز؛ الكمال والنقص، وهكذا تفرق الناس وهكذا كفروا؛ وبعد أن زعموا أن الإله الواحد هو الهين اثنين زوراً وعدواناً لم يكتفوا بهذا القدر من الكفر بل تمادوا فيه فزعموا أنه ثلاث آلهة،، حتى زادت عند بعض الحضارات البائدة بالعشرات والمئات، فالله تعالى خالق كل موجود دونه، وأنه تعالى قادر على كل ما يسأل عنه، وأنه لا يوصف بشيء من صفات العباد وأنه لا ظلم ولا جورا إلا ما سماه الله تعالى جورا وظلما؛ وأن الله تعالى قد يهلك أمة كاملة ويبيدها ويدمرها تدميرا وذلك لعتوهم عن أمر ربهم وكفرهم؛ فيهلكم أولهم عن آخرهم رجالا ونساءا أطفالا وشيوخا حتى أنه قد يدمر حيواناتهم ويدمر بيوتهم تماما كما فعل مثلا مع أقوام بعينهم كقوم لوط؛ قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيها سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عليها حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيد} **هود 82-83. جاء في تفسير ابن كثير؛ قال مجاهد:** أخذ جبريلُ قوم لوط من سَرْحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نُباح كلابهم ثم أكفأهم.. **وقال قتادة:** بلغنا أن جبريل أخذ بعروة القرية الوسطى، ثم ألوَى بها إلى جو السماء، حتى سمع أهل السماء ضواغي كلابهم، ثم دمر بعضها على بعض، ثم أتبع شُذّاذ القوم سُخْرًا. **قال:** وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرى، في كل قرية مائة ألف وفي رواية: كانوا ثلاث قرى، الكبرى منها سَدُوم.. **وفي رواية عن قتادة وغيره:** بلغنا أن جبريل عليه السلام، لما أصبح نشر جناحه، فانتسف به أرضهم بما فيها من قُصُورها ودوابها وحجارتها وشجرها، وجميع ما فيها، فضمها في جناحه، فحواها وطواها في جوف جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها، فأرسلها إلى الأرض منكوسة، وَدَمْدَم بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل. فلو صحت الرواية فقد كانوا أربعة ملايين إنسان أهلكهم الله تعالى في يوم واحد؛ فأين هذا من قول القمني السابق ألم يقدر الله تعالى أن يدمر الظالمين منهم فقط؟! وما ذنب أطفالهم وبيوتهم وما ذنب تلك الكلاب؟! نقول أن هذه أمور قد حدثت بالفعل وأن الله تعالى أهلك أقواما بظلمهم أهلكهم أولهم عن آخرهم تدميرا جماعيا؛ فهل نقول أن الله قام يبطش ويدمر ويهلك بدون تمييز كما يخرف القمني في الكلام على رب الكون؟!!

بالطبع لا ونقول أن من دمرهم الله تعالى قد دمرهم بعدله، ومن رحمهم فقد رحمهم برحمته؛ وأن المصائب الطبيعية هي ابتلاء من الله تعالى لعباده والذين قد يكونوا صالحين؛ فيرجعون إلى الله وينظرون في أعمالهم أهي توافق أمر الله تعالى ونهيه أم لا. وإن كانوا طالحين فبذنوبهم أصيبوا لعلهم إلى ربهم

يرجعون؛ أو ليعتبر بهم غيرهم فكل كائن في هذا الكون لا يتحرك ولا يسكن إلا بأمر الله تعالى. يقول تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا}**الحديد22.** فما أصابكم-أيها الناس- من مصيبة في الأرض من زلزال وبركان وغيره؛ ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخْلَق الخليقة.

القمني.. العاقل.. الأحمق.. المجنون

يفتتح القمني كتابه الأسطورة والتراث بمقولات مأثورة جاء في مقدمتها بيتين من شعر أبي العلاء المعري يقول فيهما:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنونا وترزق أحمقا

فلا ذنب يا رب السماء على امرئ رأى منك ما لا يشتهى فتزندقا

فقالت لي نفسي ان ما جاء في هذين البيتين يوافق تفكير القمني وإلا ما وضعهما على قمة كتابه؟! فالرجل يرى أن الإيمان رهين بعطاء الله للإنسان؛ فمن يعطيه الله ويزيد له في رزقه؛ وجب عليه أن يكون مؤمنا. وأما من حرمه الله تعالى وقدر عليه رزقه فلا جرم أن يلحد أو يكفر أو يشرك بالله من يميل إليه هوى نفسه.. وتذكرت مقولة تعكس تفكيرى الشخصي وهي رد لحكيم من حكماء كسرى -انظر من حكماء كسرى!!- سأله الملك: أخبرني عن العاقل المحروم والأحمق المرزوق؟ فقال الحكيم: أراد الباري أن يعلن عن نفسه وعن قدرته، فكان إن رزق العاقل وحرم الأحمق؛ لقال العاقل: إنما رزقت ما رزقت فبعقلي. وما حرم الأحمق ما حرم فبقلة عقله وحمقه. لذا لما أعطى أحمقا ومنع عاقلا علم الناس أن الرزق ليس بأيديهم وإنما هو بيد خالقهم.وأنشد يقول:

لو دارت الأرزاق على الحجا لهلكن إذا من جهلهن البهائم

وإن كنت كمسلم أقرأ كتاب الله فأرى ما قاله هذا الحكيم المجوسي جاء فيه؛ بقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون} **الشورى37**. يقول الله تعالى في هذه الآيات أولم يعلموا ياقمني أن الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانًا؛ هل يشكر أو يكفر؟ ويضيّقه على من يشاء اختبارًا؛ هل يصبر أو يجزع؟ ألم تعلم يا قمني: إن في ذلك التوسيع والتضييق لآيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون حكمة الله ورحمته.

والذين لا يعرفون حكمة الله ورحمته يقولون كما قال بني يهود من قوم قارون لما انبهروا بمال قارون وذهبه الذي أذهل العيون وأذهب بالعقول: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيم} **القصص79**. ولكن لما عاينوا هلاك ذلك المتكبر المغرور وخسف الله تعالى له ولكل ماله؛ قالوا: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ علينا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُون} **الشورى82**.

القمني وحرق مكتبة الإسكندرية

يقول القمني: وعليه فإن أساتذتنا هؤلاء عادة ما نظروا إلى تراث الأمة بحسبانه ذا مبتدأ زمكاني محدد، فقد تحدد مكانيا بأرض الحجاز في جزيرة العرب وهنا العروبة، وتحدد زمانيا مع لحظة التواصل بين السماء والأرض عند ابتداء الوحي القرآني وهنا الإسلام، ومن ثم فإن التراث يبدأ من تلك اللحظة في ذلك المكان، ويتحول فيما بعد إلى تراث لكل الدول التي خضعت للفتح الإسلامي، باعتباره تراث الفاتحين، مع قطع شعوب هذه الدولة عن تراثها القديم، بحسبانه كفرا أو مروقا وعبادة لغير الواحد القهار، أو بالتعبير الطريف: إن كان يخالف القرآن فليحرق لأنه رأي مخالف أي كفر، وإن كان يوافقه فلا داعي له لأن لدينا القرآن وليحرق؟! **(الأسطورة والتراث ص19)** يقصد القمني بهذا القول الساخر القول الذي نسب زورا وكذبا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما أرسل له فاتح مصر عمرو بن العاص يسأله عن مكتبة الإسكندرية وما بها من تحف ودرر الكتب.

يقول الأستاذ العقاد في كتابه عمرو بن العاص: وخلاصة هذه المسألة أن عمرا رفع إلى الفاروق خبر المكتبة، فجاءه الجواب بما نصه: أما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه. فتقدم باعدامها. فوزعت الكتب على أربعة آلاف حمام بالمدينة، ومضت ستة أشهر وهي تستخدمها في وقودها. ولم تذكر هذه الرواية إلا بعد انقضاء ستة قرون على تاريخ الفتح، فلم يعرض لها البطريق يوتيخوس الذي توسع في الكلام على فتح الاسكندرية. وكذبها ظاهر من المبالغة في عدد الكتب التي تغني أربعة آلاف حمام عن الوقود ستة أشهر!!

مع العلم بأن الرق الذي كانت الكتب تسطر عليه في تلك العصور لا يصلح للوقود، وأن الوالي الذي يريد إعدامها لا يسلمها إلا لمن يبيعها أو يحفظها، ولا يفوته أن يعهد في نقلها إلى أصحابها وقد حملوا معهم متاعهم الذي طلبوا حمله وهم ذاهبون إلى أرض الروم. وقد حدث أن هذه المكتبة أحرقت مرات في عهد يوليوس قيصر، وعهد العاهل ثيودسيوس الذي أباد آثار الوثنية، سواء الكتب أو التماثيل. **يقول العقاد:** وكفى لتكذيب هذه الاسطورة أنها لا تشبه عملا من أعمال الفتح الإسلامي الذي اقترن بالتعمير ولم يقترن قط بالتنكيل والتدمير. ومهما يكن من صدق القول المعزو إلى عمرو في وصف مصر: أن نيلها عجب، وترابها ذهب، وأمراءها جلب، وهي لمن غلب. فإنه لم يأخذها قط بسلطان الغلبة والرهبة، ولم يشرع فيها شرعة إلا كان رائده فيها الرفق والمودة.

المحطة الثانية

القمني والحزب الهاشمي

كثيرا ما صدعنا القمني بمقولته: أنا أحارب الأسطورة بالعلم؛ ولكن المطالع لهذا الكتاب المسموم المسمى بالحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية سيرى بلا أدنى شك أو ظن أن القمني هو أول من يروج لهذه الأساطير وليس في جعبته العلمية إلا الأساطير؛ فهو يريد بعمد وإصرار أن يهرب من أسطورة لاوجود لها إلا في عقله إلى أسطورة أخرى سطرها على صفحات هذا الكتاب لا وجود لها أيضا إلا في عقله. فكتاب الحزب الهاشمي يريد به القمني أن يخلصنا نحن المسلمين الجهلاء السذج من عقيدة ويقين لدينا مفاده أن الله تعالى أرسل رسوله المصطفى والخاتم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ليخرج الناس بنور الله وكتابه المبين من ظلام الجاهلية إلى نور الإيمان وذلك بإنذار **قوم ما أنذر أباؤهم من قبل فهم غافلون**؛ وليخرج الناس من عبادة الناس والأصنام والحيوان إلى عبادة الواحد الديّان، وليجمع الناس على دين عالمي لا يفرق بينهم على أي مرجعية عنصرية؛ فلا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض ولا أسود ولا فضل بينهما إلا بتقوى رب العباد، وأن محمد كان بشرا نبيا مصدقا لما سبقه به الأنبياء من رسالات وكتب، وأن محمد ليس له من الأمر شيء وإنما الأمر كله إلى الله. {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}**آل عمران128**.

يقول الأستاذ العقاد عن رسول الله: مهدت له الدنيا طريقا ولكنه هداها إلى غير تلك الطريق. فهما تمهيدان يتلاقيان ويفترقان: تمهيد من قوانين الكون وتمهيد من العناية الأزلية، وحيث ينهض رجل واحد بما يأباه قومه ويأباه معهم أقوام زمانه، فليست هي بإرادة إنسان ولكنها إرادة الله، وما هي بقدرة أحد أو آحاد ولكنها قدرة الخالق فيما خلق، يوليها من يشاء حيث شاء.

أراد القمني أن يخرجنا من تلك الأسطورة -حسب زعمه- إلى أسطورة أخرى ألفها هو يراها هي أليق وأفضل وأعقل وسبق علمي قد تفرد به؛ **هذه الأسطورة مفادها -كما جاء في كتاب القمني الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية-:** أن أوضاع الجزيرة العربية من كافة نواحيها الدينية والاقتصادية والاجتماعية في نهاية القرن السادس الميلادي تبدلت بمرحلة متسارعة من التغيرات فتحولت مكة من كونها مجرد استراحة للقوافل ومنتدى شعري ووثني على الطريق التجاري؛ ولوجود الكعبة المشرفة فيها؛ ولإنتشار لغة قريش وعاداتها بين القبائل الحالة والمرتحلة؛ قد اجتمعت هذه العوامل لتساعد على صعود النجم المكي مما أعطي للقرشيين الضوء الأخضر للقيام بالدور التاريخي الذي حتمته الظروف عليهم وذلك بتوحيد قبائل جزيرة العرب في وحدة سياسية مركزية كبرى..

وفي رأي القمني أن الوحدة السياسية كانت مرهونة بالوحدة العقائدية؛ وإزاء هذه العوائق العقائدية ولحاجة مكة إلى إله فوق الأرباب ودولة فوق القبائل يناسبا تحولها الاقتصادي ولحكايات اليهود عن مغامرات أنبيائهم القدامي وعن دولتهم الغابرة التي أنشأها النبي الملك داود فلم يجدوا سوى الاهتداء إلى أنه لاحل سوى أن يكون منشئ الدولة المرتقبة نبيا مثل داود.

وأن هذا التطور ترافق من تطور صراع أولاد وأحفاد قصي بن كلاب -الجد الرابع للرسول- على ألوية السيادة والتشريف في مكة. مما انتهى إلى انقسامهم إلى حزبين كبيرين متصارعين هما الحزب الهاشمي المنسوب إلى هاشم بن عبد مناف، والحزب الأموي المنسوب إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وفي رصد القمني لخطط زعماء الحزب الهاشمي مع الحزب الأموي يؤكد القمني أن الحزب الأخير أي الأموي كان زعماؤه يهتمون بالتجارة وجمع المال بينما اتجه تكتيك هاشم إلى منحى آخر تمثل في اكتساب القلوب؛ وبموت هاشم تولى أخوه المطلب منصبي السقاية والرفادة واتبع أسلوب أخيه وسياسته في اجتذاب القلوب بالكرم والعطاء والبذل ورحل المطلب وترك استكمال المهمة الجليلة والخطيرة لابن أخيه عبد المطلب الذي تربى في يثرب حيث كان كل التاريخ الديني يتواتر هناك في مقدسات اليهود.

فيتولى عبد المطلب أمر السقاية والرفادة وإدرة الصراع ضد الحزب الأموي، وأن عبد المطلب كان يخطط إلى نقل الصراع نقلة جوهرية وجذرية تتجاوز مرحلة التكتيك الاستراتيجي فأعلن في مكة وهو يشير إلى أبنائه وأحفاده أنه: إذا أراد الله إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء. وبدأ استكمال المهمة الخطيرة بوضع أيديولوجيا متكاملة لتحقيق أهداف حزبه؛ **أوكما قال القمني**: فقد أدرك عبد المطلب أن فرقة جزيرة العرب المبنية على قبلية وعشائرية يعود إلى أسباب دينية ولتعدد الأرباب والآلهة عند تلك القبائل ومن هنا **انطلق عبد المطلب يؤسس دينا جديدا** يجمع القلوب عند إله واحد وذلك كمقدمة توحد العقائد في دين واحد تتهيأ به الجزيرة العربية لقبول فكرة توحيد القبائل في دولة واحدة تدين لإله واحد فوق كل الأرباب.

ولما أنه قد اجتمعت في يد عبد المطلب زعامة الحزب الهاشمي وزعامة قريش مما شجعه على المضي في تحقيق حزبه، وأتت مخططات عبد المطلب ثمارها واتبعه كثيرون كونوا حركة الحنفاء التي تحولت إلى تيار قوي قبل الإسلام بفضل جهود أستاذ الحنفية الأول عبد المطلب واثنين من تلاميذه الكبار هما زيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبي الصلت، وليبقى أمر التنفيذ كما في أمر التخطيط محصورا في البيت الهاشمي؛ **وأن الحفيد اتبع خطا جده كما اتبع خطو اته إلى غار حراء من قبل**، وأعلن أنه نبي الفطرة.

وكما اتبع خطا جده فأخذ عنه دينه الجديد اتبع أيضا خطا أتباع جده، فأخذ عن زيد بن نفيل تسمية دينه بالإسلام، ومن شعر أمية بن أبي الصلت استمد الحفيد محمد بعض الآراء والمعتقدات والتراكيب اللغوية في وصف يوم القيامة والجنة والنار.. إلخ. وذلك في القرآن الكريم؛ والحديث

النبوي؛ وقد نفي القمني بشدة مجرد الظن بأن يكون أمية اقتبسها من القرآن، لأن هذه الأشعار كتبت قبل المبعث.

هذا هو الجزء الأول من المخطط الهاشمي العتيد ومقدماته في مكة وعلى نفس المنهج المنحرف علميا يكمل لنا القمني الجزء الثاني من المخطط التكتيكي وذلك بالهجرة التكتيكية للنبي التكتيكي وحزبه المزعوم إلى المدينة حيث الأخوال -أهل الحرب والدم والحلقة-: ومن جانب الحفيد الهاشمي فكان يلقى أهل الحرب اليثاربة عند العقبة. إلى أن هيئوا مدينتهم لاستقباله بعد أن مات عمه أبو طالب واشتد ضغط الأحلاف على الهاشميين في مكة وكان الحل أن يغادر إلى الأخوال ليرفع الضغط عن الأعمام، والأهم أن اليهود في يثرب كانوا في تمام الرضا عن هذا التوجه اليثربي باستدعاء الحفيد الهاشمي لقيادة يثرب ضد مكة. وكانوا في تمام الرضا عن الوجه الهاشمي بعد أن أكرمت الآيات القرآنية أنبياء بني إسرائيل وفضلت النسل الإسرائيلي على العالمين ومخاطبتهم بالموحي إليه: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاة. **الصف 6**. وبهجرة الحفيد الهاشمي إلى يثرب حقق المهمة الجليلة بإنشاء نواة أول دولة عربية إسلامية في الجزيرة التي تنبأ بها وخطط لها الجد الهاشمي عبد المطلب بقوله: إذا أراد الله إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء. وهكذا قامت الدولة الإسلامية بجهود البيت الهاشمي وبفضل لا ينكر لأهل الحرب اليثاربة وخؤلتهم..

ولعلمك أيها القارئ الكريم أننا لو تتبعنا عورات القمني العلمية في هذا الكتيب الساذج المسمى بالحزب الهاشمي لاحتجنا في ذلك إلى مئات الأوراق والتي يضيق بها كتابنا هذا؛ لذا سنكتفي بنقاط معينة تكفينا وتكفي القارئ المطالع لما في هذا الكتاب من فضائح ترتقي لتسميتها بالعار العلمي على رجل زعم أنه الرجل المتنور صاحب المنهج العلمي والبحثي؛ وأهم هذه النقاط التي سنتخيرها للقارئ الكريم رحمة به حتى لا تنفجر له مرارة أو ينام من الملل أو يموت من الإكتئاب تتلخص فيما يلي..

هل صراع الحزب الهاشمي- الأموي حقيقة أم خيال قمني؟

لابد أن نقر للقمني بالخيال الخصب الذي فاق خصوبة النيل عندما اختلق هذه الأسطورة الغير موثقة عن قيام حزب من بني هاشم يريد السيطرة على كافة الجزيرة العربية؛ فالذي لا يجهله أي من قرأ ورقة أو ورقتين في التاريخ هو أن الأصل في التاريخ النقل؛ يقول الشاعر القديم:

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع

فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

فيجب أن يدور التاريخ مع النص يمينا وشمالا.. أما عن الشرق والغرب فنحن نحرك عقولنا فيما بين أيدينا من النصوص؛ وإلا كان حديثنا العاري من النص والأثر أدب لا تاريخ؛ وأما حديث القمني عن الحزب الهاشمي -عندي- فليس من باب الأدب بل هو من باب قلة الأدب، وبالطبع ليس من باب التاريخ اللهم إلا تاريخ حكاوي القهاوي ومسلسلات الزناتي خليفة.

وخصوصا عندما يكون موضوع تاريخنا هو التاريخ العربي الجاهلي ومعلوم لكل مطالع ما اكتنفه من غموض كبير وغياب للكثير من النصوص التاريخية. و بالأخص تاريخ مكة؛ **يقول الدكتور جواد علي:** بعض ما يذكره أهل الأخبار عن أهل مكة بعيد عن الواقع وهناك تناقض فيما يروونه، لم يفطنوا إليه، لأنهم كانوا ينقلون الأخبار، ويأخذونها أنّي جاءت، وغايتهم الجمع، وعلينا الآن واجب التمحيص بين تلك الروايات ونقدها وغربلتها، لاستخراج اللب من القشور.. والواقع أن في كثير مما يذكره أهل الأخبار عن مكة، ما يناقض بعضه.

أما وجود القبلية والعصبية للقبيلة فهي سمة بارزة من سمات التاريخ العربي قديما وحديثا؛ فالفرد عندهم يجب أن يكون انتماؤه الأول -بعد الأسرة- إلى القبيلة والعصبة؛ **أو تأكيدا للمثل المصري القائل:** أنا وأخويا على ابن عمي؛ وأنا وابن عمي على الغريب. فإن كان في تاريخ مكة الصراع القبلي أو التعصب القبلي فلا جرم أنه موجود بين كافة القبائل وعندهم منه ما يوزاي ذلك أو يفوقه، وإن كان هناك قبيلة هاشمية فلا جرم أن يتعصب لها أفرادها مريدين لها السيادة والنفوذ على كافة القبائل والعصائب؛ وكذلك لاجرم أن تحمي القبيلة ابنها ضد كل من أراده بسوء من أهل القبائل المختلفة.. ولكن أن نختلق نزاع وصراع بين قبيلتين أو عرقين بخصوصهما ونؤكد باستمرارية وديمومة هذا النزاع والصراع مرسلا هكذا بين الآباء والأبناء والأحفاد فهذا بلا شك هو ما يحتاج إلى نص وبعد النص بحث وفهم وإدارك وتحليل؛ كما في الصراع الحزبي بين الحزب الهاشمي وبين الحزب الأموي كما يفضل ويهوى أن يسميهما القمني!! **يقول الأستاذ منصور أبو شافعي عن كتاب الحزب الهاشمي للقمني في كتابه العلمانيون**

ومركسة الإسلام: لأن كل الكتاب قائم على الصراع الهاشمي الأموي وهو صراع اقترف د. القمني لتأكيد محوريته كل أنواع الحرام العلمي بدءا من التزوير والتحوير والتحريف للنصوص التراثية وانتهاء باختلاق خرافات ملة عبد المطلب والأيديولوجية الهاشمية وأهداف الحزب الهاشمي في صراعه مع الحزب الأموي؛ فإذا كان النبي محمد هو الحفيد الهاشمي الملتزم بخطط جده وأهداف جده وأهداف حزبه. فأمية الشاعر هو ابن رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف وخاله أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الذي ساورته الأطماع في أخذ ما بيد عمه هاشم من ألوية الشرف بالقوة. أي أن الشاعر أمية -جزء من الحزب الأموي- فضّل الكفر على الإسلام بسبب علاقته بسادات هذا الحزب..

وأعتقد أنها جريمة إنسانية قبل أن تكون تاريخية أن نقتطع من النصوص التاريخية أجزاء ندعم بها وجهة النظر التي نريد ونرى، ونترك أجزاء أخرى في نفس النص قد تنقض تلك النظرة التي نعتقد.. **فعن حقيقة العلاقة بين البيت الأموي والبيت الهاشمي أو الحزبين المتصارعين في عقل القمني؛ يقول منصور أبو شافعي:**

أولا: أن عبد المطلب كان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية ابن عبد شمس.

ثانيا: أن أم حكيم بنت عبد المطلب وتوأم عبد الله وعمة النبي تزوجها بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس شقيق أمية فولدت له أروى بنت كريز أم عثمان بن عفان.

ثالثا: أن عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب) تزوج أم جميل شقيقة أبي سفيان وأن بنتا رسول الله (رقية وأم كلثوم) كانتا عند هذه الزوجة الأموية. فرقية تزوجها عتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم تزوجها عتيبة بن أبي لهب. وهذه معلومات تنفي وجود حالة صراعية. وتثبت طبيعة العلاقة بين البيت الهاشمي والبيت الأموي.. لأن طبيعة العلاقة لن تمكنه من المضي في استكمال حرامه العلمي والتاريخي والديني بمركسة الحقبة النبوية بعهديها المكي والمدني بتصويرها كمرحلة خطة وضعها الحزب الهاشمي لردع الحزب الأموي المناوئ.

وأخيرا ما يبدو لنا الآن من تحليل القمني في كتابه الحزب الهاشمي يذهب بنصوصه ودلالاته إلى منطقة شائكة اضطرته إلى خلط الأوراق وهو عالم بما يفعل تحقيقا لهدف مقصود هو فرض أسطورة الدولة وحل النبي الملك في البداية كغاية عربية استلهمت من التراث اليهودي وحتما الاقتصاد المكي؛ ليدور عقل القارئ في الطريق المرسوم له أن الدولة والرسول والدين آليات توسل بها الحزب الهاشمي في صراعه مع الحزب الأموي.

يقول الدكتور جواد على: انتهى أهل التاريخ العربي إلى وجوب: دراسة الرواية التراثية على حذر والتفتيش على قدر الإمكان عن روايات متعددة وذلك للمقارنة والمقاربة ولعدم وجود المنبع القديم المكتوب

والمعاصر للوقائع الجاهلية لتفقوا على أنه لا يسع الباحث إلا أن يقرأ هذه الروايات بتحفظ شديد وأن يتردد كثيرا في أخذها كحقائق تاريخية أو حتى كروايات موثوق منها.

ولكن القمني تجاهل هذه الخبرة التي نظنها ملزمة للباحثين في التاريخ العربي وللمتعاملين مع مراجعه، وتعامل مع الروايات التراثية عن الصراع الهاشمي الأموي كروايات موثوق منها وكمعطي جاهز له لا يحتاج منه إعمال أدوات البحث العلمي في هذه الروايات لتدقيقها وتنقيتها من الخطأ الذي حتما سيهدد نتائجه بعدم الدقة، وأيضا تعامل مع الصراع الهاشمي الأموي نفسه كحقيقة تاريخية لا يجوز اختبارها بالشك فيها، فلم يؤرقه علميا سكوت ابن اسحاق وابن هشام وابن سيد الناس وابن كثير عن ذكر هذا الصراع في مؤلفاتهم التي تصنف ككتب أصول في التاريخ العربي، ولم يشر مجرد إشارة إلى شك وتشكيك أهل التاريخ في تاريخية هذا الصراع، والخطير في أمر القمني أن حاسته البحثية والنقدية لم يستفزها تناقض من قالوا بتاريخية الصراع بين هاشم ابن عبد مناف وأمية بن عبد شمس بن عبد مناف. فقد أكدوا أن هاشما وعبد شمس توأمان. وفي ذات الصفحات أكدوا أنه: كان لهاشم يوم مات خمس وعشرون سنة.

ويعلق الأستاذ منصور أبو شافعي: وبالتالي لم يسأل إذا كان عبد شمس والد أمية توأم هاشم. فكم تكون سن أمية حين صارع عمه؟ ولأن القمني تجاهل كل ما سبق؛ لأن كل ما سبق كان سيعقلن روايته للصراع الذي انتقاه من بين ألف وسبعمائة حرب وصراع ليكون شرارة البدء لتحريك المجتمع المكي على جسر الدين الوسيلة نحو الدولة الغاية.

ونبدأ برجل المرحلة الأولى أمية بن عبد شمس الذي تسبب في الصراع وبمنافرته عمه هاشم احتد الصراع؛ وكادت الحرب تقطع صلات الرحم وتهدر الدم الموصول" ولأن المتفق عليه في أغلب الكتب التراثية التي روت واقعة الصراع قالت بأن "وكان لهاشم يوم مات خمس وعشرون سنة" أي وكان لعبد شمس -والد أمية- خمس وعشرون سنة أيضا حين مات شقيقه. ففي حدود خبرتنا الحياتية نستطيع القول باحتمال أن أمية حين نافر (صارع) عمه لم يكن قد بلغ الثامنة من عمره. وهي سن تدفعنا إلى الشك في حدوث الصراع سواء على إطعام القوم الثريد أو على انتزاع السقاية والرفادة من يد هاشم بالقوة. أو تدفعنا إلى القول بسفاهة عقل هاشم لقبوله منافرة "عيل" أو تدفعنا إلى الشك بقوة في عقل وعلم القمني وفي إحاطته بمعلومات المبحوث. ورجل المرحلة الثانية عبد المطلب بن هاشم وهي المرحلة التي فيها كانت المهمة الجليلة في التأسيس الهاشمي للتوحيد الديني والسياسي في جزيرة العرب.

ولأنها المهمة أفرزها صراع أمية (ابن الثمانية أعوام) مع عمه.. فبعد أن صرح القمني بأن هاشم مات "وترك ولده شيبة المعروف بعبد المطلب ينمو ويربو" مع أمه في يثرب. قال بأنه بعد موت المطلب عاد عبد المطلب "من المدينة إلى مكة ليبتوأ مكان عمه المطلب". في قيادة الحزب وإدارة الصراع واستكمال المهمة

الهاشمية.. فالمعروف أن عبد المطلب ولد في المدينة ومكث فيها سبع سنين وقيل ثمان وأن الذي أتى به في هذه السن من المدينة إلى مكة وتولى تربيته هو عمه المطلب.. فالدكتور القمني يقصد أو يفهم من قوله أن عبد المطلب في الثامنة من عمره عاد ليتبوأ مكان عمه المطلب. في قيادة الحزب الهاشمي. وإدارة الصراع الهاشمي ضد الحزب الأموي والبدء في استكمال المهمة الجليلة. وهي الخطة الهاشمية التي استلهمها من المشروع الإسرائيلي والذي استوعبه أو رضعه زمن طفولته في يثرب وأتي به مع (ألعابه) إلى مكة لتهويد خطة حزبه الهاشمي بمثلثها التوحيدي: العرقي- الديني- السياسي.

فالمعروف أن عبد المطلب مات ومحمد في الثامنة من عمره. والرسول أعلن نبوته في سن الأربعين. أي أن المساحة الزمنة الفاصلة بين التخطيط والتنفيذ عن مدي فاعلية الحزب الهاشمي أثناءها؟.. ولأن القمني لم يقدم إضاءاته حول هذه الفترة الزمنية الطويلة. ولم يشغل عقله بالسؤال عن موانع تولي عبد المطلب ذاك العبقري الفذ تنفيذ ما خطط له؟ أو بالسؤال عن أسباب زهد أبناء عبد المطلب في نيل شرف تنفيذ خطة الحزب الهاشمي؟ واكتفى فقط بإخبارنا بتاريخ أبناء عبد المطلب مع دعوة "الحفيد الهاشمي" أعلن الهاشميون أنهم قد منعوا فتاهم "برغم عدم متابعة دعوته دينيا". وتحركوا بنزوع عشائري متماسك خلف ولدهم حماية له ووقاء. بفروض المنظومة القبلية وتحزبها. وربما مع وعي يقف في صف المنظومة الوحدوية التي يدعو إليها الحفيد. لكن دون الارتقاء إلى البنية العليا. وهو ما اتضح في رفضهم للجانب الفكري الديني في منظومته. وبعيدا عن مدى إدراك القمني لكلية المنظومة الوحدوية التي -حسب طرحه- يصعب فصل الديني فيها عن السياسي أو عن الاقتصادي أو حتى عن القبلي. فالذي يعترض عقولنا هو قول القمني عن الهاشميين وأنهم لم يتبعوا دعوة فتاهم أو ولدهم الدينية.

وأنهم لم يرتقوا إلى البنية العليا ورفضوا الجانب الفكري الديني في منظومة محمد وهي المنظومة الانقلابية التي أسسها الأب (عبد المطلب) بتأسيسه للدين الجديد الموحد لله كشرط لازم لتوحيد القبائل. وهذا القول القمني يوحي بانقلاب الأبناء على دين الأب. إذا قلنا بكفرهم بدين الحفيد الذي هو حسب رؤية القمني امتداد لدين عبد المطلب. أو يوحي بانقلاب الحفيد على دين الجد. إذا قلنا ب"تمسك الأبناء بملة وعقيدة ودين عبد المطلب". ولأن أبناء عبد المطلب رفضوا دعوة الحفيد الدينية. والحفيد كما يراد له امتداد للجد ومحقق حلمه الديني والسياسي. فما سبق يذهب بعقولنا إلى أن الحفيد لم يأخذ الحلم التوحيدي (الخطة- المهمة- الأيديولوجية) من الأعمام (الذين رفضوا دينه) وإنما أخذه مباشرة من المؤسس (من الجد) وحتما أخذه قبل تجاوزه الثامنة من عمره. أي قبل موت عبد المطلب. ودلالة ما سبق أن أهم ثلاث مراحل في عمر الصراع الهاشمي الأموي أبطالها "أطفالها" فقد تسبب الطفل أمية في الصراع

بمنافرة عمه هاشم. وتولى الطفل عبد المطلب وضع الخطة الهاشمية. وتلقاها الطفل محمد من جده ليقوم بتنفيذها بعد دخوله سن الأربعين. وهي دلالة قولنا بأسطورية هذا الصراع.

أما عن حقيقة هذا الصراع القرشي أو حقيقة نزاع أبناء قصي؛ فلم يكن نزاعا عائليا وعصبيا تماما بل كان كما يخبرنا الدكتور جواد على في مفصلّه نزاعا على الرئاسة والسيادة؛ يقول: وقد تمثل في تنافس الأسر على الرئاسة. اشتهر بعضها بالثراء والغنى، واشتهر بعضها بالوجاهة الدينية أو بالمكانة الاجتماعية. ويلاحظ أن هذا النزاع لم يكن نزاعا عائليا تماما، قام على النسب إلى الأب والجد بل كان نزاعا على الرئاسة والسيادة في الغالب، فنجد جماعة من عائلة تنضم إلى العائلة الأخرى المنافسة، وتترك عشيرتها، لأن مصلحتها الخاصة وتخاصمها مع أحد أقربائها دفعاها على اتخاذ ذلك الموقف. ولما أسن قصي جعل لابنه عبد الدار على حد رواية أهل الأخبار دار الندوة والحجابة أي حجابة الكعبة، واللواء فكان يعقد لقريش ألويتهم، والسقاية وهي سقاية الحاج والرفادة وهي خرج تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي ليصنع به طعاما للحاج يأكله الفقراء.. وذكر الأخباريون في تعليل إعطاء عبد الدار هذه الامتيازات أن عبد الدار كان ضعيفا وأن عبد مناف شقيقه كان قد ساد في حياة أبيه وكثر ماله فأراد قصي بذلك تقويته بهذه الامتيازات. وقد توارث بنو عبد الدار اللواء فلا يعقد لقريش لواء الحرب الا هم.. ولما أسلم بنو عبد الدار قالوا: يا نبي الله، اللواء إلينا. فقال النبي: الإسلام أوسع من ذلك. فبطل اللواء. ويذكر الأخباريون أن قصيا لما هلك قام عبد مناف بن قصي على أمر قصي بعده، وأمر قريش إليه.. ويذكر أهل الأخبار أن بني عبد مناف أجمعوا على أن يأخذوا من بني عبد الدار الرفادة والسقاية فأبى بنو عبد الدار ترك ما في أيديهم وأصروا على الاحتفاظ به، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد الدار، وطائفة مع بني عبد مناف، وتحالف كل قوم مؤكدا وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا، فوضعوها عند الكعبة، وتحالفوا وجعلوا أيديهم في الطيب، فسموا المطيبين. وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم وتحالفوا فسموا الأحلاف، وتعبأوا للقتال، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، فرضوا بذلك وتحاجز الناس عن الحرب واقترعوا عليها فصارت لهاشم بن عبد مناف..

وتذكر رواية أن بني عبد مناف اقترعوا على الرفادة والسقاية فصارتا إلى هاشم بن عبد مناف، ثم صارت من بعده إلى المطلب بن عبد مناف بوصية، ثم لعبد المطلب، ثم للزبير بن عبد المطلب، ثم لأبي طالب. ولم يكن له مال فاستدان من أخيه العباس بن عبد المطلب عشرة آلاف درهم، فأنفقها، فلما لم يتمكن من رد المبلغ تنازل عن الرفادة والسقاية إلى العباس: وأبرأ أبا طالب مما له عليه..

وللقمني –كعادته- الكثير من الأغلاط التاريخية في كتيبه الحزب الهاشمي نذكر منها طرفا:

يقول القمني باستيلاء قصي على السلطة بعد تحريرر مكة من الخزاعيين: استطاع أن يجمع بين يديه كل الوظائف الرئيسية والدينية والتشريعية فكان أول سيد مطلق النفوذ في دولته الصغيرة مكة. وإيمانا منه بفردية الحكم المطلق وحتى لا تتفرق مكاسبه وتتناثر ترك قصي بن كلاب كل سلطاته ووظائفه وسنته الذكية لولده البكر عبد الدار دون أخيه عبد مناف ورحل إلى عالم الأسلاف بعد أن أسس لقريش دولتها الواحدة في مكة، ولكن قصي ما كان يعلم أن الحقد سيتملك قلب عبد مناف على ملك عبد الدار وما حظي به من تشريف..**(الحزب الهاشمي. ص120)**

أولا: ذكر القمني عبد مناف فقط في قرار الحرمان من وظائف وسلطات قصي وتناسى ذكر عبد شمس، وعبد، ابنا قصي منحهما من سلطاته ومكاسبه ما جعل القمني يحض عبد مناف بالحرمان من سلطات والده وبالحقد على أخيه عبد الدار.

ثانيا: نقل القمني من كتاب البداية والنهاية ما يوثق به قوله السابق، ولم ينس التدخل في روايات ابن كثير للخبر بحذف سبب منح قصي كل سلطاته ووظائفه لولده البكر عبد الدار دون أخوته؛ لأن القمني رأى في ذكر السبب التاريخي إفسادا لخطة تصعيد الصراع. **يقول ابن كثير: لما** كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقايا والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه البكر عبد الدار وكان أكبر ولده وإنما خصصه بها كلها؛ لأن بقية إخوته عبد مناف وعبد شمس وعبد، كانوا قد شُرّفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قومهم شرفا كبيرا فأحب قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصصه بذلك. فكان إخوته لا ينازعونه في ذلك فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم.

ثالثا: أخفى القمني رضاء الإخوة الثلاثة أبناء قصي بحكم أبيهم بتوريث أخيهم عبد الدار سلطاته ووظائفه، فبجانب ما ذكرناه من قول ابن كثير: كان إخواته لا ينازعونه في ذلك. **يقول ابن هشام في كتابه السيرة النبوي:** أقامت على ذلك (الإرث) قريش معهم (أبناء قصي) ليس بينهم اختلاف ولا تنازع.

يقول القمني: قام أبناء العمومة يستعدون القبائل على بعضهم، وتجمع بنو عبد مناف مع مؤيديهم في حلف المطيبين، فرد عليهم بنو عبد الدار بحلف الأحلاف وتجمع الفريقان للقتال من أجل السيادة على مكة؛ وبانتزاع أبناء عبد مناف ألوية الشرف (السقاية- الرفادة) من بني عبد الدار انتهى الصراع، -وفي رأي القمني ولد صراع جديد داخل بيت عبد مناف؛- لأن السقاية والرفادة: استقرت في يد هاشم بن عبد مناف دون بقية إخوته، لذا فما إن رحل عبد شمس عن الدنيا حتى ساورت ولده أمية الأطماع في أخذ ما بيد عمه هاشم من ألوية الشرف بالقوة. **(الحزب. ص120) ويتابع القمني:** وكادت الحرب تقطع صلات

الرحم وتهدر الدم الموصول، ومرة أخرى تفادي القوم الكارثة، فرضوا بالاحتكام إلى كاهن **خزاعي**، فقضي الكاهن بنفي أمية بن عبد شمس عشر سنوات. **(الحزب. ص132)**

هذه هي رواية القمني لأصل الصراع الهاشمي الأموي، ومرة أخرى نتوقف مع وقائع الرواية القمنية لتفادي الكارثة العلمية ونرضى بالاحتكام إلى العقل والوثيقة:

أولا: أخفى القمني سبب استقرار الألوية في يد هاشم بن عبد مناف دون شقيقه وتوأمه عبد شمس، قال ابن هشام عن سبب زهد عبد شمس (والد أمية) في اقتسام ألوية الشرف أنه كان: رجلا سفارا قلما يقيم بمكة، وكان مقلا (فقيرا) ذا ولد، وكان هاشم موسرا.

ثانيا: أخطأ في قوله: **فما أن رحل عبد شمس عن الدنيا حتى ساورت ولده أمية الأطماع في أخذ ما بيد عمه.**

ولنمسك بخطأ القمني نتعرف من ابن كثير والطبري على ترتيب موت الإخوة الأربعة أبناء عبد مناف: كان أول بني عبد مناف هلكا (موتا) هاشما بغزة من أرض الشام، ثم عبد شمس بمكة، ثم المطلب بردمان من أرض اليمن، ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق. ومن هذا الترتيب نخرج بأن هاشما مات في حياة عبد شمس، وزهد عبد شمس أيضا في ألوية الشرف، وحل محله شقيقه الأصغر المطلب، ولم يصلنا نص تاريخي يوحي بغضب -ولن نقول بثورة- عبد شمس على أخيه هاشم أو المطلب.

ويقول جواد علي: ويذكر أهل الأخبار أن أمية بن عبد شمس كان من جملة من ذهب من رجال مكة إلى سيف بن ذي يزن لتهنئته بانتصار اليمن على الحبش وطردهم لهم.. وكان مثل أبيه عبد شمس حامل لواء قريش، أي أنه كان يحملها في الحرب.. وكان هاشم أول من مات من ولد عبد مناف، مات بغزة فعرفت بغزة هاشم، وكان قد وفد بتجارة إليها فمات بها، ومات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد، ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن. ويتبين من ذلك أن جميع هؤلاء الأخوة ما خلا عبد شمس ماتوا في أرض غريبة ماتوا تجارا في تلك الديار. **وهذا ما دفع أبو شافعي ليتسائل:** لماذا أمات القمني عبد شمس قبل هاشم؟ والثابت تاريخيا أنه مات بعده؟؛ ولماذا جعل ثورة أمية بن عبد شمس على عمه هاشم بعد رحيل والده عن الدنيا؟ والثابت أن ثورة أمية كانت في حياة والده، والحكم بطرده من مكة صدر في حياة والده أيضا، ولم يخرج الأب عن الإجماع المكي بطرد ولده أمية؛ هذا إذا قلنا فرضا بحقيقة الصراع.

ثالثا: لم يكتف القمني بما سبق -رغم شذوذه- لكنه تعمد الوصول بالشذوذ العلمي والمعلوماتي إلى منتهاه فهجم على عقولنا البسيطة شاهرا معلومة جديدة تنويرية يقول فيها: يتضح لنا وعي عبد المطلب

السياسي وبعد نظره وحسه القومي في قيادته وفدا إلى اليمن **برفقة ابن أخيه أميه** قبل النزاع المشار إليه.(**الحزب. ص 133**)

فالثابت أن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم وليس عم أمية بن عبد شمس بن عبد مناف؛ لأن عبد شمس والد أمية شقيق وتوأم هاشم والد عبد المطلب ولم يكن في التاريخ ولن يكون في العقل والمنطق عبد المطلب شقيقا لعبد شمس ليكون عما لأمية، لأننا لو قلنا بهذا الشذوذ التنويرى لوجب علينا ليس فقط إسقاط وقائع الصراع بين هاشم وأمية من كتاب القمني وإنما لوجب إسقاط شخصية هاشم من التاريخ ليحل محله ابنه عبد المطلب في عمومته لأمية، ولينتقل نزاع وصراع وثورة أمية من زمن هاشم ليوضع في زمن عبد المطلب وليكون مع وضد عبد المطلب وبعد الرحلة القومية إلى اليمن.. وكل ذلك ليتلقى القارئ باستسلام وبدون قلق السؤال الخطة الهاشمية التي وضعها ونفذها البيت -الحزب- الهاشمي وللدقة التي اختلقها القمني.

ولأن المادة الأولى التي بنى عليها القمني أسطورة الحزب الهاشمي هي فكرة أن التفرق العقائدي وتعدد العبادات والأرباب قد ساعد بفاعلية في زيادة الفرقة القبلية. فكان هو الداء الذي وعاه عبد المطلب مؤسس الحزب؛ ومنه اخترع الدواء أو فكرته والذي هو إزالة هذا العائق-تعدد الأرباب- بجمع العرب تحت عباءة دين واحد ورب واحد، والذي لن يكتمل إلا بظهور النبي الملك -مثيل النبي داود- والذي ستجتمع العرب كلها تحت لواءه وبالطبع تحت لواء بني هاشم أو الحزب الهاشمي حسب المنظور القمني.. مما يدفعنا إلى مناقشة أمرين هامين؛ هما: الأول: هل كان التفرق العقائدي هو سر تفرق قبائل العرب وعدم توحدهم؟ الثاني: ما حقيقة ملة عبد المطلب؛ وهل بالفعل كان على دين التوحـيد؟

أولا: هل كان التفرق العقائدي هو سر تفرق قبائل العرب وعدم توحدهم؟

بنى القمني اسطورته المسماة بالحزب الهاشمي على أن الجد عبد المطلب قد وعى بحسه السياسي والقومي أن السبب في تفرق العرب قبائل وعصبات هو تفرقهم في العبادات وتعدد الأرباب لديهم؛ مما دفعه إلى تأسيس ملة الأحناف -على حد زعمه- ليوحد العرب على دين واحد وإله واحد هو إله إبراهيم؛ ورغم أن التاريخ يشهد أنه كان هناك من الأمم ذات الدين الواحد والرب الواحد وتفرقوا شيعا وأجزاء، ويشهد كذلك أنه كان هناك من الأمم ذات الأديان الكثيرة والعقائد المتفرقة والأرباب المختلفة ورغم ذلك توحدوا على قلب وطن واحد كبير لم يقف التفرق العقائدي أو الإختلاف فيه حائلا دون اتحادهم. فالتاريخ يشهد ويقر أن توحيد أقاليم مصر قديما وولايات أمريكا حديثا في كيانين سياسين لم يشترط إطلاقا توحيد الآلهة في إله. وكذلك لم يقف تعدد الآلهة أو إنكار كل الآلهة عائقا أمام نشأة الإتحاد السوفيتي أو تفتته بعد ذلك وتقسيمه.

أما القمني فهو يرى أن تعدد الأرباب لدى القبائل العربية كان هو الحائل دون قيام دولة عربية موحدة تجمع كل القبائل العربية تحت لواء واحد، وعليه يبني حتمية توحيد الأرباب لتوحيد القبائل في كيان سياسي (دولة واحدة) دون أن يجيب على سؤال هام أغفله أو تغافل عنه: **لماذا تعدد الأرباب كان العائق الدائم والمستمر في سبيل توحيد جزيرة العرب وبالذات قبيل الإسلام؟** وفي مقاله: هل بنى الفراعنة الكعبة؟ يذهب القمني إلى عكس هذا الرأي تماما فيؤكد أن التفرق العقائدي وتعدد الآلهة -الأرباب- لم يقف حائلا دون دول كثيرة من التوحد وبناء الدولة القوية الناهضة.. **يقول أبو شافعي:** قد اضطر القمني أو استسهل اختلاق خرافة أن التفرق العقائدي وتعدد العبادات والأرباب قد ساعد بفاعلية في زيادة الفرقة القبلية. بحيث أصبح تعدد الأرباب عائقا دائما ومستمرا في سبيل المحاولات التي قامت من أجل خلق كيانات سياسية في جزيرة العرب، واختلاقه لشرط توحيد الأرباب كمقدمة لازمة لتوحيد القبائل كان بقصد التمهيد الخرافي لأسطورة الصراع الهاشمي الأموي لأنه الصراع الذي سيرتكز عليه بعد تخييله كحقيقة تاريخية لينطلق من لحظته الصراعية الدرامية إلى تخليق ما أسماه الحزب الهاشمي الذي سيتولي قادته (هاشم -المطلب- عبد المطلب) التخطيط لإزالة عائق تعدد الأرباب لتوحيد القبائل بمثلث الرسول -الرسالة- الدولة. وسيتولي حفيدهم مهمة التنفيذ لهذه الخطة.

وفي ذات الوقت أعطى الوضع المتأزم أبعادا جديدة عندما دعم قوى حزبه العسكرية برجال الحرب والحلقة من بني النجار والخزرج في يثرب، فشد الوثاق بهم بأن تزوج سلمى بنت عمرو من بني النجار من الخزرج ليكون ذلك الزواج لحزب عبد الدار وعبد شمس إعلانا صريحا عن قيام التحالف بين الحزب الهاشمي وأهل الحرب اليثاربة. وبموت هاشم تولى أخوه المطلب منصبي السقاية والرفادة والقيادة للحزب، واتبع أسلوب أخيه وسياسته في اجتذاب القلوب. ولم يطل العمر بالمطلب سيدا فقد رحل (مات) تاركا استكمال المهمة الجليلة لابن أخيه ذاك العبقري الفذ شيبة بن هاشم المعروف بعبد المطلب.**(الحزب. ص130)**.

ثانيا: ما حقيقة ملة عبد المطلب؛ وهل بالفعل كان على دين التوحيد؟

لأن عبد المطلب تربى في يثرب: حيث كان كل التاريخ الديني يتواتر هناك في مقدسات اليهود وحيث كانت حكايات اليهود عن مغامرات أنبيائهم القدامي وعن دولتهم الغابرة التي أنشأها داود، **فيؤكد القمني:** فمن هذه البيئة أتي عبد المطلب إلى مكة بالمشروع الإسرائيلي بمثلثه العرقي الديني السياسي ليهتدي به مهمته الجليلة بوضع أيديولوجيا متكاملة لتحقيق أهداف حزبه الهاشمي... **يقول القمني:** المهم أن الأحداث تتابع في مكة واستمرت المنعة الهاشمية للنبي الذي اتبع خطى جده. وأعلن أنه نبي الفطرة الحنيفية التي نادى بها الأولون السابقون ونادى بها عبد المطلب ومثلما أتى جده الرئى وغته ثلاثا ليحفر زمزم. فقد أتاه جبريل

وغته ثلاثا ليعلن نبوته وكما اهتم عبد المطلب بتأكيد التحالف مع الأخوال من أهل الحرب في يثرب؛ اهتم حفيده محمد أيضا بالأمر.**(الحزب. ص78)**

والقمني بتخييله لعبد المطلب بهذا الدور الفريد والذي يحسر ويحصر دور حفيده في دائرة التنفيذ المحدودة والمحددة بما أسسه الجد يدفعنا؛

أولا: إلى الإقرار بحقه الكامل في السؤال والبحث وأن يجرد في إجابته الحفيد محمد من الهالة التي تخيلها السلف بمثالية وصدقها الخلف بتقليدية وأن يعيد كل ما ظنناه محمديا أو إسلاميا إلى الجد عبد المطلب ويدفعنا؛ **ثانيا:** وقبل أن ننحاز مع أو ضد ما تخيله القمني وخيله في كتابه، أن نتريث قليلا وأن نفكر بعقل في نقطتين جوهريتين:

النقطة الأولى: عن دور عبد المطلب التأسيسي للدين؛ لأنه في حدود علمنا أن تراث البيت الهاشمي أو ما أسماه القمني بالحزب الهاشمي، يخلو من الثورة العقيدية ومن الأفكار الإنقلابية والمضادة للتعددية الوثنية لالتزام البيت -الحزب- بسنة الجد قصيّ الذي أقر للعرب ما كانوا عليه من وثنية وذلك أنه كان يراه التعدد الوثني دينا في نفسه لا ينبغي تغييرة، وأن الأيديولوجية الهاشمية ترتكز على وتنطلق من ملة عبد المطلب كأساس؛ ولأن عبد المطلب في كتاب القمني لم ينقلب على سنة جده قصي سواء الدينية أو السياسية. **(الحزب. ص 133)** فالذي يجب أن نبحث فيه هو دليل القمني الذي استدل به على تاريخية الملة التوحيدية التي أسسها عبد المطلب. **يقول القمني:** إن عبد المطلب بعد أن حدد الداء (الفرقة القبلية) ووصف الدواء (توحيد الأرباب) انطلق يضع أسس فهم جديد للاعتقاد. وهم يجمع القلوب عند إله واحد يتميز بأنه يلغي التماثيل والأصنام وغيرها من الوساطات والشفاعات؛ لأنه لا يقبل من أحد وساطة ولا شفاعة إلا العمل الصالح..**(الحزب. ص 134)**.**وبيقينية يقول بأن:** ابن كثير يؤكد أن عبد المطلب كان مؤسسا لملة وأعتقاد، فيروي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة عن ديانة أبي طالب بن عبد المطلب- هو على ملة الأشياخ هو على ملة عبد المطلب. يذهب القمني هنا إلى أن لعبد المطلب ملة لم يعتقدها فقط وإنما كان مؤسسا لها ويقطع بأن ما ذهب إليه هو نفس ما يؤكده ابن كثير بما رواه عن ابن عباس، ولنتفق أو نختلف معه على صواب أو خطأ ما ذهب إليه نبدأ بدليله النقلي: **في كتاب البداية والنهاية** خرّج ابن كثير وصحح عن البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل. فقال: أي عم؛ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر ما كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفر لك ما لم أنه عنك. فنزلت: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي

قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) **التوبة 112**، ونزلت: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) **القصص 56**. وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لا إله إلا الله فأبى أن يقولها، وقال: هو على ملة الاشياخ، وكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب.

وهو موقف حاد في تناقضه مع ما قاله القمني ولا يبيح له الوصول بخياله مهما كان واسعا إلى هذا الحد من الشذوذ الاستنتاجي الذي لا يستند على علم أو منهج أو حتى عقل. هذا عن الدليل النقلي الذي عمد فيه القمني إلى الإسقاط والحذف لأن المحذوف كان ممكنا كما رأينا أن يتعارض مع فروض الكاتب وما يريد الوصول إليه وللدقة ما يريد توصيل القارئ إليه، أن عبد المطلب لابد أن يكون متدينا، والأهم من التدين -كحالة فردية- أن يكون مؤسسا لملة (دين- اعتقاد) توحيدية لتكون الأساس الجاهلي لإسلام الحفيد محمد.

وإن كان بعض المحدثين أنكر أن تكون آية: إنك لا تهدي من أحببت. قد نزلت في أبي طالب كالأستاذ العقاد الذي قال: وأوضح من خطأ هؤلاء المفسرين هنا ظنهم أن أبا طالب مقصود بعد وفاته بقوله تعالى في سورة القصص: إنك لا تهدي من أحببت. فإن سورة الأنعام قد نزلت بعد سورة القصص كما جاء في كتاب الإتقان، فلا هداية ولا جدال ولا نهي عن أذي النبي بعد الوفاة.. ولكن العقاد ما زعم ولا ادعي أن عبد المطلب الذي سمي ولده **بعبد العزى**، ولا أبا طالب أنهما كانا موحدين على دين الحنفية والتوحيد بل ساق رواية ابن إسحاق التي تؤكد على دين الكفر لأبا طالب والتي جاء فيها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه. فيصليان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم. هذا دين الله ودين رسله ودين أبينا إبراهيم.. بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أحق من بذلك له النصحية ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه..

فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن -والله- لا يخلص إليك بشئ تكرهه ما بقيت.

وكل ماقاله العقاد عن عبد المطلب أنه كان متدينا صادقا في دينه الذي يعتقد؛ وأن أبو طالب كان صادقا وجادا في حماية ابن أخوه والزود عنه بكل قوة، من ذلك ما رواه القرطبي أنه ناجز أبا جهل وجلّة قريش في مجموعهم يوم اعتدى ابن الزبعري عليه في صلاته. وكان النبي عليه السلام قد دخل الكعبة ليصلي كعادته فقال أبو جهل: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته، فقام ابن الزبعري فأخذ فرثا ودما

فلطخ به وجه النبي، وانفتل النبي من صلاته وقصد إلى عمه فسأله عمه: من فعل هذا بك؟ قال: عبد الله بن الزبعري! فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوه قد أقبل جعلوا ينهضون فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفي، فقعدوا حتى دنا منهم، وأخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ به وجوههم ولحاهم وانصرف وهو يغلظ لهم القول.. وهذا لم يكن من باب اتباع النبي على دينه أبدا؛ بل كان حمية وشهامة العربي المعروفة؛ **أوكما قال العقاد:** تبدو لنا رعاية أبي طالب لابن أخيه على الرغم من قريش خلائق رحمة ونخوة ووفاء واعتداد بالجاه والكرامة.. ولقد مر بنا من نجدة أبي طالب لابن أخيه ما تم به فضيلة النجدة كاملة لهذا الشيخ الكريم، ولكنها كانت في الحق نجدة لكل قاصد ومستجير ولو لم تكن حقوق ابن الأخ على عمه، فقد استجار به أبو سلمة صاحب بني مخزوم فأجاره وأعلن على الملأ جواره، فمشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا: يا أبا طالب ما هذا؟ منعت منا ابن أخيك محمدا فمالك ولصاحبنا تمنعنا منا؟ قال: إنه إستجار بي وهو ابن أختي، وإن لم أمنع ابن أختي لم امنع ابن أخي. فغضب أبو لهب في هذه المرة لأخيه الشيخ وثار بهم قائلا: يا معشر قريش! والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ. ما تزالون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد. فخشى زعماء قريش مغبة الوفاق بين الأخوين في النجدة والجوار، وكان أبو لهب معهم على رسول الله في دعوته، فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، انصرفوا راغمين.

فهل نصرة أبو طالب وأخوه أبو لهب للمخزومي كانت من ضمن المخططات الحزب الهاشمي؟! أبو طالب الذي أكد على أنه على ملة عبد المطلب قد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه: هو في ضحضاح من نار؛ ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار-يعني أبا طالب-.

علم عبد المطلب بنبوة الرسول

في سبيل محاولة إيهام المطالع لكتاب الحزب الهاشمي أن الإسلام لم يبتدأ بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي عليه؛ وأنه عليه السلام من بعد البعث بالرسالة صار نبيا مأمورا من الله تعالى وهو وحده سبحانه الذي يوجه وهو الذي يشرع وهو الذي يأمر وينهي؛ وهو وحده سبحانه وتعالى صاحب المشروع الإسلامي الكبير والممتد إلى نهاية الحياة الأرضية، أراد القمني أن يوهم القارئ أن دعوة الإسلام قد بدأت بداية جاهلية محضة تتنازع فيها العنصرية والقبلية وحب السيطرة والتحكم في مصير العباد. ولمعرفة كيف تعرّف عبد المطلب أن حفيده محمدا هذا سيكون نبيا؛ يحكي لنا القمني أسطورة أو حكاية لطيفة التقطها التقاطا من كتب التراث يقصها علينا فيقول القمني: فقد وضح في الحديث المتواتر في كتب السير **عن اللقاء السري** الذي تم بينه وبين سيف بن ذي يزن؛ عندما قاد وفد قريش لتهنئته باستقلال بلاده عن الحبشة. وبهذا الشأن يورد ابن عبد ربه ما زعم أنه دار في هذا اللقاء، في حديث مسجوع الفواصل؛ فقال سيف لعبد المطلب: إني مفوض إليك شر من علمي أمرا غيرك كان لم أبح له به، ولكني رأيتك موضعه فأطعلتك عليه، فليكن مصونا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره، فإني أحد في العلم المخزون، والكتاب المكنون الذي ادخرناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خيرا عظيما، وخطر جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس كافة، ولرهطك عامة، وبنفسك خاصة.. إذا ولد مولولد بتهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، إلى يوم القيامة.. هذا حينه الذي يولد فيه، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وقد وجدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منا أنصارا (المقصود هنا أهل يثرب فهم من أصل يمني) يعز به أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويفتح كرائم الأرض، ويضرب بهم الناس عن عرض، يخمد النيران، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله حكم وفصل، وأمره حزم وعدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويبطله.. والبيت ذي الطنب، والعلامات والنصب، إنك يا عبد المطلب، لجده من غير كذب. فخر عبد المطلب ساجدا.. قال ابن ذي يزن: أطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معاك؛ فإني لست آمنا أن تدخلهم النفاسة، في أن تكون لكم الرياسة، فيبغون الغوائل، وينصبون الحبائل، وهم فاعلون وأبناؤهم. وعن إلـقين بعلم عبد المطلب بأمر حفيده؛ يتحدث كتبة التراث مسلمين بالأمر.. فيذكرون عن ولده العباس قوله: قال عبد المطلب: قدمت من اليمن في رحلة الشتاء، فنزلنا على حبر من اليهود يقرأ الزبور، فقال: من الرجل؟ قلت: من قريش، قال: من أيهم؟ قلت: من بني هاشم، قال: أتأذن لي أنظر إلى بعضك، قلت: نعم ما لم يكن عورة. قال: ففتح إحدى منخري فنظر فيها ثم نظر في الأخرى، فقال: أنا أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة، وإنما نجد ذلك في بني زهرة، فكيف ذاك؟ قلت: لا أدري. فقال: إذا تزوجت فتزوج منهم. فلما رجع عبد المطلب تزوج من هالة بنت وهيب بن

عبد مناف فولدت له حمزة وصفية. وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب أخي وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم. **(الحزب. ص141-144)**

فمن نقل إلينا مادار في هذا اللقاء السري بين عبد المطلب وسيف بن ذي يزن حتى يسجله ابن عبد ربه؟! وما مدى علم بن ذي يزن حتى يأتي بهذا التفصيل الممل لواقع حياة النبي محمد عليه السلام؟!

يعلق الأستاذ منصور أو شافعي على ذلك: صدق القمني الذي يعتمد العلم لا الأساطير؛ عملية قراءة كف عبد المطلب كعملية تنبؤية فذة تستحق الاحتفاء بها والاستناد عليها للبرهنة على حقيقة علم وتاريخية سعي عبد المطلب لإنجاح قراءة الكف بزواجه لما رجع من بني زهرة بن كلاب شقيق قصي. وكعملية تألية ومكملة لما تم في اللقاء السري بين عبد المطلب وسيف بن ذي يزن، لذلك لم يسأل كباحث عن كيفية معرفة الحبر اليهودي بكمون الملك والنبوة في دماء بني زهرة، واكتفى كمادي عقلاني علمي بتصديق وجود الملك والنبوة في خطوط كف عبد المطلب. وهذا حقه الذي أقررنا ونقر به. ولكن المفزع في أمر القمني أنه لم يكتف برفض استخدام حقوقه كباحث بالسؤال، لكنه رفض بسكوته فكرة تفكير مصدر المعلومة الحلبي في عملية قراءة الكف، وهذا ما اكتشفناه ونحن نراجع المعلومة في السيرة الحلبية، فبجانب ممارسته لعادته بدس العبارة الأخيرة: وجاز أن يكون الملك والنبوة.. الخ. في كلام الحلبي تجاهل القمني تماما التساؤل القلق والملاصق لعبارة: أن عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد. **يقول الحلبي:** قيل: وفيه (خبر زواج عبد المطلب وابنه في ليلة واحدة من بني زهرة) تصريح بأن عبد الله كان موجودا حين قال الحبر لعبد المطلب أن النبوة موجودة فيه. فكيف تكون موجودة فيه مع انتقالها لعبد الله؟ **ويزداد قلق الحلبي؛ فيقول:** من أين أن عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد المطلب، وفيه أن هذا لا يحسن إلا لو كانت أم عبد الله من بني زهرة. وهذا ما لم يكن لأن أم عبد الله هي فاطمة بنت عمرو من بني مخزوم. وبمخزومية أم عبد الله وبزواجه مع والده في مجلس واحد يبقى تساؤل الحلبي عن كيفية انتقال الملك والنبوة من عبد المطلب إلى عبد الله يطارد القمني باحثا عن إجابة علمية وليست أسطورية ولأن الكف المقروءة هي كف عبد المطلب. ولأن حمزة هو ثمرة زواج عبد المطلب من بني زهرة ولأن القمني اعتمد هذه الأسطورة كدليل تراثي على سعي الجد لتحقيق نبوة الحفيد فهل سيذهب مع دلالة الأسطورة إلى أحقية حمزة بن عبد المطلب بالملك والنبوة؟ ونقف عند هذا الحد الذي نظنه قد وضع عقولنا بيقين على أسطورية دور عبد المطلب في تأسيسه للدين. وعلمه وسعيه لتحقيق نبوة حفيده، ووضع عقولنا على حقيقة أن القمني لم يقصد إعلاء شأن عبد المطلب (الجد) بقدر ما تعمد ومع سبق الإصرار والترصد جهلنة الدين والنبوة وذلك كخطوة ثانية في انقلاب القمني على الثوابت التاريخية.

حقيقة العداء بين مكة ويثرب

حاول القمني توتير العلاقة بين مكة ويثرب؛ كمقدمة لتحالف اليثاربة مع النبي الحفيد؛ **فقال:** أن قريشا أسفرت عن توجهها بالتحالف مع الأوس ضد الخزرج يومي معبس ومضرس. مما يلقي الضوء على المستقبل القريب عندما يتحالف أهل يثرب وعلى رأسهم الخزرج مع النبي ضد قريش. **(الحزب الهاشمي. ص 62)** وهو الأمر الذي أكده في أكثر من مرة في غير هذا الكتاب؛ **يقول القمني:** بل وساهمت حكومة الملأ القرشية في إضرام جذوة النار بين الأوس والخزرج، فوقفت إلى جوار الأوس يومي معبس ومضرس، حتى أوشكت عرب يثرب على انهيار تام، بحيث أسقطتها قريش، وخاصة كبار تجارها الأمويين، من معادلتها التجارية. **(حروب دولة الرسول. ص58)**

وتعالى أولا أيها القارئ الكريم نتطلع إلى حقيقة يومي معبس ومضرس ونري حقيقة هذا التحالف بين قريش مع الأوس ومدى تأثيره على الأحداث بعد ذلك؛

قال ابن الأثير في الكامل: ثم التقوا -الأوس والخزرج- عند معبس ومضرس، وهما جداران، فكانت الخزرج وراء مضرس، وكانت الأوس وراء معبس، فأقاموا أياماً يقتتلون قتالاً شديداً، ثم انهزمت الأوس حتى دخلت البيوت والآطام، وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها.. ثم سارت الأوس إلى مكة لتحالف قريشاً على الخزرج وأظهروا أنهم يريدون العمرة. وكانت عادتهم أنه إذا أراد أحدهم العمرة أو الحج لم يعرض إليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل. ففعلوا ذلك وساروا إلى مكة فقدموها وحالفوا قريشاً وأبو جهل غائبٌ. فلما قدم أنكر ذلك وقال لقريش: أما سمعتم قول الأول: ويل للأهل من النازل! إنهم لأهل عدد وجلد ولقل ما نزل قوم على قوم إلا أخرجوهم من بلدهم وغلبوهم عليه. قالوا: فما المخرج من حلفهم؟ قال: أنا أكفيكموهم، ثم خرج حتى جاء الأوس؛ فقال: إنكم حالفتم قومي وأنا غائب فجئت لأحالفكم وأذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده علظ على رأس أمركم. إنا قوم تخرج إماؤنا إلى أسواقنا ولا يزال الرجل منا يدرك الأمة فيضرب عجيزتها، فإن طابت أنفسكم أن تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا خالفناكم، وإن كرهتم ذلك فردوا إلينا حلفنا. فقالوا: لا نقر بهذا. وكانت الأنصار بأسرها فيهم غيرة شديدة، فردوا إليهم حلفهم وساروا إلى بلادهم..

ودلالة المحاولة القمنية تحصر القبول اليثربي بمحمد في الثأر من المكيين. لا لأن الله شرح صدورهم للإسلام ولكلام الله، ولا لأن الله تعالى بفضله عليهم جعلهم إخوانا كأبناء أب وأم واحدة بعد عداوة مزقت أوصال الجوار، ولا لأنهم أرادوا نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وإخوانهم المهاجرين؛ لا كل هذا ظهر أنه أسطورة -عند القمني- فأراد أن ينورنا بأسطورة أخرى إختلقها وهو يراها أليق وزيادة في النور والتنوير؛ فرأي القمني هذا يخالف ما قالت به المراجع التاريخية التي رجعنا إليها، والتي اتفقت على أن صلات قريش

بمدينة يثرب قبل الهجرة كانت طيبة. فبجانب علاقة هاشم بن عبد مناف ببني النجار اليثاربة كانت علاقة ابنه عبد المطلب التي جمعته بأخواله من الخزرج وبأخوية عمرو ومعبد ابنا أحيحة بن الجلاح الأوسي الذي تزوج سلمي الخزرجية بعد هاشم. وكانت لغيرهما من زعماء مكة صداقات مع زعماء يثرب فقد كان أمية بن خلف صديقا لسعد بن معاذ. وكان العاص بن وائل وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس وغيرهم على صلات طيبة ووثيقة بأهل يثرب. **ويقول د. علي حسني الخربوطلي ود أحمد إبراهيم الشريف و ابن الأثير:** أن قريشا كقبيلة تجارية توجه اهتمامها إلى نشاطها الاقتصادي. فقد حرصت على ألا تزج بنفسها في ذلك الصراع القبلي الدائر في يثرب. ولذا امتنعت قريش عن مساعدة الأوس ضد الخزرج يوم معبس ومضرس.. والظاهر أن د. القمني لا يملك أي نصوص وإنما يملك وباقتدار الخيال الواسع الذي أخرجه عن وعلى أصول البحث في التاريخ.

أهل مكة والتوحيد وتلقي الدعوة الإسلامية

ما زال القمني يؤكد مرة بعد أخرى أن أهل مكة كانوا يعتقدون في إله واحد فوق أرباب القبائل، وأن الإسلام لما أتى أقر لهم بذلك؛ **فيقول القمني: وقد برز الاعتقاد المكي في إله واحد فوق أرباب القبائل** وأسلافها المتعددين، الواقفين في فناء الكعبة، وأمسى معترفا به بشكل نهائي في العصر الجاهلي الأخير، **وهو ما قررته بعد ذلك آيات القرآن الكريم** في نصوص كثيرة متعددة، نقتصر منها على أمثلة تقول: {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} **المؤمنون86-87.**{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون}**العنكبوت 61**. **(حروب دولة الرسول. ص36-37) ويقول في كتاب آخر:** والمعلوم أن قريشا لم تكن تختلف مع النبي حول المسألة العقدية الأولى لدعوته، وهي الإيمان بإله واحد يحي ويميت يخلق ويرزق، ومصدر علمنا بذلك من القرآن الكريم ذاته، والذي شهد لهم بذلك في عدد من الآيات المكرمة، ومن تلك الآيات: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر القمر، ليقولن الله. قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون الله. وغير تلك الآيات بذات المعنى كثير، لكن وجه الخلاف والحاجز الكبير كان يتمثل في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لإسقاط شفاعة الشفعاء من أرباب قريش الممثلين في تماثيل..**(الأسطورة والتراث. ص38)** وبعد هذا يأتي القمني ليدعي أنه لم يكن هناك ثمة أي خلاف بين كفار قريش والنبي في بداية الدعوة حيث أنه صلى الله عليه وسلم أقر لهم أن لهم دينهم وله دينه. مسقطا نصف الآيات التي جاء فيها أنهم كافرون، وأنه لا يعبد ما يعبدون وأنهم لا يعبدون ما يعبد. فهذا ما يفعله القمني في سورة واحدة أو في آية واحدة يأخذ منها تارة ما يدعم مذهبه ثم يأخذ نصفها الآخر ليدعم مذهب آخر ذهب إليه وهكذا يضرب الآيات بعضها ببعض ليظهر للقارئ أن القرآن يناقض نفسه؛ مع إن الله يقول: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا} **النساء82**، والحقيقة أن هو وحده الذي يناقض نفسه..

يقول القمني: وبرغم أن محمدا من الفرع الهاشمي؛ فإن حزب (عبد الدار-عبد شمس- نوفل) لم يهتم كثيرا في البداية للدعوة الجديدة؛ خاصة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يخرج آنذاك عن أطر عرفهم المسنون في حرية الاعتقاد؛ فلم يجبر أحدا لاعتناق دعوته، كما لم يحاول فرضها أو اعتبارها الديانة الوحيدة الواجب اعتناقها، وتشهد بذلك الآيات الكريمة: لكم دينكم ولي دين. **الكافرون 6**. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. **يونس 99**. إن أنت إلا نذير. **فاطر 23**. وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل. **الأنعام 107**. واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا. **المزمل 10**.. ثم هاهو ينزع عنهم صفة أخرى ترتبط تماما بمصالحهم التجارية؛ تلك الصفة التي أكسبها لهم انكسار حملة الفيل على

حدود مكة صفة أنهم أهل الله؛ وينادي أهل مكة: قل يا أيها الكافرون.. لكم دينكم ولي دين. نعم مازالت الآيات تبرز التسامح الديني: لكم دينكم ولي دين. لكنها نعتت أهل مكة بأنهم الكافرون؛ برغم تأكيدها من قبل أنهم قوم يؤمنون بالله رب العرش خالق السماوات والأرض.. ويذكر لنا الطبري أن النبي حينما دعا قومه لما بعثه الله لم يبعدوا منه أول ما دعاهم، وكادوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم..**(الحزب الهاشمي. ص 186-190)** والسؤال الآن أيها القارئ الكريم هل في هذه الآيات التي ساقها القمني ما يؤكد على إيمان أهل قريش واعتقادهم في إله واحد؟ ونقصد بذلك قوله تعالى: {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُون} **المؤمنون86-87.** {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون} **العنكبوت 61.** بالطبع لا؛ ففي الآيات يوبخهم الله عز وجل ويعيب عليهم قصور عقولهم وتجنيهم على الله تعالى الذي لا إله غيره.. فهم لا يستطيعوا أن ينكروا أن رب السماوات السبع ورب العرش وخالقهم ورازقهم ومنزل المطر من السماء ومسخر الشمس والقمر هو الله؛ ولهذا جاء أنك إن سألتهم من فعل كل هذا وخلق؟ لقالوا: الله. ولكن إن قلت لهم إنه إله واحد لقالوا إن هذا لشيء عجيب.. وهم أنفسهم من قالوا على الله: أن الملائكة بناته، وأن بينه وبين الجن نسبا، وأنكروا البعث والقيامة واليوم الآخر كله من أوله إلى آخره.

يقول القمني: وقد برز الاعتقاد المكي في إله واحد فوق أرباب القبائل وأسلافها المتعددين.. **ويقول الله تعالى:** {وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاق} **ص 4-7.** وهنا فإما أن نصدق القمني في زعمه أنه كان لقريش اعتقاد في إله واحد فوق كل الأرباب، وإما أن نصدق الله تعالى الذي نقل عن كفار قريش دهشتهم لقول الرسول لا إله إلا الله؛ فقالوا: إن هذا لشيء عجاب. وقالوا عن عقيدة التوحيد: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة. قالوا: ما سمعنا بما يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، ولا في النصرانية، ما هذا إلا كذب وافتراء. وهذا يؤكد بجانب فهمهم للجانب الشركي في العقيدة المسيحية؛ يؤكد نفيهم لما زعمه القمني من أن دين عبد المطلب كان دين التوحيد والحنفية الإبراهيمية.. فمثلا هو ساق قوله تعالى في سورة المؤمنون ليؤكد أن كفار قريش كانوا يعتقدون في إله واحد فوق كل الأرباب، وأنا أقول لكم تعالوا نرى الآيات كلها معا لنرى مدى كذب وتدليس هذا القمني؛ يقول الله تعالى: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأولنَ. قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عليه إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ. بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتعالى عَمَّا يُشْرِكُون} **المؤمنون 81-92.** هذه هي نفس الآيات التي زعم القمني فيها أن الله تعالى أو رسوله قد أقر فيها كفار قريش على معتقدهم وإيمانهم بإله واحدا!! بل ساقها سبحانه وتعالى ليريهم ويرينا سفاهة قولهم ورداءة فعلهم في اعتقادهم بأن من خلق ومن رزق ومن أعطي هو الله، وفي نفس ذات الوقت هم يعبدون الأصنام بعد أن يصنعوها بأيديهم؛ وأنهم أشركوا بالله تعالى ما لم ينزل به من سلطان، وفي آخر الآيات يقيم عليهم حجة عقلية ومنطقية مفادها أنه لو هناك آلهة أو إله آخر مع الله تعالى لتعالى كلا منهم على الآخر ولأراد كل منهم أن يهيمن على ما خلق بسلطانه على الآخر؛ فإن لم يستطع لذهب كلا منهم بما خلق ولإنقسم الكون؛ هذا في سطوة وحيازة وحماية هذا الإله؛ وتلك في سطوة وحيازة وحماية ذاك الإله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. ولكن لما كان الكون كله وحدة واحدة غير منقسمة ولا متجزئة فصار هذا دليلا عقليا على وحدة الخالق والمهيمن على كافة المنظومة الكونية دون ولد ولا شريك له في الخلق ولا في الملك ولا في الأمر. والآيات في سورة العنكبوت تؤكد ما سبق وتدلل عليه؛ وعلى هذا القرآن كله.

يقول منصور أبو شافعي: ولعلمنا أن القمني استشهد بهذه الآيات لتشهد على قبول محمد المؤقت لعرف قريش المسنون في حرية الاعتقاد. وأن بداية الإنقلاب المحمدي على هذا العرف كانت بتكفيره للمكيين: قل يا أيها الكافرون. وفي حدود هذا يفترض أن تكون سور يونس وفاطر والأنعام قد نزلت قبل تكفير الحفيد الهاشمي للمكيين. أي قبل سورة الكافرون. لتشهد هذه السور كما أراد القمني من آياتها على أن محمدا لم يخرج آنذاك عن أطر عرف قريش المسنون في حرية الاعتقاد. وهذا الافتراض مستحيل على كل المستويات التاريخية والدلالية. بل ومستحيل في حدود رؤية القمني المادية لتاريخية النص القرآني. لاستحالة نوع أو سحب هذه السور من لحظاتها التاريخية المتأخرة نسبيا في عمر الدعوة المكي لتعبير له عن واقع آخر في لحظة تاريخية أخرى متقدمة جدا ومحددة ببداية الدعوة. ورغم هذه الاستحالة العقلية والدلالية والتاريخية فالذي يوحي به سياق القمني أنه قال بهذا المستحيل. وليس هذا فقط بل حاول تقطيع أوصال آيات سورة الكافرون ليلقي في وجه القارئ بآيتها الأخيرة: لكم دينكم ولي دين. كدليل قمني على قبول الحفيد الهاشمي لحرية الاعتقاد كسنة قريشية. ويلقي بآيتها الأولى: قل يا أيها الكافرون. كدليل قمني على انقلاب الحفيد التكفيرى على هذه الحرية. وليس هذا فقط بل حاول القمني تفريغ آية: لكم دينكم ولي دين. من معناها الحقيقي. وهو قبول الإسلام (الرسول-الرسالة) لتعددية دينية مبدئية. تؤكد بوضوح شديد صعوبة تمييع الحدود العقيدية الفاصلة بين رؤية هذه الأديان المتعددة لله: لا أعبد ما تعبدون ولا

أنتم عابدون ما أعبد. ولهذا الوضوح في الموقف العبادي والعقيدي فالتعددية الدينية هي تعددية إيمان وكفر.. ولعلم القمني أيضا أن تكفير أهل مكة لا تشوبه شبهة الإنقلاب على اعتراف قرآني سابق بإيمانهم بالله. لأن الله في التصور المكي الجاهلي له بنين وبنات. وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا. **الصافات 158.** وهذا التصور يباين ويناقض التصور الإسلامي لله.

لكن القمني للأسف لم يرد التعامل العلمي المحايد. لأن الحياد لم يبلغه غايته. فتعامل من النص القرآني بانتهازية ليستنطق آياته بما يريد تخييله كلحظة درامية خرج فيها الحفيد الهاشمي عن وعلى قبوله التكتيكي لحرية الاعتقاد إلى موقفه الاستراتيجي التكفيرى. وذلك بعد تأكده من وقوف حزبه الهاشمي معه ينصره وينتصر به.

هجرة الرسول

أكد القمني في اسطورته الحزب الهاشمي أن هجرة النبي والمسلمين إلى المدينة المنورة كان استكمالا للخطة التكتيكية التي وضعها عبد المطلب -المؤسس- وقام بها من بعده الحفيد محمد بن عبد الله قاصدا بذلك رفع الضغط عن الأعمام الهاشميين وتوجه بمن آمن معه إلى الأخوال اليثربيين أهل الدم والحلقة ليكتمل بذلك الجزء الأخير من المخطط الهاشمي الهادف تجميع كافة الجزيرة العربية تحت لواء الحزب الهاشمي. وبالفعل قد قام القمني كعادته في تزوير الوقائع والتاريخ ليقنع القارئ الساذج أو المتنور بنور القمني بحقيقة وواقع ذلك المخطط الهاشمي ودعونا نكشف عن بعض من هذه الأكاذيب.

يقول الأستاذ أبو شافعي: ولنقبض بعقولنا على الدلالة الخطيرة الكامنة في الرواية القمنية لنثبت هذه الحقائق التاريخية التي تجاهلها القمني: في السنة العاشرة من البعثة تم لقاء محمد بالوفد اليثربي (الخزرج) عند العقبة.

في السنة الحادية عشرة كانت بيعة العقبة الأولى.

في السنة الثانية عشرة كانت بيعة العقبة الثانية.

في السنة الثالثة عشرة تم توحيد المدينة واختيار ابن ابي سلول ملكا لها.

وبعيد هذا التوحيد والاختيار. وفي ربيع الأول من نفس السنة هاجر محمد إلى يثرب. هذه التواريخ بجانب أنها بالفعل تحدد تطور الواقع إلى حدث الهجرة فهي تضع عقولنا على افتراضين مثيرين:

الافتراض الأول: أن الدكتور يفتقد أدنى مستويات الفهم للوقائع محل البحث ولعدم فهمه قال بأن لقاء محمد بالستة رجال من الخزرج عند العقبة (والذي تم كما سلف في العام العاشر من البعثة) كان بعد وليس قبل توحيد يثرب تحت حكم ابن أبي سلول وبجانب افتقاده لفهم الوقائع. يفتقد القدرة على التمييز بين البعد والقبل لذلك يفهم أن العاشر لديه يأتي في الترتيب العددي بعد الثالث عشر.

الافتراض الثاني: أن الدكتور يعلم جيدا تفاصيل الوقائع فاستقر على حتمية خلط هذه الوقائع المعلومة بالضرورة عن حدث الهجرة لتقول بعد خلطها بما يريده هو فأتى أولا بتوحيد يثرب تحت حكم عبد الله بن أبي سلول (سنة 13) كمحاولة يثربية لإفشال خطة مكة لضربها كمركز تجاري منافس، ثم أتى ثانيا بتراجع الخزرج وإرسالهم وفدهم إلى ابن أختهم محمد في مكة (سنة 10) ثم اختلق محاولة إقناع الأوس باستدعاء محمد لأنه بخروجه من مكة إليهم يمكنهم بقيادته شن الحرب على أهل مكة بل وقطع خطوطها التجارية. نحن لا نميل إلى الأخذ بالافتراض الأول لضعفه الشديد ولأن كل ما رصدناه من تزوير وتحوير للنصوص التراثية وتحريف للنص القرآني يذهب بعقولنا إلى انطباق الافتراض الثاني على فعل القمني الذي **يفرغ الهجرة من عمقها الإيماني لتحويلها إلى مجرد مغادرة إلى الأخوال لرفع الضغط عن الأعمام.** ومن

هجرة لحماية الرسول والرسالة من الإرهاب المكي. إلى مجرد استدعاء ابن الأخت (محمد-المكي) ليقود الأخوال (الخزرج- اليثاربة) ونزيد أن القمني لتخييل الهجرة إلى يثرب كحدث معلوم بتفاصيله قبل حدوثه بمائة سنة. وكجزء في خطة الحزب الهاشمي فقد تجاهل عرض الرسول نفسه ودينه على عشرات القبائل العربية بما فيهم الأوس. ولتخييل حدث الهجرة كجزء في خطة اليثاربة وعلى رأسهم الخزرج لردع مكة المدينة المنافسة. وكتجلي من تجليات التحالف الهاشمي الخزرجي فقد تجاهل تماما خبر لقاء محمد برجال الخزرج الستة.

ويقول ابن كثير: كان الرسول يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم. فبينا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا.. قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلي. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله. وعرض عليهم الإسلام. وتلا عليهم القرآن. وبعد أن قبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام قالوا له: إنا قد تركنا قومنا **ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم.** وعسى أن يجمعهم الله بك. فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين. تجاهل القمني هذا الخبر المتواتر في كل كتب التاريخ الإسلامي والسيرة. لأن الخبر يؤكد أن هذا اللقاء كان عابرا. وأن هؤلاء النفر من الخزرج لم يكونوا رسل الأخوال إلى ابن أختهم. يعلم القمني أن أخوال النبي من بني زهرة في مكة وليسوا من خزرج يثرب، وأن أخوال والده عبد الله من بني مخزوم، بل كانوا بعد هذا اللقاء رسل محمد إلى يثرب بأوسها وخزرجها ويؤكد أيضا أن العلاقة بين الخزرج والأوس في عام اللقاء كانت عدواة وشر. أي أن يثرب لم تكن قد توحدت في كيان سياسي تحت حكم ملك واحد هو ابن أبي سلول كما أكد الدكتور لأن توحيد المدينة واختيار حاكمها الخزرجي كان قبيل الهجرة. أي بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من هذا اللقاء.. وأهم ما يعنيه أن الصراع الوهمي بين مكة ويثرب لم يكن الدافع لتوحيد المدينة. وإنما الدافع الوحيد كان **هو الإسلام الذي جفف ينابيع الخلاف الأوسي الخزرجي. وجمعهم على رؤية واحدة للحياة.** وهذه كلها وقائع اختلقها القمني ليذهب بعقل القارئ إلى أن الأمر المحمدي ليس نبوة ووحيا ودينا كما تظن الأغلبية المسلمة وإنما كان الأمر المحمدي حزبا وخطة وأيديولوجية أسسها الجد عبد المطلب ونفذها الحفيد محمد بلعبة النبوة والدين لهدف الدولة والملك كما تعتقد النخبة التنويرية العلمانية.

وسنكرر الكلام مرة أخرى عن بيعة العقبة ومقدمات الهجرة عندما سنتعرض لكتاب القمني حروب دولة الرسول..

أمية بن الصلت وعلاقته بالقرآن

في محاولة للطعن على أساس الإسلام وعموده أي القرآن يؤكد القمني في كتيبه الحزب الهاشمي: ومن شعر أمية بن أبي الصلت استمد الحفيد محمد بعض الآراء والمعتقدات والتراكيب اللغوية في وصف يوم القيامة والجنة والنار.. إلخ.

وقد نفى القمني بشدة مجرد الظن بأن يكون أمية اقتبسها من القرآن، لأن هذه الأشعار كتبت قبل المبعث.. **ويقول:** وفي أكثر ما نسب إلى هذا الشاعر من آراء ومعتقدات، ووصف ليوم القيامة والجنة والنار؛ تشابه كبير وتطابق في الرأي جملة وتفصيلا، لما ورد عنها في القرآن الكرم، بل نجد في شعر أمية استخداما لألفاظ وتراكيب واردة في كتاب الله والحديث النبوي قبل المبعث؛ فلا يمكن بالطبع أن يكون أمية قد اقتبس من القرآن؛ لأنه لم يكن منزلا يومئذ، وأما بعد السنة التاسعة الهجرية فلا يمكن أن يكون قد اقتبس منه أيضا، لأنه لم يكن حيا؛ فلم يشهد بقية الوحي!! ولن يكون هذا الفرض مقبولا في هذا الحال.. ثم إن أحدا من الرواة لم يذكر أن أمية ينتحل معاني القرآن وينسبها لنفسه، ولو كان قد فعل لما سكت المسلمون عن ذلك، ولكان الرسول أول الفاضحين له.. وهذا بالطبع مع رفض فكرة أن يكون شعره منحولا أو موضوعا من قبل المسلمين المتأخرين؛ لأن في ذلك تكريما لأمية وارتفاعا بشأنه وهو ما لا يقبل مع رجل كان يهجو نبي الإسلام بشعره، ولا يبقى سوى أنه كان حنيفيا مجتهدا استطاع أن يجمع من قصص عصره، وما كان عليه الحنفاء من رأي في شعره؛ خاصة مع ما قاله بشأنه ابن كثير: وقيل إنه كان مستقيما، وأنه كان أول أمره على الإيمان، ثم زاغ عنه. **(الحزب. ص 173-174)**

وما قاله القمني يحصر عقل القارئ بأن أمية؛

أولا: برز كنموذج للاستقامة والإيمان والتطهر والزهد والتعبد.

ثانيا: أنه كان حنيفيا مجتهدا استطاع بجهده الفذ أن يكتب ما كتب من أشعار.

ثالثا: أن ما نقله من شعر أمية غير موضوع.

رابعا: أن ماكتبه أمية والذي جاء مطابقا لما ورد في القرآن كتبه قبل البعثة النبوية، أي قبل نزول القرآن ربما بسنوات وكل ذلك يحصر عقل القارئ في دائرة التسليم بالاحتمال المسكوت عنه وهو استعانة النبي محمد بشعر أمية في كتابة قرآنه.

ونكرر إقرارنا بحق القمني في ممارسة الشك بلا سقف يحدد مداه، وأن يصل بشكه كمادي إلى حد التشكيك في القرآن وإلى حد طرح شعر أمية كمنبع جاهلي لكتاب الإسلام المقدس، فهو في شكه في قدسية القرآن لم يكن الأول ولن يكون الأخير. لكن الفارق بينه وبين غيره من الباحثين الذين اتفق معهم

في النتائج أنهم طرحوا كل الاحتمالات على بساط البحث وناقشوا أدلة كل احتمال وخرجوا برأي يميل إلى أخذ محمد في قرآنه من شعر أمية، وصاغوا هذه النتيجة في أسلوب واضح ومعبر بدقة عن مقصودهم بحيث لا يحتمل تأويلا أو معنى آخر غير الذي قصدوه..

أما القمني فقد ناقش بتوسع ونفي بيقين شبهة استعانة أمية بالقرآن وسكت بلا مبرر منطقي أو علمي عن استكمال بحث شبهة استعانة النبي محمد بشعر أمية وحجته وحجة أنصاره من التنويريين أن الحالة الراهنة للثقافة السائدة في المجتمع، لا تحتمل التصريح بالاحتمال المسكون عنه لذلك سكت **لأنه كما قيل على لسانه:** ليس من الضروري أن أستنتج ولكن القارئ يمكن أن يستنتج ما أنتهى إليه وبالتالي أعتمد كثيرا على القارئ في استنتاج كثير من النتائج..**(الأسطورة والتراث. ص 281)**

وحسب هذه الحجة التنويرية فأبسط العقول ذكاء تستنتج من نفي الاحتمال الأول إثباتا للإحتمال الثاني وهو أن الحفيد الهاشمي محمد كما ورث دين جده عبد المطلب التوحيدي. وكما أخذ تسمية دينه بالإسلام من زيد بن عمرو بن نفيل فقد استعان بشعر أمية واقتبس منه تراكيبه وألفاظه وادعى أن ما اقتبسه ما هو إلا وحي إلهي.. وعليه فإذا صدقنا حجة القمني في نفي الاحتمال الأول أن أمية لو كان ينتحل معاني القرآن وينسبها لنفسه لما سكت عنه المسلمون على ذلك، ولكان الرسول أول الفاضحين له. وهي حجة قوية وعقلانية، ولخصوصية علاقة أمية بالحزب الأموي فالعقل والمنطق والبحث العلمي كان يفرضون على القمني بحث الاحتمال الثاني لكشف موقف أمية وحزب أخواله من الأمويين من الحفيد الهاشمي الذي -حسب الاحتمال المسكوت عنه- يستعان بأشعار ابن أختهم في كتابة قرآنه، وهل سكت أمية على ما يفعله محمد الهاشمي؟ وهل سكت الحزب الأموي وضحي بهذه الفرصة لإجهاض الخطط الهاشمية بكشف المنبع الأموي للقرآن؟..ولا نشك في تجاهله-القمني- المتعمد لهذه الواقعة التي تسجل اللقاء الوحيد الذي جمع بين النبي محمد والشاعر أمية: فقد روى ابن كثير أن أمية لما قدم من البحرين إلى مدينته الطائف قال لأهلها: ما يقول محمد بن عبد الله؟ قالوا: يزعم أنه نبي هوى الذي كنت تتمنى.. فخرج أمية حتى قدم مكة فلقيه؛ فقال: يا ابن عبد المطلب ما هذا الذي تقول؟. رد الرسول أقول: إني رسول الله وأن لا إله إلا الله. قال أمية: أريد أن أكلمك فعدني غدا. قال الرسول: فموعدك غدا. قال أمية: فتحب أن آتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي وتأتيني وحدك أو في جماعة من أصحابك؟ فقال الرسول: أي ذلك شئت. قال: فإني آتيك في جماعة فأت في جماعة.. فلما كان الغد غدا أمية في جماعة من قريش وعدا رسول الله معه نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكعبة.. فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر (كل ذلك لإظهار قدراته وتعجيز النبي) حتى إذا فرغ الشعر قال أمية: أجبني يا ابن عبد

المطلب. فقال رسول الله: بسم الله الرحمن الرحيم: يس والقرآن الحكيم. حتى إذا فرغ منها وثب أمية يجر رجلية. فتبعته قريش يقولون: ما تقول يا أمية؟ قال: أشهد أنه على الحق.

هذا هو اللقاء الذي تجاهله القمني ولم يجهله والمعروف أن الآية 69 من سورة يس تقول: وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين. والمفهوم من سياق رواية ابن كثير أن أمية استمع إلى هذه الآية من الرسول نفسه ولم يكشف رغم كفره ما اكتشفه الدكتور التنويرى رغم إسلامه التشابه الكبير والتطابق في الرأي جملة وتفصيل بين شعره والقرآن، لذلك شهد بأن محمد على الحق وبعد سبع سنوات من هذا اللقاء وهذه الشهادة ذهب ليعلن إسلامه ولكن بعض أهل مكة علموا بمسيره فأرادوا رده عن غايته ليس بكشفهم له استعانة النبي محمد بشعره، وإنما بإحياء العصبية الجاهلية في قلبه وتذكيره بمن قتل في غزوة بدر من زعماء الحزب الأموي. وهذه الواقعة تضع عقولنا على حقيقة أن القمني لم يتحرك بحياد للبحث ولم يحركه العلم إنما تحرك وحركه هدف واحد ووحيد هو التشكيك في فكرة الوحي الغيبية لتناقضها مع ماديته ولذلك لم يكتف بتجاهل معلومة تاريخية كانت على الأقل كفيلة بترشيد رأيه لكنه بقصد اقترف جريمة تحريف نصوص مرجعه ليوهم القارئ بأن جواد على يشاركه هذا الرأي في القرآن.

يقول الدكتورجواد علي: أن هذا الشعر وضع على لسان أمية في الإسلام وأن واضعيه حاكوا في ذلك ما جاء في القرآن الكريم فحدث لهذا السبب هذا التشابه؟ **ويؤكد د جواد:** أما أنا فأرى أن مراد هذا التشابه والاتفاق إلى الصنعة والإفتعال، لقد كان أمية شاعرا ما في ذلك شك.. وقد كان ثائرا على قومه ناقما عليهم لتعبدهم للأوثان، وقد كان على شيء من التوحيد والمعرفة باليهودية والنصرانية، ولكني لا أظن أنه كان واقفا على كل التفاصيل المذكورة في القرآن وفي الحديث عن العرش والكرسي، وعن الله وملائكته، وعن القيامة والجنة والنار والحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك. إن هذا الذي أذكره شيء إسلامي خالص لم ترد تفاصيله عند اليهود ولا النصارى ولا عند الأحناف، فوروده في شعر أمية وبالكلمات والتعابير الإسلامية هو عمل جماعة فعلته في عهد الإسلام وضعته على لسانه كما وضعوا أو وضع غيرهم على ألسنة غيره من الشعرء والخطباء.. ولابد وأن يكون هذا الوضع قد صنع في القرن الأول للإسلام؛ لأن أهل الأخبار القدامى يذكرون بعض هذا الشعر؛ وقد يكون قد وضع أكثره في عهد الحجاج تقربا إليه؛ لأنه من ثقيف.. وتتبين آية الوضع في شعر أمية في عدم اتساقة وفي اختلاف أسلوبه وروحه، فبينما نجد شعره المنسوب إليه في المدح أو الرثاء أو في الأغراض الأخرى مما ليس لها صلة مباشرة بالدين في ديباجة جاهلية هي نسق الشعر المنسوب إلى شعرء الجاهلية نجد القسم الديني منه والحكمي في أسلوب بعيد عن هذا الأسلوب وبعيد عن الأسإلبب المعروفة عن الجاهلين أسلوب يجعله قريبا من شعر الفقهاء الصوفيين

المتزمتين. **ويقول:** وأثر الوضع على بعض شعر أمية واضح ظاهر لا يحتاج إلى دليل، وهو وضع يثبت أن صاحبه لم يكن يتقن صنعة الوضع جيدا ويبرهن على صواب رأيه بقصيدة منسوبة إلى أمية يقول فيها:

محمدا أرسله بالهدى فعاش غنيا ولم يهتضم
عطاء من الله أعطيته وخص به أهل الحرم
وقد علموا أنه خيرهم وفي بيتهم ذي والكرم

إلى أن يقول:

أطيعوا الرسول عباد الإلـ ـه تنجون من شريوم ألم
ينجون من ظلمات العذاب ومن حرنارعلى من ظلم
دعانا النبي به خاتم فمن لم يجبه أسر الندم
نبي هدى صادق طيب رحيم رءوف يوصل الرحم
ودفع الضعيف وأكل إليتيم ونهك الحدود فكل حرم
به ختم الله من قبله ومن بعده من نبي ختم

ويختم هذه القصيدة بهذا البيت:

كتابا من الله نقرأ به فمن يعتريه فقدما أثم

ويقول جواد للقارئ: اقرأ هذه المنظومة ثم احكي على صاحبها، هل نستطيع أن تقول: إنه كان شاعرا مغاضبا للرسول، وأنه مات كافرا وأن صاحبها رثى كفار قريش في معركة بدر، وأنه ما قال في الإسلام وفي الرسول؟ اللهم لا يمكن أن يقال ذلك أبدا.

وينسب إلى أمية أيضا:

إله محمد حقا إلهي وديني دينه غيرانتحال
إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها و ابتنى سبعا شدادا بلا عمد يرين ولا حبال
وسواها وزينها بنور من الشمس المضيئة والهلال

ولي إضافة هنا من شعر أمية حتى يتضح لنا أنه هو المقتبس من مفردات وتراكيب القرآن العظيم منها قوله في قصيدة منسوبة له عن السيدة مريم العذراء عليها السلام:

وفي دينكم من رب مريم آية منبئة بالعبد عيسي ابن مريم
أنابت لوجه الله ثم تبتلت فسبح عنها لومة المتلوم
فلا هي همت بالنكاح ولا دنت إلى بشر منها بفرج ولا فم

وهنا نقول: من أين علم أمية -إن لم يكن علم من القرآن- أن مريم العذراء حملت بالمسيح العبد النبي بكلمة من كلمات الله ولم يمسسها بشر؛ أعلم من اليهودية التي أنكرت المسيح وأمه؟ أم علم من المسيحية التي تؤله المسيح وأمه؟! **وقال فيها أيضا:**

فقال لها ألا لا تجزعي وتكذبي ... ملائكة من رب عاد وجرهم
أنيبي واعطي ما سئلت فإنني ... رسول من الرحمن يأتيك بابنم
فقالت له أنى يكون ولم أكن ... بغيا ولا حبلى ولا ذات قيم

وقال في آخرها:

وقال لها من حولها جئت منكرا ... فحق أن تلحي عليه وترجمي
فأدركها من ربها ثم رحمة ... بصدق حديث من نبي مكلم
فقال لها إني من الله آية ... وعلمني والله خير معلم

وهذا كله تجده في كتاب الله؛ في قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إليها رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ على هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّا} **مريم 16-21**، إلى قوله تعالى: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً. فَأَشَارَتْ إليه قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّا}**مريم 27-30. يقول الأستاذ العقاد في طوالع البعثة:** وينبغي الاحتراس من قول القائلين إن أحدا من أولئك المتحنفين أو الحنفاء تنصر أو تهود على مذهب مفصل مستوعب لعقائد النصرانية أو اليهودية، فكل ما يصح من أخبار الحنفاء أنهم كانوا يعرفون أن الإيمان بالإله الواحد أهدى وأحكم من الإيمان بالنصب والأوثان..

الخلاصة من كتاب الحزب الهاشمي

يقول القمني: وقد نجح محمد في تحقيق أهداف الحزب الهاشمي بتكوين دولته في المدينة؛ **ثم يضع القمني على لسان النبي:** وكأني بمحمد ينادي طيف جده: أي جدي ها أنذا أحقق حلمك. وينتقي من أشعار الروافض هذا البيت ليكون القول الأخير في دراسته:

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل. (الحزب. ص100)

والمسلم السامع لهذا البيت من الشعر لا يقع في فهمه إلا أن محمدا لم يكن لا نبيا ولا رسولا فعلى ما جاء في البيت فالأمر كله لعب بني هاشم بالملك؛ فلا ملك جاء ولا وحي من السماء نزل. فإن كان هذا التخريج خرج من كيس غير مسلم منكر للإسلام لقلنا لا بأس. ولكن أن يأتي به مسلم أو من يزعم أنه مسلم فهذا هو الأمر العجيب الذي يستحق الوقوف عنده لنري ما دلالة هذا على حقيقة عقيدة كاتب تلك السطور!!

قال ابن كثير: وأما ما يوردونه عنه (يزيد بن معاوية) من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبعرى في وقعة أحد التي يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حلت بفنائهم بركها واستحر القتل في عبد الأشل

قد قتلنا الضعف من أشر افهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وقد زاد بعض الرو افض فيها؛ فقال: لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاءه ولا وحي نزل.. فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه ليشنع به عليه..

وخلاصة كتاب الحزب الهاشمي للقمني يدور حول المخطط الهاشمي الذي بدأه وأسس له عبد المطلب وأن حفيده محمد بن عبد الله نفذ ما خططه الأجداد وأن دوره معلوم بتفاصله للجد ومحكوم بما تأسس، وهنا يؤكد القمني كرجل مادي علمي علماني متطور ومتنور أن الإسلام ما هو إلا إفراز أرضي ولم يبني على وحي سماوي؛ أفرزته القواعد الجاهلية السابقة؛ وخطط مسبقة لجد أو لجدود سابقين طمحوا وطمعوا في السيادة والسيطرة وتوحيد كافة قبائل الجزيرة تحت سيد واحد وإله واحد وسيادة قبيلة واحدة هي قريش وسيادة لعرق واحد فيها هو العرق الهاشمي. وبهذا يكون الرجل الذي يريد محاربة الأسطورة بالعلم والتراث بالعقل هو أول من أسس للأسطورة وهدم العقل!!

يقول الأستاذ العقاد في طوالع البعثة: إلا أن معجزة الإسلام في جميع مقدماته ونتائجه إن هذه النتائج لم تكن قط منقادة مسخرة لتلك المقدمات، فإن هذه العصبية اللغوية الدينية قد آلت في يد الإسلام إلى دعوة إنسانية عالمية لا تنكر شيئا كما تنكر العصبية الجاهلية، ولا تعرف ربا غير رب العالمين ولا قسطاسا غير قسطاس العمل الصالح يتفاضل به القرشي والحبشي والعربي والأعجمي وعترة النبي ومن

ليست بينه وبين النبي لحمة غير لحمة الإيمان.**ويقول اللواء عصام الدين أبو العز ايم في مجلة الإسلام وطن عدد 53 القاهرة؛ عن المدعو السيد القمني وخصوصا عن هذا الكتاب محل المناقشة:** يا للعجب لهذا الكاتب الذي يجعل من الرسالة الإلهية رسالة بشر ويجعل من الإيمان بالله الواحد الأحد الإيمان بزعامة وملك، إنه بذلك لا يؤمن بالرسالة التي أرسلها الله إذ جعلها في قوله أحلاما ومصالح ومنافع تحققت على يد حفيد عبد المطلب كما يقول، والله إن هذا القول لم ينطق به كافر يعلن عداوته للإسلام ولنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام. وما هذه الطعنات التي يطعن بها في رسالة الختم؟.. فلم تكن زعامة الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه مناط تلك الرسالة لأنه أعلن أنه جاء بها بوصفه بشرا كسائر البشر عليه من أمانة وهداية ما على الإنسان للإنسان زعيما كان أو غير زعيم. ولم تكن منفعة الأمة العربية مناط تلك الرسالة لأنها إيمان برب العالمين ولا فضل فيها لعربي على أعجمي ولا قرشي على حبشي إلا بالتقوي، ولم تكن مقضاة لوعود، لأن الإسلام لم يعد أحدا من العالمين بغير ما وعد به الناس كافة في جميع بقاع الأرضين. ما لهذا الكاتب يكتب عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب الذي إن دل فإنما يدل على أنه لم يكتب كتابه هذا بأمانة التاريخ الذي بين يدي المسلم والكافر.

ويقول الدكتور محمد المسير في صحيفة النور 29 يوليو و5 أغسطس 1992؛ في ذات الموضوع: كما نلاحظ إلقاء لأحكام جزافية كقوله إن هناك خطة مرسومة ومدروسة ومنظومة فيا ترى من الذي نظمها ورسمها؟! إنه يمهد لفكرته الشيطانية بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الزعيم العربي الذي أنتجته الظروف وحولته إلى قائد عسكري ودفعته إلى تأسيس دولة حلم بها أجداده..!!

وأما عن نفسي فأنا وأخيرا أريد أسأل القمني الباحث المحقق: من خلف النبي صلى الله عليه وسلم من بعد موته؛ ألعباس أم علي أم أخوه عقيل؟ أم فرد من أفراد أخواله اليثاربة؟! بالطبع الكل يعلم من خلف الرسول.. إنه الصديق أبو بكر.. فهل كان أبو بكر هاشميا؟! بالطبع لا كان من بني تيم؟ ومن خلف الصديق؟ خلفه الفارق عمر.. فهل كان عمر هاشميا؟! بالطبع لا كان من بني عدي؟ والذي خلف الفاروق كان ذو النورين عثمان بن عفان الأموي.. فمن غير المعقول أن الحزب الهاشمي بداية من أيام مؤسسه الأول ونهاية بالنبي الحفيد وكل تخطيطهم يضيع هكذا بوفاة النبي؟؟!!

مما يؤكد لنا مدى تلك الكذبة والاسطورة التي اختلقها القمني اختلاقا وزورها تزويرا وأسماها بالحزب الهاشمي.

المحطة الثالثة

القمني وحروب دولة الرسول

وعلى نفس المنوال تستمر كتابات القمني التي تدس السم في العسل؛ وتبث الزيف وتعكر الحقيقة الرائقة؛ ففي كتابه حروب دولة الرسول يستمر القمني في تأكيد رسالته السامية والتي يهدف من خلالها -بل ويجاهد فيها جهادا- اثبات أن تحركات الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة الإسلامية ومن بعدها هجرته إلى المدينة ومن بعدها حروبه التي خاضها بنفسه أو أرسل صحابته إليها؛ كل هذا لم يكن بأمر من الله تعالى مالك الدين وصاحب الشريعة لا لا بل كان من تخطيط الملك العربي الجديد محمد بن عبد الله صاحب الحزب الهاشمي.. ولكنك ستدهش أو تصدم أن في كتاب حروب دولة الرسول أن القمني قد تنازل عن فكرته الفذة الحزب الهاشمي فلا يعود يذكر أي أمر من أمور هذا الحزب العتيد وتأثيره في نشأة الدولة الإسلامية اللهم إلا ما أقره من قبل من قيام الأخوال اليثاربة أهل الدم والحرب والحلقة بتمهيد المدينة أو يثرب لاستقبال النبي الملك؛ أو بعض شذرات أخرى.. وكما قلنا من قبل ونؤكد أن هذه كلها وقائع اختلقها القمني ليذهب بعقل القارئ إلى أن الأمر المحمدي ليس نبوة ووحيا ودينا كما تظن الأغلبية المسلمة وإنما كان الأمر المحمدي حزبا وخطة وأيديولوجية أسسها الجد عبد المطلب ونفذها الحفيد محمد بلعبة النبوة والدين لهدف الدولة والملك كما تعتقد النخبة التنويرية العلمانية.

وفي كتاب حروب دولة الرسول؛ يذهب بنا القمني في سيرة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم بداية من هجرته إلى الأخوال اليثاربة -أهل الحرب والحلقة- ليرفع الضغط عن الأعمام الهاشميين؛ وكيف أنه عليه السلام في بداية دعوته لأهل مكة لم يكن هناك ثمة أي مشكلات قد واجهها لا هو ولا من آمن معه؛ حيث أن القرشيين كانوا أصحاب حرية اعتقادية يسمحون بكل الأديان والمعتقدات!! لكن لما ألب عليهم العبيد؛ ووعدهم أن يجعلهم أنسابا ووعدهم بكنوز قيصر وكسرى!! هاج عليه القوم وبدأوا في مضايقته ومن معه، ولم يكن هذا بالطبع عند القمني سببا في هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة أو إلى المدينة بعد ذلك؛ بل كان هذا تكتيك وتخطيط من النبي الملك محمد بن عبد الله.

وعلى هذا المنوال يستمر القمني في سرد السيرة النبوية وماكان فيها من حروب دولة الرسول وبالطبع كل هذا يسرده القمني بمنهجه المادي المنكر لكل المعجزات النبوية، وبمنهجه الماركسي الذي لا تتحرك فيه الأمور إلا بناء على أمور إقتصادية بحتة، حتى ينهي كتابه بإشارة سريعة خاطفة وخائفة عن المؤامرة التي كان يحيكها النبي من ناحية بأن يبعد عمر وأبو بكر مع حملة أسامة بن زيد؛ حتى يخلي المكان لإبن عمه على بن أبي طالب ليخلفه بعدما شعر النبي بقرب أجله وميعاد رحيله، ومن ناحية أخرى سنجد أن عمر

وأبو بكر فطنوا لمؤامرة الرسول وظلوا بجواره حتى وفاته ليكون لهم من الأمر نصيب؛ وتعالى معي قارئي الكريم نلخص لك أهم ما جاء في هذا الكتاب حروب دولة الرسول..

1: أهل مكة بين التوحيد والنصر انية واليهودية والإسلام

يقول الأستاذ العقاد في طوالع البعثة: وإن أصدق وصف للحالة الدينية في عصر البعثة الدينية أنها حالة نقص في كل نحلة وكل عقيدة.. **أما القمني فيقول:** وكان من المتوقع لو لم يظهر الإسلام أن يدخل العرب في إحدى الديانتين (المسيحية أو اليهودية) لولا أنهم بدأوا نهضة قومية.. لذلك يريدون ديانة خاصة يعتبرونها رمزا لقوميتهم.. ديانة تعبر عن روح العروبة وتكون عنوانا لها، لذلك بحث عقلاؤهم من الحنيفية عن دين إبراهيم الذين كانوا يعدونه أبا لهم.. وقد ظهرت حركة التحنف قبل الإسلام مباشرة، وكانت رمزا إلى أن الروح العربي كان يتلمس دينا آخر غير الوثنية، والإسلام حين جاء كان دليلا على نضوج ديني فلسفي استعد له العرب في القرون المتطاولة السابقة..**(حروب دولة الرسول. ص45-46)**

وقبل أن نطرح السؤال الهام؛ نريد أن نرد على نقطة قد أُثارها القمني بقوله: وقد ظهرت حركة التحنف قبل الإسلام مباشرة.. **قال المسعودي صاحب مروج الذهب:** وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الفترة جماعة من أهل التوحيد وممن يقر بالبعث قد اختلف الناس فيهم، فمن الناس من رأى أن منهم أنبياء، ومنهم من رأى غير ذلك.. ومنهم أسعد أبو كرب الحميرى وكان مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بسبعمائة سنة.. وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود، ولذلك يقول بعض حمير: وكسونا البيت الذي حرم الله.. **وعليه نؤكد أن قول القمني:** أن الحنفاء قد ظهروا قبيل الإسلام مباشرة لهو قول خاطئ.. هذه واحدة.

والسؤال الآن: هل بالفعل قد تأثر العرب قبل الإسلام بالديانتين القديمتين –اليهودية والمسيحية-؟ أم لم يتأثروا بهاتين الديانتين بتاتا؟!

الإجابة: أن العرب لم يتأثروا لا باليهودية ولا بالمسيحية؛ لظروف خاصة بهاتين الديانتين وبمعتنقيها من اليهود والنصارى العرب؛ فاليهود كانوا قوم متكتمون على ديانتهم و كانوا لا يسمحون لأي أحد أن ينضم إلى دينهم الذي يروه دينا خاصا لبني اسحق؛ فالمعهود في بني إسرائيل المتأخرين أنهم كانوا لا يدعون أحدا إلى دخول دينهم لإيثارهم أنفسهم بموعد إبراهيم الخليل وحصرهم هذا الوعد في ذرية إسحاق بن يعقوب.. وأيا كان تاريخ اليهود في اليمن وفي بلاد العرب عامة فإنها لم تكن ذات رسالة دينية أو روحية للصلاح والإصلاح.. فكان اليهود يتحدثون مع العرب بلغتهم العربية، ولكن في أمور دينهم كانوا يتحدثون بلغاتهم الخاصة كاللغة العبرية مثلا أو الأرامية؛ **يقول العقاد:** فما لا نزاع فيه أن أناسا من اليهود قدموا

إلى الجزيرة بلغة غير اللغة الحجازية فاحتفظوا بلغة الدين للدين. أما عن المسيحية فشأنها في التأثير على عرب الجزيرة فهو أقل تأثيرا ووقعا عليهم؛ **يقول العقاد عن المسيحية في الجزيرة:** وأفلت إلى الجزيرة العربية آحاد من كل نحلة غضب عليها عاهل القسطنطينية، فهاجرت إليها فئات متفرقة من أتباع آريوس وأوريجين ونسطور ولوسيان الأنطاقي.. ويعترف جورج سيل مترجم القرآن بما كانت عليه حال المسيحيين في الحجاز من السوء والضلالة، **فيقول في مقدمته للترجمة:** من المحقق أن ما لم بالكنيسة الشرقية من الاضطهاد واختلال الأحوال في صدر المائة الثالثة للميلاد فقد اضطر كثيرن من نصاراها أن يلجأوا إلى بلاد العرب طلبا للحرية، وكان معظمهم يعاقبة فلذا كان معظم نصاري العرب من هذه الفرقة. وأهم القبائل التي تنصرت حمير وغسان وربيعة وتغلب وبهراء وتنوخ وبعض طيئ وقضاعة وأهل نجران والحيرة.. فالحالة التي تمثلت بها النصرانية في جزيرة العرب لم تكن حالة هداية يحيط بها مذهب واحد صالح لتعلم من يتعلمه، بل كانت شيعا سياسيا ومذاهب متنازعة..

هذه حالة النصرانية في الحجاز كما عهدها النبي عليه السلام قبل مبعثه، وهي بهذه المثابة من مقدمات رد الفعل لا من مقدمات التمهيد والتحضير، سواء كل ذلك في أمر النبي أو أمر الحكماء من طلاب الهداية الذين عرفوا باسم المتحنفين أو المتحنثين. وينبغي الاحتراس من قول القائلين إن أحدا من أولئك المتحنفين أو الحنفاء تنصر أو تهود على مذهب مفصل مستوعب لعقائد النصرانية أو اليهودية، فكل ما يصح من أخبار الحنفاء أنهم كانوا يعرفون أن الإيمان بالإله الواحد أهدي وأحكم من الإيمان بالنصب والأوثان..

وكل ما سبق يسقط قول القمني تماما والذي ذهب فيه أن العرب لو لم يأتي الإسلام لتنصروا أو تهودوا وهو قول بعيد تمام البعد عن الحقيقة والوقائع التاريخية.. وتعالى قارئي الكريم لنري لمحة من لمحات التاريخ نرى من خلالها نظرة أهل مكة إلى المسيحية وبالأخص المسيح.. فقد كان أهل مكة يتنالون الحديث عن المسيح بنوع من السخرية: {وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُو} **الزخرف 58**. فقد قال مشركوا مكة: أآلهتنا التي نعبدها خير أم عيسى الذي يعبده قومه؟ فإذا كان عيسى في النار فلنكن نحن وآلهتنا معه.

وبداية القصة كما جاء في قوله تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عليه وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيل} **الزخرف 57-59. قال ابن إسحاق:** وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم -فيما بلغنا- يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش. فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُون. لَوْ كَانَ

هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} **الأنبياء98-100**. ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبعرى: أما -والله- لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا: أكل من يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.. فأنزل الله تعالى: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون} **الأنبياء 101- 102**. أي: عيسى ابن مريم وعزيرا ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى. و نزل -فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله-: وقالوا: {اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون والآيات بعدها} **الأنبياء 26- 29**. ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعري: {ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومكم منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون} الزخرف 57-58. وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن (ما) لما لا يعقل فقوله: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون. إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ولا المسيح ولا عزيرا ولا أحدا من الصالحين لأن الآية لا تتناولهم لا لفظا ولا معنى. فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى: ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون. ثم قال: إن هو أي: عيسى إلا عبد أنعمنا عليه أي: بنبوتنا وجعلناه مثلا لبني إسرائيل. أي: دليلا على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الأخرى: ولنجعله آية للناس. **مريم 21**. أي: أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة ورحمة منا نرحم بها من نشاء.

2: الأثرياء والعبيد

في كتاب حروب دولة الرسول ستجد أن رسول الله أو الملك النبي -كما يفضل أن يسميه القمني- قد تلاعب بالعبيد وفقراء مكة ليشاركوه دينه؛ فكان لما بشر النبي أثرياء مكة وملأهم بالنار لكنزهم الذهب والفضة، فخبأوا لـه العـداء والكراهيـة مما دفـع النبي الملـك إلى وجهـة أخـرى مرحليـة؛-على خطـوات الطريـق الاستراتيجي الطويـل- تحـول نحـو المستضـعفين مـادة الحـرب واعـدا إيـاهم بـأن يجعلهـم أنسـابا ويمتلكـوا أموال وكنوز كسرى وقيصر؛ **يقول القمني:** كان لابد أن يسفر الأمر عن جفوة فعداء جهير بين النبي وبين أثرياء مكة أدى بالنبي إلى وجهة أخرى مرحلية، على خطوات الطريق الاستراتيجي الطويل، تحول بموجبها نحـو المستضـعفين وهـم دومـا مـادة الحـروب لمصـالح الطبقـات المسيطرة ومـادة الانتقـال الثـوري لمصـالح طبقة غيرهم والمعدمين والعبيد يدعوهم إلى النسب وامتلاك كنوز كسرى وقيصر، التي تتضاءل أمامها كنـوز المـلأ-الصـفوة مـن قـريش- وإلى الشـرف والكرامـة لتشـكيل نـواة أولي لأمـة جديـدة واحـدة مـن دون النـاس.. وعلى الجانـب الآخـر البشـري للمستضـعفين بـأنهم بانضـوائهم في الأمـة الجديـدة، سـيحلون محـل الملأ، وذلك باعتصامهم جميعا بحبل الله.. ومن ثم كان إعلان الـوحي بالنتيجة المحتمة، والخطط المعدة للدولة الواحدة، في قوله: وَنُرِيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين-**5 القصص**. فالمستضـعفون هـم مـن سيشـكلون مـادة الأمـة الطالعـة، وهـم مـن سـيكونون الأئمـة والقـادة، وهم من سيرثون سيادة الملأ وحكومته..**(حروب. ج1. ص52-53)**

وسبحان الله: فلو كان هذا القمني يعلم كما يتكلم ويزعم لعلم أن الآية السابقة التي ساقها هي في بني إسرائيل؛ **ومن قبل قال القمني الماركسي المادي:** أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام يؤلب العبيد على أسيادهم لندائه: اتبعوني أجعلكم أنسابا والذي نفسي بيده لتملكن كنوز كسرى وقيصر. ويعلل الكاتب أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ستجعل للعبيد أنسابا: وأنها تمثلت في عبده زيد بن حارثة وأنه أعطاه أشرف النسب بتبنيه إياه..**(الحزب الهاشمي. ص83)**

وللقمني نقول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كافة الناس؛ أغنياء وفقراء، أحرار وعبيد إلى آخره، وإن كان الله تعالى قد بين لنا عقوبة كانز المال الباخل به، فما علاقة ذلك بالتحول الاستراتيجي إلى الفقراء والعبيد يمنيهم ويوعدهم بالجنة وبكنوز قيصر وكسرى؟! أمعنى ذلك أن الرسول كان لا يدعو إلا الملأ الأرستقراطي في قريش ولما كفروا به وعاندوه تحول إلى الفقراء والعبيد؟!

أليس أول من آمن من الرجال أبو بكر الصديق التاجر الثري وعلى يديه آمن عثمان وعبد الرحمن بن عوف؟! ثم من بعده آمن عمار بن ياسر وأهله الفقراء المعدمين؟!

ثم ألم يعتب الله تعالى على رسوله عندما أعرض عن ابن مكتوم الفقير الأعمى لدعوة ذلك الملأ القرشي والذين آمل الرسول بإسلامهم إسلام أتباعهم من أهل وموالي وعبيد؟! يقول الله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَن جَاءهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عليكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَن شَاء ذَكَرَه} **عبس 1-12.**

فما معنى هذا العتاب الشديد من الله لرسوله على ما فعل من عبوس وإعراض؟! **قال ابن كثير في تفسيره:** ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطبُ بعض عظماء قريش، وقد طَمِع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم -وكان ممن أسلم قديما- فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه، ووَدَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعا ورغبة في هدايته. وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله عز وجل: (عَبَسَ وَتَوَلَّى).. ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ألا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار. ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

وأما عن الحديث المذكور فيه تمنية الرسول للعبيد بأن لهم كنوز كسرى وقيصر ومناهم أن يجعلهم أنسابا؛ وعليه عتق زيد بن حارثة وتبناه؛ فلم نجده فيما صح عن رسول الله؛ وكل ما وجدنا فهو كما روى ابن إسحاق عن إياس بن عفيف عن أبيه عفيف -وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه- أنه قال: كنت امرءا تاجرا فقدمت أيام الحج وكان العباس بن عبد المطلب امرءا تاجرا فأتيته أبتاع منه. قال: فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلي وخرج غلام فقام يصلي معه. فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به وهذا الغلام ابن عمه على بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون رابعا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله. **ويرد على القمني اللواء عصام الدين أبو العز ايم في مجلة الإسلام وطن عدد 53:** ولست أدري لم نسب الكاتب هذا الحديث بأنه اختص بالعبيد ولم لم يكن هذا الحديث خاصا بالعرب جميعا؛ ما هذا إلا قصور في الفكر أو طعن في السيرة، أما عتق النبي لزيد بن حارثة فقد كان قبل الإسلام وقبل التكليف بالرسالة فلا ارتباط بينها وبين ما ذكره الكاتب، ولولا ضيق المقال لأوضحنا الكثير حتى يفهم الكاتب وغيره أنهم لا يعرفون شيئا عن التاريخ الإسلامي.

3: النبي واليهود

تارة بعد أخرى ستجد أن القمني يميل إلى تهويد الإسلام؛ فبعد أن إدعى زورا في الحزب الهاشمي أن عبد المطلب ابن الثماني سنوات قد عاد من يثرب إلى مكة بخطته الاستراتيجية الباحثة عن نبي ملك مثيل داود؛ عاد في كتابه حروب دولة الرسول ليدعي زورا أن الرسول عليه السلام كان يداهن اليهود بذكر آيات قرآنية قبل الهجرة لتكون رسالة حب وسلام إليهم في يثرب؛ حتى عندما يحين موعد الهجرة التكتيكية إليهم فلا مناص يتقبلونه هو وصحبه بالود والترحاب؛ وكيف أنه صلى الله عليه وسلم وكان يذكر من الآيات التي فيها تفضيل اليهود على العالمين، وكيف أنه صام يوم الغفران -يوم عاشوراء- إكراما لهم، ولكن ما إن تمكن من أمر المدينة حتى تبدلت الآيات وتبدل الود والحب وتفضيلهم على العالمين؛ حتى إنتهي به الأمر إلى طردهم جميعا من المدينة؛ وكل هذا بالطبع تكتيكا استراتيجيا من الحفيد الهاشمي محمد بن عبد الله؛ وقد غفل القمني أو جهل أن سر عدم تعرض القرآن بصورة شاملة أو كافية لليهود قبل الهجرة كان سببه عدم تواجد اليهود بكثرة في مكة؛ وأن غالبهم كان متمركزا في المدينة.

يقول القمني: وبالفعل تمت الهجرة إلى يثرب، ولم يجد العنصر اليهودي في يثرب أية مشكلة في استضافة الخزرج لابن أختهم وصحبه، واحتضانهم لدعوتهم، تأسيسا على موقف عملي تكسبي، أدى إليه نجاحهم السابق في احتواء الهجرة اليمنية (الأوس والخزرج) وتوظيفها لصالح المزيد من المكاسب.. وضعف المهاجرين الظاهر الذي لا يشكل أي خطر، وهي عوامل دعت للاطمئنان وإمكان احتواء هذا الوفد الجديد، وهو الموقف الذي دفعت إليه وأذكته الآيات الكريمة التي سبقت الهجرة في الوصول إلى يثرب، تتحدث عن مكان بني إسرائيل في التاريخ السياسي للمنطقة (مملكة داود وسليمان) ومكانتهم في التاريخ الديني (مجموعة الأنبياء من نوح إلى إبراهيم وإسحق ويوسف وموسى .. إلخ) بصياغة تكريمية عظيمة؛ تقدم احتراما واضحا واضحا أيضا للتوراة اليهودية، كما في قولها: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور. **المائدة 44**. إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة. **الصف 6**. هذا مع الإحترام حتى للتفاصيل التوراتية الصغيرة، وأخذها بالاعتبار والإشارة إليها في الآيات، كتابوت الإله اليهودي (يهوه) وكتابة الله لألواح موسى.. إلخ. ثم الموقف العملي للنبي عند وصوله يثرب، حيث استقبل قبلة اليهود في الصلاة، بل وصام الغفران، ثم عقد الصحيفة مع اليهود، للتعاون والأمن والدفاع المشترك مع كفالة حرية الاعتقاد التامة، مع إعلان عن عدم التناقض الاعتقادي، وهو ما تنطلق به آيات كثيرة منها: وهو الحق مصدقا لما معهم. **البقرة 91**. وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم. **البقرة 139**.. **(حروب. ص67. ج1)**

ويقول في كتاب آخر: ومن هنا جاءت الآيات تترى تؤكد ليهود يثرب الذين يترقبون : {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}**المائدة44**. مع احترام واضح حتى للتفاصيل التوراتية الصغيرة وتوقيرها والإشارة إليها في الآيات،

كذكر شعيرة اليهود المقدسة التي كانوا يحملون بموجبها تابوتا يعتقدون أن ربهم يرقد بداخله، وجاء ذكر هذا التابوت في الآيات:{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ} **البقرة248**.(**السؤال الآخر. ص76**)

يقول الأستاذ أبو شافعي: بجانب التكتيك الهاشمي بالزواج من الخزرجيات كان الحفيد الهاشمي في رأي د. القمني يساهم بطريقته في خطة حزبه لتمهيد الأرض اليثربية لاستقباله. فركز الحفيد محمد في تكتيكه على محاولة كسب يهود يثرب أو على الأقل تحييدهم.. ثم أرسل دفعات متتالية من آيات القرآن المكي للتأثير في يهود يثرب توطئة لهم لقبول دعوته بل وقبوله هو نفسه في يثرب. وكانت الآيات الكريمات تكرم أنبياء بني إسرائيل. وتفضيل النسل الإسرائيلي على العالمين. وكان يخاطبهم بالموحي إليه: إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة. **الصف6**. وبسبب هذا التوجه كان اليهود في تمام الرضا.. والدكتور التنويرى بهذا القول يصل إلى قمة الشذوذ. فهو لم يكتف باختلاق حدث التكتيك المحمدي. ولم يكتف بجهله بالمكي والمدني من القرآن. لكنه وبجرأة غير معهودة في باحث مسلم يقتطع جزءا من الآية السادسة من سورة الصف ليقول بأنها الرسالة المحمدية إلى يهود يثرب ليقبلوه في مدينتهم والحقيقة القرآنية تناقض تماما عبث القمني. فنص الآية يقول: وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد. **الصف 6**.

وكالعادة يؤكد القمني أن محالفة الرسول لليهود هو عمل تكتيكي بدأه النبي بمصانعة اليهود؛ وصبر عليهم حتى تخلص منهم نهائيا؛ **يقول القمني:** فنرى النبي صلى الله عليه وسلم يصانع اليهود مرة، ويجادلهم مرة أخرى، ويصبر عليهم حتى تحين الفرصة، فيقلم أظفارهم، ثم يرى نفسه آخر الأمر مضطرا إلى التخلص منهم نهائيا (**الحزب الهاشمي. ص207-208**) **وسترى بنفسك كيف تبدل الفكر المحمدي والحديث النبوي من تكريم بني إسرائيل قبل الهجرة وبعد غزوة أحد؛ يقول القمني:** لقد كانت الحسابات التي سبقت الهجرة واستمرت حتى غزوة بدر الكبرى، تعمل حسابا لقوة اليهود بالمدينة، مما جعل النبي يحاول استمالة اليهود والتقرب منهم لتحييدهم على الأقل ففرض على أتباعه صوم يوم الغفران.. بل واتجه النبي محمد مع أتباعه وجهة اليهود في الصلاة نحو أورشليم القدس، وقد سبق ذلك ورافقه آيات تمجد أنبياء بني إسرائيل الذين هم أسلاف اليهود الإسرائيليين وأجدادهم، وتمجد التوراة ككتاب سماوي صادق: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور. وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله. بل وتمجد اليهود ذاتهم بتأكيد أن الله قد فضلهم على العالمين؛ ومع ذلك ظل اليهود يهودا يستمسكون بدينهم ولا يرضون بمحمد سيدا.(**حروب. ج2. ص65**)

أرأيت: تمجد التوراة ككتاب سماوي صادق!!! فالله تعالى عند القمني لم يذكر تحريف اليهود لكتبهم المقدسة وتبديلهم الكلام مكان الكلام واشتراؤهم بآيات الله ثمنا دنيويا بخسا: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ}**المائدة13.**

وبعد أحد؛ يتحول موقف الرسول من اليهود فيقول القمني: تم إلغاء الصوم اليهودي مع تقرير الصوم العربي الرمضاني، كما تم تحويل القبلة إلى كعبة مكة.. ثم جاء التحول إلى الصيام العربي ليلتقي مع تقديس يوم العروبة (يوم الجمعة وكان يسمى يوم العروبة) في وقت مبكر..**(حروب. ج2.ص66- 69) وقال:** وكانت النغمة العروبية الواضحة في صيام رمضان وتقديس يوم العروبة ثم العودة عن اغتراب القبلة الأورشليمية إلى الكعبة العربية المكية إشارة واضحة إلى بدء التخلي عن ممالاة يهود المدينة، والإفصاح بتلك الإشارات القوية إلى أن الأمر كله عائد في النهاية إلى أهل الله القرشيين.. أما المعجزة القومية الكبرى التي قدمتها الدعوة إلى العرب فتتمثل في إعلان أن رب الأديان الكبرى المحيطة بالجزيرة هو رب واحد هو رب العالمين وأن هذا الرب قد اختار محمد العربي وأنه تكلم إليه باللغة العربية، ليسحب بذلك الامتياز الذي كان قاصرا حتى ذلك الوقت على اليهود والمسيحيين ليمنحه للعرب المسلمين الذين وصفهم ذلك الإله العالمي بأنهم خير أمة أخرجت للناس.. **(حروب. ج2.ص72-73)**

أرأيت أيها القارئ مدى التدليس والغش الذي يكاد يحترفه القمني؟! فالناظر لأول مرة لهذه السطور والكلمات -أعتقد- أنه سيعتقد أن ساطرها هو مستشرق متطرف معادي لله ورسوله؛ وستزيد الصدمة لديه إذا علم أن صاحب هذه السطور يعلن الإسلام؛ رغم كل هذا البغض والكراهية للإسلام ورسوله وأهل الإسلام جميعا؛ فالقارئ سيظن أن هذا الرسول المسلم يتلاعب بالآيات القرآنية حسب هواه وحسب تكتيك استراتيجيته في السيطرة على الأرض والعباد؛ فعندما أراد أن يستميل اليهود بعث إليهم بآيات تتناول فضل اليهود على العالمين، وفضل أنبيائهم وعظمة تاريخهم، وصام يومهم المشهور وصلى إلى قبلتهم المقدسية، ولما تمكن له الأمر: صار اليهود حفدة القردة والخنازير، وترك صوم يومهم واخترع صيام شهر عربي ليصومه، وبدل القبلة نحو الكعبة العربية أو المعبد العربي الذي قدسه الجاهليون طوال عصورهم الجاهلية، وعظم اليوم العربي المعروف بيوم الجمعة!!

ويذهب القمني إلى ما هو أبعد من كل هذا رغم شناعة الكلام على آذان مؤمن موحد بالله مؤمن برسوله صلى الله عليه وسلم؛ يذهب القمني أن اليهود كانوا هم الحائل دون تصديق العربان القرآن باعتباره نص سماوي؛ لذا عجل الرسول محمد من تسريع الأحداث حتى يطردهم من يثرب؛ **قال القمني:** وكان رأيهم -اليهود- باعتبارهم أصحاب الكتاب الأول هو العامل الحاسم لدى العربان في مدى صدق علاقة الآي القرآني بالسماء، لكن وجودهم في يثرب وعدم اتباعهم دعوة النبي الدينية حمل للعربان إشارات واضحة

ودلالات بإنكارهم عليه تلك النبوة، فكانوا المنكر السماوي القائم في الواقع العربي للوحي القرآني، وهو ما أدى إلى بدء صراع طويل معهم انتهى بطردهم من يثرب، وطردهم من رحمة الإله **بعد ما كانوا عنده أفضل العالمين**، وتم أثناء ذلك إزاحة رموزهم الدينية إلى الوراء فحلت الكعبة المكية محل أورشليم، وعاد النبي إلى تمجيد المعبد الذي قدسه الجاهليون طوال عصورهم الجاهلية..**(حروب. ج2.ص240) وقال:** لكن النبي كان يعلم يقينا أن وجود يهود بكتاب مقدس ومأثور تاريخي وسلسلة من النبوات قفت بعضها بعضا، يعني وجود منكر دائم لنبوته، وداخل المدينة، وفي عقر دولته الصغيرة، ومن ثم كانت تلك الخطوات المتسارعة لتطهير يثرب..**(حروب. ج2.ص121)**

ولابد لنا أولا أن نؤكد عن معنى قوله تعالى في بني إسرائيل:{قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} **الأعراف140**. فتفسيرها عند جماعة المفسرين لم يشذ في ذلك واحد هو قول نبي الله موسى لقومه؛ عندما طلبوا منه أن يجعل لهم صنما يعبدونه: أغير الله أطلب لكم معبودًا تعبدونه من دونه والله هو الذي خلقكم، **وفضَّلكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وإهلاك عدوكم وما خصَّكم به من الآيات؟** وهي أكثر تفسيرا في قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} **الأعراف16**. أي ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيهما، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم، ورزقناهم من الطيبات من الأقوات والثمار والأطعمة، **وفضَّلناهم على عالمي زمانهم**.

فليس معنى ذلك على رأي القمني أن الله تعالى فضل بني إسرائيل على كافة الخلق في كل مكان وزمان، بل الآية واضحة في توبيخهم وتأنيبهم بكل عطاء الله تعالى لهم ونعمته الظاهرة والباطنة عليهم وكيف أنه فضل وميز آبائهم وأجدادهم على كافة البشرية في زمنهم بالنعم والأنبياء والآيات ونصرهم على عدو الله وعدوهم؛ وبعد كل هذا يكفرون بالله ويشركون به ما لم ينزل به من سلطان، ولا يحفظون نعمته عليهم، ويحرفون كلام الله عن مواضعه ليشتروا به ثمنا قليلا، ويقتلون النبيين؛ ويوقعوا بين عباد الله تعالى؛ ولن أذهب بك بعيدا ولنرى لمحة من لمحات ضلالهم المتمثل في يهود المدينة؛ **يقول العقاد:** وقد كان يهود يثرب قدوة سيئة في كل علاقة بينهم وبين العرب وبينهم وبين أنفسهم في جوار المدينة. فقد كانت سياستهم مع قبائل العرب قائمة على الإيقاع بينها وإثارة الأحقاد في المتخاصمين كلمنا جنحوا إلى النسيان وتعاهدوا على الصلح والأمان. ولزم اليهود أنفسهم دواؤهم القديم من الشقاق والمشاكسة حيثما اجتمعوا في مكان واحد. فدبت الخصومة بين بني قينقاع من جانب وبين بني النضير وبني قريظة من الجانب الآخر. ولم يتفق بنو النضير وبنو قريظة على شيء غير حسدهم لبني قينقاع وعملهم على الوقيعة بين قبائل الأوس والخزرج وهي كثيرة في جوار المدينة.. فكان بنو قينقاع مع الخزرج وكان بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس.

ولم يتحرك أحد من القرظيين لنصرة النضيريين حين قضي عليهم بالجلاء لغدرهم بالنبي عليه السلام وصعود أحدهم -عمر بن جحاش- على جدار يجلس النبي تحته ليلقي عليه بصخرة من أعلاه. **ويقول الأستاذ العقاد:** ولقد عاش يهود يثرب ما عاشوا في جزيرة العرب ولم يؤثر عنهم قط سعي في سبيل مطلب من المطالب العامة والخاصة غير الاستكثار من الربح المشروع وغير المشروع بكل ما استطاعوا من حول وحيلة. فلما جهر النبي بدعوته خذلوه من مبدأ الأمر وأوفدوا وفودهم إلى كفار قريش، يعرضون عليهم المؤازرة والمحالفة واتخذوا خطتهم التي ثابروا عليها بعد ذلك ولم يعدلوا عنها إلى حين إجلائهم عن حدود الجزيرة، وخلاصة هذه الخطة تثبيت الوثنية الجاهلية وإيثارهم على دعوة التوحيد والتنزيه التي جاءت بها رسالة الإسلام وشملت بها تعظيم العقائد الكتابية وعقائد التوحيد جملة منذ عهد إبراهيم الخليل.

وقال: فلما هاجر المسلمون القرشيون إلى المدينة وأقاموا لهم سوقا بجوار سوق اليهود أرادوا أن يفسدوا كل ما صنعه الإسلام حتى الصلح بين الأوس والخزرج والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.. فإذا كان ليهود يثرب أثر في مقدمات الدعوة المحمدية فهو أثر أسوأ من أثر الجاهليين في المقاومة.

فانظر أيها القارئ بعيني عقلك قبل قلبك إلى الفارق الشاسع بين التحليلين؛ فالأول -أي القمني- ينطلق من أساس واضح في التفكير والتحليل هو كراهية الإسلام ومحاولة تدنيس أصوله؛ وليس لديه بضاعة إلا الغمز واللمز وصناعة الأساطير، والآخر-أي العقاد- ينطلق من أساس واضح في التفكير والتحليل هو محبة الإسلام ومحاولة تطهير أصوله من أدران صنعها أمثال هذا القمني قديما وحديثا.

4: العشرة المبشرون بالجنة

الذي نعلمه نحن عامة المسلمين أن العبد عندما يؤمن بالله ورسوله ويستقيم ويتقي الله؛ فإن مثل هذا ستجد أن الله تعالى يبشره بالجنة؛ تماما كما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة صحابة المشهورين في الحديث بالعشرة المبشرين بالجنة؛ وإن كان هناك الكثير من الصحابة قد بشرهم الرسول عليه السلام بالجنة في عين حياتهم منهم من نعرف إسمه ومنهم من لم يبلغنا اسمه كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة؛ قال: أتى أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا ولا أنقص منه. فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا.

فهذا رجل لا نعرفه ولم يبلغنا اسمه وقد بشره الرسول بالجنة؛ فهل كان إلا رجلا أعرابيا لا من أشراف قريش ولا غيرها؟! وغيره الكثير منه عن عطاء بن أبي رباح؛ قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت بلى. قال هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك. فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها. فهل كانت تلك المرأة السوداء من ملأ قريش أو غيره؟! ولكن على آية حال من المستحيل أن تجد الإسلام الذي جاء ليدحض العصبية والجاهلية يفرز الناس حسب عصبيتهم وعشيرتهم ورب الناس يقول في قرآنه: إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ولكن القمني كعادته يخبرنا في كتابه حروب دولة الرسول أن العشرة المبشرين بالجنة هم تمثيلا قبليا وسياديا لأهم بطون قريش؛ **فيقول:** أما إذا تتبعنا أنساب العشرة المبشرين بالجنة فسنجدهم تمثيلا قبليا وسياديا لأهم البطون القرشية، فهذا أبو بكر وطلحة يمثلان تيم، وهذا علي يمثل هاشما، وهذا عثمان يمثل أمية، وهذا عمر وسعيد بن زيد يمثلان عدي، وهذا عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص يمثلان زهرة، وهذا الزبير يمثل أسدا، وهذا أبو عبيدة يمثل فهر بن مالك، وهو التمثيل الذي أصبح يوازي في يثرب، حكومة الملأ القرشية في مكة..**(حروب. ج2.ص44)**

فسبحان الله يا قمني!!؟ إلس هؤلاء المؤمنون الأوائل من قريش وسادة المسلمين!! أتريد أن تقول أن الله قد انتقاهم للجنة لسيادتهم على قومهم، لا لتقواهم وإيمانهم؟! أم أن الرسول قد كذب وادعى تبشيرهم بالجنة ليستجلب تعاطف قبائلهم معهم إلى الإسلام؛ لا لأن الله تعالى هو من قرر دخولهم الجنة؟! كلا الفرضين أشر من أخيه..

وما الذي ستقوله عن بلال بن رباح؛ أكان من الملأ الأرستقراطي، أم ماذا؟! عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال عند صلاة الفجر: يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دق نعليك بين يدي الجنة. قال: ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا من ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

أعتقد أن القمني لم يذكر هؤلاء حتى يقع في ذهن القارئ له أن الرسول كان ينتقي من أشراف قريش أناسا ويبشرهم بالجنة ليستميلهم هم وأقوامهم إلى الإسلام؛ وأنه صلى الله عليه وسلم لم يبشرهم لا لصلاح أو لإيمان وتقوى بل هو انتقاهم بدهاء ليكسب مزيدا من الأرض للإسلام. ولو ذكر الأمة السوداء أو بلال الفقير أو غيرهم من فقراء العرب لأفسد في ذهن القارئ خطته المسمومه..

5: بيعة العقبة

أما ما أتى به القمني عن بيعة العقبة فهو منتهى التحريف؛ حتى أنه هو يثبت أمر ويعود ينكره مرة أخرى، ومن قبل في كتابه الحزب الهاشمي؛ لم يذكر لنا القمني أية ذكر عن لقاء العقبة الأولى؛ محاولا إيهام القارئ أن الذين التقي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل يثرب في العقبة الأولى كان عن تخطيط وتدبير وموعد؛ والحقيقة أن الرسول كان يفعل ما يفعله مع كافة قبائل العرب حيث كان يعرض نفسه عليهم، وفي موسم الحج كان يعرض نفسه ودينه على القبائل الحاجة إلى البيت العتيق؛ فأراد الله تعالى أن يطيب قلب النبي الذي ما لقي من قومه إلا كل مهانة وإنكار وعنصرية ورفض وكراهية وأذى؛ فأرسل إليه النفر الستة -أو السبعة- أصحاب العقبة الأولى من الخزرج ومن الأوس؛ **يقول ابن سيد الناس:** عن جابر بن عبد الله؛ قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف؛ ويقول: ألا رجل يعرض على قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي. **وعن محمد بن المنكدر أنه سمع ربيعة بن عباد أو عباد الدؤلي يقول:** رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: يأيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، قال: ووراءه رجل؛ يقول: يأيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل: أبو لهب. **وقال ابن إسحاق:** فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقى فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم:من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل علم

وكتاب وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء؛ قالوا لهم: إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام؛ وقالوا له: إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا.

والناظر في الرواية سيرى أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم من أنتم؟ وقالوا له نفر من الخزرج. لم يقل لهم أنتم أخوالي ولم يقولوا له عندما عرفهم على نفسه أنت ابن اختنا!! وهم كما قال ابن حزم في جوامع السيرة: والسبعة: معاذ بن الحارث بن النجار، وهو ابن عفراء، وذكوان بن عبد قيس بن زريق. وعبادة بن الصامت بن الخزرج بن حارثة. وابن عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة من بني غصينة، ثم من بلي، حليف لهم. والعباس بن عبادة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة. فهؤلاء خمسة من الخزرج. ومن الأوس بن حارثة رجلان، وهما: أبو الهيثم مالك بن تيهان من بني عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة بن الأوس بن حارثة. فبايع هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء، ولم يكونوا أمروا بالقتال بعد، فلما حان انصرافهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم؛ ومصعب بن عمير، يعلم من أسلم منهم القرآن والشرائع، ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام. فنزل بالمدينة على أبي أمامة أسعد بن زرارة؛ وكان مصعب بن عمير يؤمهم. فجمع بهم أول جمعة بالإسلام وهم أربعون رجلاً.. فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار؛ فأسلم في جملتهم: سعد بن معاذ، وأسيد بن الحضير، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد، الرجال والنساء.. ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة، وخرج في الموسم جماعة كثيرة ممن أسلم من الأنصار، يريدون لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جملة قوم كفار منهم بعد على دين قومهم، ومن دين قومهم الحج على ما كانت العرب عليه حالتئذ، فوافوا مكة.. فواعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما كانت تلك الليلة دعا كعب بن مالك ورجال من بني سلمة عبد الله ابن عمرو بن حرام، وكان سيدا فيهم، إلى الإسلام، ولم يكن أسلم بعد، فأسلم تلك الليلة وبايع، وكان ذلك سراً ممن حضر من كفار قومهم، فخرجوا في ثلث الليل الأول متسللين من رحالهم إلى العقبة.. وكان في جملتهم البراء بن معرور، فرأى أن يستقبل الكعبة في الصلاة، وكانت القبلة إلى بيت المقدس، فصلى كذلك طول طريقه، فلما قدم مكة ندم، فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنكر ذلك عليه، فراجع الحق رحمه الله تعالى.

وعن العقبة الثانية: فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم، وأن يرحل هو إليهم وأصحابه، وحضر العقبة تلك الليلة العباس بن عبد المطلب متوثقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والعباس على دين قومه بعد لم يسلم؛ وكان للبراء بن معرور في تلك الليلة المقام المحمود في الإخلاص لله تعالى والتوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولحقه أبو الهيثم بن تيهان، والعباس بن عبادة بن نضلة. وكان المبايعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثلاثة وسبعين وامرأتين. واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيباً.. تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس وقد انقرض جميعهم، آخر من بقى من بني السلم رجل مات أيام الرشيد، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد صح إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أن الناس يزيدون والأنصار لا يزيدون.

6: وعن الهجرة

من بديهيات المعرفة أن أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم: كانوا من الأوس والخزرج معا وأن إخوة الإسلام جمعت بينهم جميعا وأنهم استقبلوا المهاجرين من مكة ولم يفرقوا بين هاشمي وغير هاشمي ولا بين قرشي وغير قرشي وسجل القرآن الكريم إيثارهم في قوله تعالى: والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. **الحشر9. ولكن عند القمني –كالعادة- ستجد أن هناك مأثورا آخر؛ إذ يقول:** ولما كانت الأرض قد مهدت سلفا ببرمجة هاشم في تحالفه مع أهل الحرب والدم والحلقة في يثرب وزواجه من البيت الخزرجي، وما تبعه فيه عبد المطلب بن هاشم بزواج آخر يصادق على الحلف، فقد كانت الخئولة اليثربية، مدعاة للمراهنة على نواة أخرى للدولة المقبلة خارج مكة في يثرب، المدينة المنافسة الحقيقية لمكة..**(حروب. ج1.ص57)** ولا أعلم عن أي برمجة هاشمية في موضوع البيعة والهجرة فالقمني أول من علم هذا الأمر وهو أول من يعلمنا بهذا؛ مؤامرات واستراتيجيات وتكتيكات!! وكل هذا ما هدفه وما النتيجة التي يرتجي القمني أن يقيمها على تلك الأباطيل والأساطير غير تشويه صورة الإسلام وصورة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولكن أن تدلس وتغش في التاريخ لتؤكد على أسطورتك الشخصية فهذا ما فاق كل الحدود، ولقد رأيت قارئي الكريم من قبل سطور قليلة واقعة معبس ومضرس و حقيقة موقف قريش من تلك النزاعات اليثربية، وكيف أن القريشين ما مدوا لا يد ولا معونة إلى اليثاربة أو وقوفا مع فريق ضد فريق آخر؛ ولكن عند القمني أن هذا هو ما دفع اليثاربة إلى التحالف مع الرسول والمهاجرين لا لأنهم آمنوا بالله ورسوله

ورغبوا في فضل الثواب من عند الله تعالى، لا بل كان -حسب النظرية القمنية- هو ردا لصاع قريش بوقوفهم في صف اليثاربة الخزارجة يوم معبس ومضرس؛ هكذا دون دليل أو بينة؛ **يقول القمني:** ومن هنا كان التحالف بالمصاهرة بين الخزرج والهاشميين، ثم استقبال الخرزج لابن أختهم الهاشمي وصحبه، ردا لجرح تؤججه ذكر معبس ومضرس، واستشفاء نفسيا، واستجلابا لوضع أهملته قريش، وأسقطته من حسابات الإيلاف، واستشرافا لوعد نبوي، استقبله الوعي اليثربي النفاذ، بوحدة تلم الشمل، لتقف يثرب كمنافس له شأن أمام الملأ المكي، وربما كعاصمة لدولة كبري مع مداولة الأيام.. وإذا أضفنا إلى ذلك كله ما توفر ليثرب من ماء وغذاء إلى حد الاكتفاء الذاتي، أدركنا ما تملكه يثرب من ممكنات الصمود الحربي، **وهي كلها اعتبارات لا شك كانت معلومة لصاحب الدعوة..(حروب. ج1.ص60-61)**

أرأيت: استقبال الخزرج لابن أختهم الهاشمي وصحبه، ردا لجرح تؤججه ذكر معبس ومضرس واستشفاء نفسيا.. هكذا قال القمني؛ وأنا أسأله: هل من آوى الرسول وصحبه هم الخزرج فقط أم كافة قبائل المدينة وفروعها؟ بالطبع الإجابة هي أن أهل المدينة المسلمين هم من آووا الرسول وصحبه المهاجرين حبا في الله ورسوله وطاعة وإيمان وإيثارا ضرب به المثل في التضحية وحب الأخ لأخيه في الله، لا عن ثأر سابق؛ ولا عن حقد دفين؛ ولا حب في علو شأن ولا فرض سيطرة، وأكبر دليل على ذلك أن هؤلاء اليثاربة لم يخرجوا من كل أمر الدولة الإسلامية إلا بحب الرسول والمؤمنين وبقائه بينهم صلى الله عليه وسلم حيا وميتا، وإن كان الإسلام بالثواب الدنيوي فقد ضاع حظ اليثاربة في الإسلام؛ لأن رسول الله عليه السلام ما وعدهم إلا بالجنة.

7: الرسول في المدينة

لابد لنا أننا كلنا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قرر الهجرة بأصحابه إلى المدينة لم يهادن ولم يساوم على وضعه الرئاسي على كل من آمن وعلى كل أهل المدينة؛ فرغم أنه مطرود من قومه المكيين، وأنه وأصحابه في أمس الحاجة إلى من يؤويهم وينصرهم على من عاداهم، ورغم ضعفه وضعف من معه إلا إنه لم يساوم ولم يتنازل عن مكانته الرئاسية؛ فهاهو يهاجر إليهم وأصحابه القرشيين يطاردونه ليقتلونه ولا يرضى إلا أن يكون هو صاحب الرئاسة الدينية والمدنية باعتباره النبي المبلغ بالوحي رغم أن الأوس والخزرج أكبر قبائل المدينة قد أعدوا التاج الملكي لابن أبي سلول بالفعل.. وكالعادة عند القمني الخبر المضاد؛ **يقول القمني:** تمكن إذن النبي العربي صلى الله عليه وسلم من تسكين أوضاع يثرب الداخلية، خاصة بعد إعطائه مركز الزعامة لسعد بن معاذ زعيم الأوس والخزرج بعد أن تمكن من تحييد زعيم الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول مما ربط الأوس بالدعوة وصاحبها..**(حروب. ج1.ص73)**

وليس هذا فقط؛ بل أن المعلومة الثابتة عندنا أن الأنصار قد آثروا المهاجرين على أنفسهم فالرجل يريد قسمة بيته وماله وحتى زوجاته -بعد طلاقها- مع أخوه المهاجر، حتى أنهم كانوا بعد مؤاخاة رسول الله بينهم كانوا يرث بعضهم بعضا، وأن المدينة قد خرجت عن بكرة أبيها تستقبل النبي فرحة ومسرورة. كل هذا ظهر أنه كذب وافتراء وأن القمني هو من سينورنا بالعلم الصحيح؛ **يقول القمني:** ورغم أن كتب الأخبار الإسلامية والسير والتأريخ، وما تقدمه وسائل التربية الإعلامية والدينية، تجعل يثرب جميعا تستقبل سيدها الجديد المهاجر بالترحاب وتصدح بنشيد: طلع البدر علينا. بعد أن امتلأت منهم الجوانح بالإيمان، فمنحوا النبي والمهاجرين بيوتهم ونساءهم وعقولهم وأرزاقهم، فإن العين الحصيفة المدققة والقراءة المحايدة المتأنية، لا تجد ذلك الزعم أبدا..**(حروب. ج2.ص35)** وإذا ما سألت القمني وكيف لا نجد ذلك الزعم أبدا؟ لوجدته بعض سطور قليلة يستشهد بقلة عدد اليثربيين من الأنصار في غزوة بدر!!

فيقول القمني: ويدلل عليه ما حدث في وقعة بدر، حيث لم يتمكن النبي من جمع أكثر من ثلثمائة رجل معه في الوقعة..**(حروب. ج2.ص38)**

فلو كان الرجل يبطن من العلم ما يزعمه لنفسه لعلم أن: عدد سكان المدينة بقراها السبع ثلاثة آلاف نسمة نصفهم من اليهود.. والنصف الباقي من الوثنيين ثم أصبحوا مسلمين بعد ذلك.. فلو قلنا أن عدد سكان المدينة دون اليهود نحو ألف وخمسمائة؛ فلابد وأن يكون عدد الرجال المحاربين في حدود الثلث أو أقل أي من الثلاثمائة إلى الخمسمائة؛ فإن كان عدد من دخل منهم إلى الإسلام في بداية الدعوة في المدينة ثلاثمائة إلى أربعمائة فقد كان عدد المسلمين ببدر ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ من المهاجرين ستة وسبعين ومن

الأنصار مائتان سبعة وثلاثين!! فكيف استدل القمني ولماذا على أن عدد اليثاربة في غزوة بدر لا يدل على حسن استقبال الإسلام ونبيه ومهاجريه في بداية الدعوة الإسلامية في المدينة؟!!

والسؤال كيف كان استقبال الرسول في المدينة؛ قال ابن سيد الناس في عيون الأثر: وكان أهل المدينة يتوكفون (يتوقعون وينتظرون) قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغهم توجهه إليهم فكانوا يخرجون كل يوم لذلك أول النهار ثم يرجعون.. **قال عبد الله بن سلام:** لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ قيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فانجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فأول ما سمعته يقول: أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام. وأشرقت المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وسرى السرور إلى القلوب بحلوله بها. . **عن أنس بن مالك؛ قال:** لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء.. **وروى ابن أبي خيثمة عن أنس:** شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ. **وروى البخاري من حديث البراء بن عازب قال:** فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. الحديث.. ووهبت الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل فضل كان في خططها (أراضيها)، وقالوا: يا نبي الله إن شئت فخذ منازلنا. فقال لهم: خيرا.. **وعن المؤاخاة؛** يقول ابن سيد الناس: وكانت المؤاخاة مرتين الأولى بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة.. فلما نزل عليه السلام المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق في دار أنس بن مالك فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات حتى نزلت وقت وقعة بدر: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} فنسخت ذلك.. **وعن أنس؛ قال:** قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا من كثير كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم..

عن أنس: أن عبد الرحمن بن عوف هاجر إلى المدينة فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع؛ فقال له سعد: يا عبد الرحمن إني من أكثر الأنصار مالا وأنا مقاسمك وعندي امرأتان فأنا مطلق أحداهما فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق.

8: غزوة بدر

أما عن غزوة بدر وما كان فيها من مآثر عظام؛ وفتح مبين للأمة الإسلامية وللإسلام؛ فالقمني كعادته يعكر الحقيقة الصافية بشبهات ما أنزل الله بها من سلطان؛ فتارة ستجد أن النبي لما خرج لاعتراض قافلة أبي سفيان؛ كان لسببين: **الأول:** أن البيت الأموي؛ الحزب المعادي للحزب الهاشمي قد ساهم فيها بأربعة أخماس القافلة! حيث طير الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب بخبر قافلة لقريش في طريقها إلى الشام بقيادة أبي سفيان.. ساهم فيها البيت الأموي الثري المعادي لبيت النبي الهاشمي بأربعة أخماس القافلة. **(حروب. ج1.ص80-81) والسبب الثاني:** أن النبي أراد أن يضرب الملأ الأرستقراطي المكي! بقيادة النبي عليه الصلاة والسلام خرج المسلمون لضرب الأرستقراطية المكية اقتصاديا..**(حروب. ج1.ص105)**

وبعد هذا فإنه يذكر أن النبي قد كذب؛ وأنه لا يرى أي مانع في هذا الكذب؛ **يقول القمني:** ثم ركب -النبي- ومعه أبو بكر ليتسقط بنفسه أخبار عدوه حتى إذا وقف على شيخ من العرب سأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، ما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، المكان الذي به رجال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماء.

وينزعج الحلبي راوي السيرة من رد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدرك الحذر المفترض في قائد عسكري مقبل على معركة، ولا يرى في ذلك القائد سوي الجانب النبوي المتعالي، وأن للنبوة صفات تتناقض مع رد الرسول على الأعرابي، فيقول في تساؤل استنكاري، أو في استنكار متسائل: وقد تقدم في أوائل الهجرة أنه لا ينبغي لنبي أن يكذب ولو صورة ومنه التورية. ومن ثم يبحث الحلبي عما يطمئن قلبه، فيكشف أنه لا بأس من كذب النبي ليس لضرورات يقتضيها الظرف الموضوعي، ولكن لأنه وجد في كلام القاضي البيضاوي حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي إبراهيم ثلاث كذبات كلها في الله، قوله: إني سقيم. وقوله: فعله كبيرهم هذا، وقوله للرجل الذي عرض لسارة: إنها أختي. وهنا يطمئن الحلبي ويكتفي بذلك تبريرا لنفسه وتطمينا لها. إزاء رد قول النبي للشيخ الأعرابي، ولم ير إطلاقا في ذلك الرد، غرضا عسكريا وحذر مباحا، يصرف البدوي عن معرفة قائد المسلمين، ويشككه في معلوماته عن موقع الجيش الإسلامي ويصرفه عن تقصي أمرهم احتياطا لسرية وأمان مسيره. **(حروب. ج1.ص110)**

ولا يدور في ذهن القمني أن النبي لم يكذب ولا حتى تورية؛ فالرجل سأله ممن أنتما؟ فأجابه الرسول: من ماء. والله تعالى يقول عن آدم:{ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ} **الطارق8.** وقال عن الإنسان أنه:

{خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ} **الطارق6.** فأي إنسان بعد آدم فهو من ماء المني.. ومثله في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم للمرأة العجوز التي سألته هل تدخل الجنة؟ فقال لها: لا تدخل الجنة عجوز.. قاصدا بذلك أن أهل الجنة كلهم سيردهم الله شبابا ولا يكون في الجنة عجوز. **قال من قال من العلماء:** إن ما رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو من هذا، كما فى حديث أم كلثوم بنت عقبة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ليس الكاذب بالذى يصلح بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا. ولم يرخص فيما يقول الناس: إنه كذب، إلا فى ثلاث: فى الإصلاح بين الناس، وفى الحرب؛ وفى الرجل يحدث امرأته، قال: فهذا كله من المعاريض خاصة. ولهذا نفى عنه النبى صلى الله عليه وسلم اسم الكذب باعتبار القصد والغاية، كما ثبت عنه أنه قال: الحرب خدعة، وأنه كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها. ومن هذا الباب قول الصديق فى سفر الهجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم: هذا الرجل يهدينى السبيل. وقول النبى صلى الله عليه وسلم للكافر السائل له في غزوة بدر: نحن من ماء، وقوله للرجل الذى حلف على المسلم الذى أراد الكفار أسره: إنه أخى، وعنى أخوة الدين، وفهموا منه أخوة النسب، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إن كنت لأبرهم وأصدقهم، المسلم أخو المسلم.

أما عن أعداد المسلمين والكفاريوم بدر؛ يقول القمني: أما السماء فكانت أمرا أكثر منها خبرا حيث كان الوحي يتحول بالأمر من الصبر الجميل، والدفاع الهادئ إلى الهجوم والقتال بعد أن أتي الله بأمره: (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) **الأنفال 65.** عن عبد الله بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفان فخفف الله عليهم، فنسخها بالآية الأخرى: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين) **الأنفال 66.** ولو أخذنا الأمر بظاهره لكان المعنى أن الله جل وعلا لم يكن يعلم بضعف المسلمين، ثم علمه متأخرا (الآن.. علم أن فيكم ضعفا) وحاشا لله أن يقصر علمه عما يليق بكماله ومن ثم لا يكون هناك معنى لنسخ الآية الأولى بالثانية، سوى تفاعل الوحي الكريم مع ظرف الواقع، حيث تتناسب الآية الأولى مع خبر أول بعدد أفراد قريش، وهو ما كان يعادل عشرة إلى واحد بالنسبة إلى عدد المسلمين، بينما تتناسب الآية الثانية مع الخبر التالي الذي جاء يحمل نسبة أخرى هي اثنين إلى واحد، وهو ما يطابق العدد المقبول لقريش بالنسبة لعدد المسلمين بعد انحزال بنو زهرة عنها بثلث الناس، وكذب سراقة بن مالك أو إبليس بشأن مجيء كنانة مع قريش فكان النسخ وجاء صدق الوحي مطابقا للواقع وإعلاما للمسلمين المحاربين بعدد عدوهم النهائي..**(حروب. ج1.ص116)**

والناظر في الآيات لا يجد لا نسخ ولا غيره؛ كل ما في الأمر أن الله تعالى يخبر النبي والمؤمنين عن سنة كونية مفادها أنه في الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تكون الغلبة لمن زاد عددا وعدة؛ بل تكون لمن كان الإيمان محركا له ودافع؛ فكان في الأمم السابقة كان الرجل المؤمن بعشرة من الكافرين؛ ولكن مع تقدم الأمم والزمن قلت الهمة وضعف الإيمان؛ أو كما كان يقول رسول الله عليه السلام لصحابته عندما أرادوا أن يدعو الله على قريش لما أصابهم من البلاء والإيذاء: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين؛ ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمة من لحم وعصب؛ ما يصرفه ذلك عن دينه.. فكان قوله تعالى بمعنى قول القائل: أن هذه المهمة فيما سبق كان يقوم بها مائة رجل صابر محتسب؛ ولكن الآن لضعف فيكم خففت عنكم فجعلت المهمة يقوم بها مائتين صابرين محتسبين. ولو كانت حسابات القمني التكتيكية صحيحة وكانت الآيات معادلة حسابية بين الفريقين؛ فكانت في أول ما نزلت بقوله: عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا. حيث تتناسب الآية الأولى مع خبر أول بعدد أفراد قريش، وهو ما كان يعادل عشرة إلى واحد بالنسبة إلى عدد المسلمين.. **هكذا قال القمني وله أقول:** بعملية حسابية بسيطة لو كان عدد المسلمين ثلاثمائة فعلى تكتيكات القمني لابد وأن يكون عدد كفار مكة يزيدون ثلاثة آلاف (نسبة 10/1) وهذا ما لا يقر به القمني ولا قال به غيره!!! فقد كان عدد الكفار من تسعمائة إلى ألف. وكان عدد المسلمين ببدر ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ من المهاجرين ستة وسبعين ومن الأنصار مائتان سبعة وثلاثين!! وعليه فقد بان زيف القمني وتأويله الحقائق..

القمني وعتبة بن ربيعة:

بعد أن صور القمني عتبة بن ربيعة في صورة رجل السلام والحكمة؛ والذي أسماه بالشيخ الجليل وزعم أن ذلك حسب تعبير كتب السير الإسلامية؛ قال: وأخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك في شأن أبيك شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام..**(حروب. ج1.ص144)** ونسى القمني أن يكمل ما قاله أبو حذيفة؛ حيث قال: فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك، فدعا له الرسول -صلى الله عليه وسلم- بخير وقال له خيرًا.

أما عتبة فكان من أكثر الناس الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة. ولكن كل ما سبق لن يبلغ معشار العجب الذي يأتي به القمني على سطوره؛ كقوله أن كفار قريش -اللطفاء الأرقاء- كانوا يخشون إراقة دم أحد من أبناء عمومتهم من المهاجرين؛ بالطبع على عكس المسلمين؛ لا بل ويسوق إلينا

الأدلة على فظاظة وفظاعة المسلمين؛ **يقول القمني:** تحت غبار بدر الكبرى؛ فبينما كانت قريش تخشى إراقة دم أحد من أبناء العم أو الخال من المهاجرين، كان المسلمون يحاربون غير هيابين ولا مبالين في هذا السبيل بأحد من الأقارب.. **ويحكي ابن هشام في سيرته:** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسرى من بدر، فرقهم بين أصحابه.. وكان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير في الأسرى؛ فقال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير، ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شد يدك به، فإن أمه ذات متاع ولعلها تفتديه منك.. فقال أبو عزيز لأخوه مصعب: يا أخي هذه وصايتك بي؟! فقال مصعب: إنه أخي دونك. أما المدى الذي بلغه أمر تلك الأممية والأخوة الدينية فيظهر واضحا في رد أبي حذيفة بن عتبة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوصي قبل معركة بدر مباشرة: من لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله.. ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله. فكان رد أبي حذيفة الذي لا يستثني من الأممية أحدا: أنقتل آباءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لألحمنه السيف.**(حروب. ج1.ص71-72)**

أتعلم أيها القارئ أن القمني كان يقول: ورغم إعلان العباس إسلامه، فقد ظل إصرار النبي على دفعه الفداء..**(حروب. ج1.ص150)** وأكد القمني أن العباس كان عين للنبي على قريش؛ **فقال:** فقد بلغت أخبار مسير قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة عاجلة من عمه العباس، الذي كان عينا له مع بعض بني هاشم على قريش..**(حروب.ج1. ص250)**

فإن صح ما قال القمني عن العباس؛ فلماذا لم يحمل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم على الإبقاء على العباس على أنه كان من باب أن هذا رجل يخفي إسلامه؛ بل ويعين الرسول على كفار مكة؛ ويخشى الرسول أن يقتله المسلمون خطأ؟! ولماذا حمل منع الرسول من قتل العباس على أنها أممية وتحزب إلى الحزب الهاشمي الذي منه الرسول؟!!

الإجابة: لأن القمني يريد أن يرسخ أسطورته المعروفة بالحزب الهاشمي في العقول! كما إن أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة نفسه قد عاد إلى رشده وتاب من قولته العصبية الجاهلية.. ولكن أن يجعل القمني من قريش أهل رحمة ولطافة وود وأنهم كانوا حريصين على عدم قتل المهاجرين؛ فهذا قول يثير الضحك والغثيان في نفس ذات الوقت؛ إذا فمن الذي عذب هؤلاء المهاجرين واغتصب أموالهم وممتلكاتهم وآذوهم وأخرجوهم من بلادهم وأرضهم؟! وكل هذا من أجل أنهم فقط؛ قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله. إلىس هم نفس القرشيين اللطفاء الذي يزعم القمني؟!!

9: غزوة بني قينقاع

عن غزوة بني قينقاع؛ يقول القمني: ويتقدم رواة السير المسلمون بتقديم التبرير الذي رأوه مناسبا لنقض الصحيفة (صحيفة المدينة)، والسير إلى قينقاع وأسرهم، بحكاية عن امرأة عربية، ذهبت تتبضع في سوق قينقاع، فتلاعب بها شباب اليهود، بأن ربطوا ثوبها بظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فشد اليهود على المسلم فقتلوه. ومثل تلك القصة التبريرية واضحة الضعف والوهن، فالمرأة العربية التي سببت تلك الوقعة الهامة في تاريخ الدولة الإسلامية، لا ذكر لاسمها، ولا لقبيلتها، ولا ما إذا كانت مسلمة أم لا؟ ولا نعرف اسم الصائغ اليهودي، ولا من هؤلاء الذين تلاعبوا بها، بل والأخطر لا نعلم اسم ذلك المسلم الذي استشهد وهو يدافع عن المرأة، ولا إلى أي قبيلة ينتمي، ولم تزعم قبيلة أنه قد حدث مثل ذلك لأحد من رجالها.. والقصة بكاملها في رأينا مختلقة صيغت على مثال نموذج قديم حدث زمن حرب الفجار الأولى وكان سببا لها.. التبرير الحقيقي لما حدث هو ما جاء مرويا عن الزهري عن عروة: نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية: وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أخاف من بني قينقاع فسار إليهم ولواؤه بيد حمزة.**(حروب. ج1.ص241)**

أرأيت أيها القارئ القمني وهو يحرف حتى في كتاب الله!! الرجل يسوق الآية ولا يرى فيها أن الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يحب الخائنين. والخائن هو من يخون العهد؛ والله تعالى يقول إنه لا يحب الخائنين في عهودهم الناقضين للعهد والميثاق. ثم يقول أن الرسول يخون العهد لمجرد رواية مختلقة مرتبة؟!!! كيف يجتمع مثل هذا التفكير المتناقض في رأس رجل واحد؟! القمني يرى أن الله يحذر رسوله والمؤمنين من خيانة العهد ولطالما قال لهم آمرا: {وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا} **الإسراء34**. ثم يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من فوره إلى محاربة بني قينقاع اليهود ناكثا عن عهده معهم لمجرد قصة مرتبة ومختلقة! فمن اختلقها؟! لم يجيبنا القمني! وبالتأكيد -عنده- ليس أحد من بني يهود؛ الرجل-القمني- يمثل دور محامي بني إسرائيل؟!

أما عن حقيقة ما حدث؛ فهو كما روي ابن سيد الناس في عيون الأثر: قال ابن إسحاق: وكان من بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع؛ ثم قال: يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك ولا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة أما والله لو حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس. عن ابن عباس؛ قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا} -أي أصحاب

بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش- {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنهم كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم رسول الله عليه السلام حتى نزلوا على حكمه.

ثم بعد ذلك ستجد أهل السيرة يذكرون المرأة العربية التي هتك عرضها بني يهود؛ والمسلم الذي ثار لها فقتلوه وبقية القصة المشهورة -والتي لا نعلم تفاصيلها كما تسائل القمني- بعد أن يذكروا حصار الرسول لهم؛ مما يفيد أن تلك القصة ليست هي المحرك لحصار الرسول لهم؛ وأنها قصة هامشية، وكان الأمر حتما سيقع نتيجة لخيانة وحقد ودسائس بني يهود من قينقاع، فكانوا هم أول من نقض العهد وصحيفة المدينة ذلك الدستور الذي كان الجميع يعيش تحت عدالته وشروطه والتي أقر بها جميع من فيها بكل ما فيها..

10: غزوة أحد

بالطبع كلنا يعلم عن غزوة أحد؛ وما جرى فيها من تفوق المسلمين على المشركين في أول الحرب، ثم لما تجاهل غالبية الرماة أمر رسول الله لهم بأن يلزموا أماكنهم مهما جري في المعركة، وكيف أنهم لما تخلفوا عن أماكنهم الإستراتيجية تمكن المشركون من التغلب على المسلمين؛ وكروا عليهم كرة شديدة تفرق لها جمع المسلمين وزلزلوا زلازلا شديدا؛ حتى أن منهم بالفعل من فر إلى حدود المدينة، وبعضهم من ضعاف الإيمان وغيرهم من المنافقين فكروا في أن يلجأوا إلى أبي سفيان ليأخذ لهم الأمان،، نعم حدث هذا وأكثر لكن في المقابل كان هناك نفر قليل من الصحابة -مهاجرين وأنصار- ثبتوا حول رسول الله صامدين يزودون عنه أيادي الكفر المسعورة الحريصة على قتله والفتك به؛ ليضربوا الإسلام في حداثته ضربة قاضية ينتهي بها أمره مرة وإلى الأبد.. **قال ابن جرير في تاريخه يصف حالة المسلمين وتفرقهم حين كرّ الكفار عليهم**: وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس: إلى عباد الله، إلى عباد الله. فاجتمع إليه ثلاثون رجلا، فجعلوا يسيرون بين يديه.. **ولكن القمني كعادته يظهر لنا حال المسلمين في تلك الغزوة بصورة أخرى**؛ فيظهر لنا الرسول وهو محتمي في أصحابه؛ وكأنه جبان، ويظهر لنا المهاجرين وهم يسلمون رسول الله إلى عدوه؛ وكأنهم جبناء، **يقول القمني:** وفي غزوة أحد يصف وتصف كتب السيرة أبا طلحة بأنه كان رجلا راميا شديد الرمي، فنثر نبله، وأخذ يرمي والرسول يجلس خلفه محتميا به، بينما كان النبي يرسل قوله الآسف على هرب أصحابه المهاجرين عنه: ما أنصفنا أصحابنا..**(حروب. ج1.ص27)**

وأما عن حقيقة ما تظهره كتب السيرة فهو تكرر ذكر الصحابة المهاجرين وهم حول رسول الله في كل وقت يزودون عنه بكل ما أوتوا من قوة؛ **قال أبو داود الطيالسي في مسنده:** عن أم المؤمنين عائشة؛ قالت: كان أبو بكر إذ ذكر يوم أحد؛ قال: ذاك يوم كله لطلحة.. ثم أنشأ يحدث؛ قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلًا يقاتل في سبيل الله دونه، وأراه قال: حمية، قال: فقلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلًا من قومي أحب إليّ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشى خطفًا لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح.. **قال ابن هشام:** وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد.. **وحكى عنها قولها:** فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان. **قال ابن إسحاق:** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا. فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.. وإذا نظرت إلى قول القمني بأن الرسول كان طالب ملك ورياسة -بالحزب الهاشمي- ونظرت إلى قول

المنافقين واليهود بعد هزيمة الرسول وجيشه من المؤمنين في معركة غير متكافئة عددا -سبعمائة مسلم وثلاثة آلاف كافر- لما وجدت فرقا كبيرا؛ لن تجد أي فرق؛ **قال موسى بن عقبة:** وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحزين المسلمين، وظهر غش اليهود، وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل. وقالت اليهود: لو كان نبيًا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب، ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه. وقال المنافقون مثل قولهم، وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم.. وقد أرجع القمني سبب هزيمة المسلمين يوم أحد مدعيًا على الله ورسوله وصحابته الكرام مدعيًا بالزور والتدليس أن المسلمين هزموا في موقعة أحد عندما ركنوا إلى السماء منتظرين الملائكة وهو قد يعلم قبل الكل أن المسلمين عندما يتوكلوا على الله حق توكله؛ وعندما يتقون الله حق تقاته ويأخذون بالأسباب كما علمهم ربهم وكما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وطالما أخلصوا النية لله ربهم وخالقهم فإن النصر حليفهم لاشك؛ وكذلك هو قد يعلم كما يعلم الجميع أن المسلمين قد هزموا في موقعة أحد عندما نسي بعض المسلمين بعض أمر الله وكل أمر رسوله عندما وعدهم الله بنصر الدنيا وخير الآخرة وأمرهم رسوله أن يلزموا أماكنهم لا يفارقونها أبدا وإن رأوا بقية المسلمين ينهزمون؛ فلما مالت كفة المسلمين وفر الكفار منهزمين أخطأ الرماة وتركوا موقعهم الاستراتيجي الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزومه ونزلوا فرحين من موقعهم إلى الغنائم التي تركها الكفار وتركوا ظهور المسلمين مكشوفة فباغتهم الكافرين على حين غرة وتفرق جمع المسلمين إلا نفر قليل حول رسول الله؛ **يقول القمني:** بل كانت تلك الدروس العملية تحمل قدرا شديدا من القوة والردع لنزعة الثبات والتواكل لتأكيد منطقها الإنساني والموضوعي والعقلاني. فجاءت غزوة بدر الكبري لتعطي درسا أمثل للمؤمنين فعندما راعوا الظروف الموضوعية للمعركة ودرسوا مواطنها واختاروا مواقعهم وأرسلوا الجواسيس والعيون لأخذ الأخبار عن عدوهم دون انتظار الملاك جبريل، وتهيأوا عسكريا وتدربوا تدريبا كافيا انتهى الأمر بنصرهم نصرا عزيزا وعندما ركنوا إلى التدخل السماوي بالملائكة في غزوة أحد وأهملوا شروط الواقع الموضوعية أصيبوا بهزيمة شديدة المرارة كادت تفصل في مصير الدعوة الإسلامية سلبا. وهكذا صخب الدرس النظري التطبيقي العملي في درس واضح البلاغ والبيان والإفصاح المبلغ المبين.**(السؤال الآخر. ص71)**

وللقمني أقول: أن المسلمين في غزوة حنين قد راعوا الظروف الموضوعية للمعركة ودرسوا مواطنها واختاروا مواقعهم وهزموا؛ فلماذا؟ لأنهم لم يتوكلوا على الله حق توكله وغرتهم أنفسهم وعددهم وعدتهم؛ ألم تسمع يا قمني إلى قوله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} **التوبة25.** ثم حدث يا قمني تماما

مثل ما حدث يوم أحد وتفرق المسلمون عن رسول الله وفروا مدبرين اللهم إلا قلة من صحابته صلى الله عليه وسلم؛ لقد أنزل الله نَصْرَه على المسلمين في مواقع كثيرة عندما أخذوا بالأسباب وتوكلوا على الله. ولكن في يوم حنين؛ قال بعض المسلمين: لن نُغْلَبَ اليوم من قلة؛ فغرَّتهم الكثرة فلم تنفعهم؛ وظهر عليهم العدو فلم يجدوا ملجأً في الأرض الواسعة ففرروا منهزمين.

فلماذا تريد أن يفصل المسلم الموحد المؤمن بين قلبه وعقله؛ بين دنياه وآخرته، تريده أن يفصل بين الأرض التي فيها محياه ورزقه ومماته وبين السماء التي فيها ربه الذي خلقه فأحياه ورزقه وأماته ثم سيحيه ليحاسبه عن فعله في دنياه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره؟!!

وأزيدك يا قمني: فاعلم أن المسلمين ينتظرون جبريل أن يأتي بالوحي من عند الله على رسول الله ليبين لهم ما خفي عنهم ولينير لهم الظلام وأن يكشف عنهم السراب والأوهام؛ ولاجرم أن يفعلوا طالما رسول الله بين أيديهم، فجبريل ليس صاحب العصا السحرية بل عليه السلام هو رسول الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغه بأمر ربه وكلامه؛ وما على الرسول إلا البلاغ؛ ولم يمنع هذا المسلمين من الأخذ بالأسباب والتوكل على الله والإخلاص له؛ فلما علينا أن نطيع عقولنا ونعصي قلوبنا؟! لما علينا أن نطيع أنفسنا وأن نعصي ربنا؟!

القمني وقزمان:

قزمان هذا هو إنسان أعلن إسلامه وإنضم لصفوف المسلمين يوم أحد؛ وقد عجب الناس من شجاعته وإقدامه في هذه الحرب؛ ولكنهم صدموا عندما نبأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه منافق؛ وأنه سيموت كافرا؛ حتى إن بعضهم ما كان ليصدق هذه النبوءة؛ **يقول ابن حزم في جوامع السيرة:** وكان في بني ظفر رجل أتى لا يدرى ممن هو، يقال له قزمان، فأبلى يوم أحد بلا شديداً، وقتل سبعة من وجوه المشركين، وأثبت جرحاً، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره، فقال: هو من أهل النار. فقيل لقزمان: أبشر بالجنة. فقال: بماذا أبشر والله ما قتلت إلا عن أحساب قومي. ثم لما اشتد عليه الألم أخرج سهماً من كنانته، فقطع به بعض عروقه، فجرى دمه حتى مات.

يقول القمني: ومع ذلك تصر كتبنا التراثية على وصم قزمان بأنه كان منافقا وأنه من أهل النار، وأن الله قد ينصر دينه على الكافر بالفاجر؟!! .. ورغم نسبة قتلاه العشرة من المشركين إلى الله جل وعلا، فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلا، ضمنهم عشرة قتلهم قزمان وحده دون أن يفر إلى شعب، ولا أن يلجأ إلى صخرة، ولا أن يهرب إلى المدينة، ولا أن يوغل ثلاثين ميلا هربا بعيدا عن الميدان.. أما السر وراء كل هذا التجهيل والتبخيس لرجل هذا بلاؤه، فيرجع إلى حديث ترويه كتب السيرة عن قزمان وهو جريح في دار بني ظفر: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم

يا قزمان فأبشر، قال: بماذا أبشر؟ فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قتلت، فلما اشتدت عليه جراحه أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه..**(حروب. ج1.ص 292)**

ولا أعرف ماذا يريد القمني من قصة قزمان هذا!؟ فقزمان قد قتل نفسه؛ وقزمان ما كان يقاتل في سبيل الله بل كان يقاتل عن أحساب قومه وانتقاما لهم؛ وقزمان قد نبأنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار؛ وبعد هذا كله يأتي القمني ليعيّر من فر من الصحابة وارتقى الجبل بأن قزمان هذا خيرا منهم لأنه صمد ولأنه قاتل وقتل حوالي نصف قتلي كفار غزوة أحد؛ ونسى القمني أن أمر كله يدور حول الإيمان؛ فلا يفيد الإنسان كل عمل الخير لو كان غير مؤمن؛ وهذا ما فعله قزمان عمل خير ولكنه غير مؤمن فلا جرم أنه من أهل النار.

ولسوف تجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بشر أناس بالجنة ماتوا على الإيمان ولو لم يسجدوا حتى سجدة واحدة؛ **قال أبو عمر القرطبي في كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير:** وكان عمرو بْن ثابت بْن وقش من بني عَبْد الأشهل يعرف بالأصيرم يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد قذف الله الإسلام في قلبه للذي أراد من السعادة به فأسلم، وأخذ سيفه، ولحق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وقاتل حتى أثبت بالجراح، ولم يعلم أحد بأمره، ولما انجلت الحرب طاف بنو عَبْد الأشهل في القتلى يلتمسون قتلاهم، فوجدوا الأصيرم وبه رمق لطيف، فقالوا: والله إن هذا الأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر، ثم سألوه: يا عمرو ما الذي جاء بك إلى هذا المشهد، أحدب على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، ثم قاتلت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ حتى أصابني ما ترون، فمات من وقته، فذكروه لرسول الله، فقال: هو من أهل الجنة. ولم يصل صلاة قط، وكان في بني ظفر رجل لا يدرى ممن هو، يقال له: قزمان، أبلى يوم أحد بلاء شديدا، وَقَتَلَ يومئذ سبعةً من وجوه المشركين، وأثبت جراحا، فَأُخْبِرَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بأمره، فقال: هو من أهل النار. وقيل لقزمان: أبشر بالجنة، فقال: بماذا وما قاتلت إلا عن أحساب قومي؟ ثم لما اشتد عليه ألم الجراح، أخرج سهما من كنانته فقطع به بعض عروقه، فجرى دمه حتى مات. وصدق رسول الله لما قال: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة. **وأما حديث:** إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر.. فهو حديث صحيح مذكور في الصحيحين..

مسلسل الاغتيالات:

بعد أُحد يقول القمني بعد أن ذكر مقتل بعض من نافق وألب الناس على عداوة المسلمين ونبيهم كالفزارية فاطمة بنت ربيعة المعروفة بأم قرفة، والهذيلي خالد بن أبي سفيان بن نبيح، واليهودي ابن أبي الحقيق، والحارث بن سويد بن الصامت، وأبي عفك وعصماء بنت مروان؛ **قال:** وهكذا جاء مسلل الاغتيال والعنف والتصفية الجسدية لإعادة تثبيت هيبة الدولة التي ترنحت في أحد، ولإعلان الإصرار الذي لا يتزحزح على استدامة الدولة وسيادتها والحفاظ على مستقبلها، ولو مع التضحية بأرواح كثيرة.**(حروب. ج1.ص333)**

لم يرى القمني في الأسماء المذكورة أنهم أعداء الله ورسوله والمسلمين؛ وأنهم خطرا على الإسلام ودولته الناشئة؛ وأنه كان لابد وأن يتخلص منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي شكل وبأي طريقة؛ فالإسلام ودولته في حالة حرب؛ وفي حالات الحرب قد تباح أشياء لا تحدث في الأوقات العادية؛ ومن هؤلاء من حاول بالفعل إغتيال رسول الله عدة مرات وقد أخزاهم الله وحفظ نبيه، ولسوف تجد بالفعل أن محاولات القتل الفردية المشابهة للحالات التي ساقها القمني لم تتكرر بعد أن ثبت الأمر للدولة الإسلامية الناشئة. والقمني يعبر عن الأمر بجراءة وتجني على الله ورسوله **فتجده يقول:** اتجه السيف الإسلامي إلى اجتثاث الرؤوس التي أخذت ترتفع وتتطاول على السلطان المحمدي في يثرب أو خارجها.. ليكون هذا المسلسل من العنف والاغتيالات والتصفية الجسدية، إعلانا عن أن السيف المحمدي وإن كسرت منه الذؤابة في أحد، فإنه مازال قويا مقتدرا بل وعنيفا..**(حروب. ج2.ص56)**

أرأيتم المصطلحات: السيف الإسلامي.. السلطان المحمدي.. السيف المحمدي.. يرىد أن يؤكد أن محمد طالب ملك وسلطان وأنه بسبيل هذا السلطان والملك يجتث الرؤوس المعارضة!!! وهكذا يستمر القمني في مسلسل تدنيس التاريخ الإسلامي والنبوي؛ لصالح من؟ أعتقد أن القمني أعلم..

11: غزوة الخندق ومعجزات النبي

بالطبع نعلم عن القمني أنه رجل علماني مادي؛ رغم أنني لا أفهم كيف يجتمع مع صفة المسلم صفة المادي!!؟ فالمادي حسبما أفهم هو الإنسان الذي لا يسلم إلا بما يقع تحت حواسه الخمسة المعروفة؛ فلا يؤمن بالروح ولا الغيبيات ولا المعجزات التي يؤمن بها المؤمن؛ طالما صح سندها عنده من قرآن أو سنة؛ فكيف يجتمعان؟؟! فكنت كمن قرأ على شاهد قبر: هنا دفن المسلم المادي سيد القمني، فقال متعجبا: كيف يدفنون شخصين تحت شاهد واحد؟!!

لذا فالمسلم يسلم بكل ما جاءه عن الله تعالى وصح عن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فكل هذا يصدقه.. وأما ما لم يثبت لديه بقرآن أو حديث صحيح فهو يتوقف فيه؛ وقد ينكره تماما إذا ما خالف ما ثبت لديه من قرآن أو حديث صحيح.. هذا هو منهجنا ومن الدليل النقلي والعقلي نكون فكرنا ورأينا؛ ولهذا ستجد أنه أمر عجيب أن ينكر مسلم معجزة يجريها الله تعالى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم وعاينها وشهدها من الخلق الكثيف الذي لا يشك في عقلهم ولا إيمانهم ونقلها لنا جيل من بعد جيل العدول الأثبات؛ كنبع الماء من بين يديه صلى الله عليه وسلم؛ وارتواء العشرات منه؛ هذه معجزة وقد عاينها المئات عيانا بيانا؛ فلما وصلتنا آمنا بتلك المعجزة؛ وهكذا في كل أمر يعرف بالمعجزة والخارق للطبيعة، أما مالم يثبت لدينا بقرآن أو نص صحيح فنحن ننكره بلا تردد؛ ولكن القمني -المسلم المادي- يقرأ السيرة النبوية وكلما توقف عند نص معجزة أو آية من آيات الله يألمه العرق المادي ويعالجها بسخريته وخفة دمه المعهودة، مثلا؛ يسخر القمني كعادته من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وها هو في فصل خاص بحفر الخندق حول المدينة يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تعرض للمسلمين صخرة كبيرة عجزوا عن شقها فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول وراح يضربها بقوة ثلاث مرات وفي الثلاث مرات كان هناك شرارات عظيمة أضاءت ظلام المدينة ولما سأله سلمان عن هذه الشرارات والأضواء بشره رسول الله ويبشر المسلمين بثلاث فتوحات عظيمة لبلاد فارس ولبلاد الروم وصنعاء باليمن؛ ولكن عند القمني أن نبوءات الرسول بتلك الفتوحات لم تكن حقيقية ولا صادقة بل كانت محاولة منه للتخفيف عن المسلمين ورفعا لروحهم المعنوية؛ **فيقول القمني**: ثلاثة آلاف كبير وشاب وحدث هي أقصى إمكانات التعبئة العسكرية التي تمكنت يثرب من حشدها، إزاء عشرة آلاف مقاتل يحاصرون مدينتهم، وليس هناك خبر عن إمداد سماوي ولم يأت جبريل وجنده، ومن ثم وقف الرواة مع الحديث البديل عن التعبئة السماوية، مع تفاصيل بها عبر ووعود وهي التفاصيل التي يمكن من خلالها بعض الثغرات فيها المرور إلى حديث الأحاجي والمعجزات ومنها..**(حروب. ج2.ص133)** وذكر رواية الحديث الذي أشرنا إليه؛ **ثم يقول:** حتى الآن والأمر واضح ليس فيه ألغاز، وطبيعي تماما فالرسول صلى الله عليه وسلم يضرب الصخرة

الغليظة بالمعول الحديدي فتقدح شرارا، فيتسائل سلمان ويرد الرسول بالحكمة النبوية عن فتوحات قادمة، في وقت يحتاج فيه الجند إلى تقوية الروح المعنوية وهو في أسوأ حال، وقد أخذ الرعب بهم مع ذلك الحصار الهائل الذي تكتل فيه العرب كتلة رجل واحد ضدهم، وهو الرد الحكيم الكفيل بطمأنة النفوس الجازعة.. ولكن ذلك الحديث الذي قصد منه النبي بحكمته إذهاب الغم عن المؤمنين والكرب تلقفته مع ذلك البرق اللامع روايات تذهب به مع الزيادات التدريجية إلى تجليات كبرى انفلت معها الشرر ليصبح ضوءا مبهرا معلنا وجود قدرات كبري إلى جوار النبي ورجاله..**(حروب. ج2.ص134)**

ثم ينكر القمني المعجزة في أمر الله تعالى للريح العاصفة الباردة في تمزيق شمل الأحزاب؛ **فيقول:** ورغم أن ابن هشام يعلم كيف كانت الخديعة وكيف دبرت ومن دبرها للإيقاع بين الأحزاب وقريظة، فإنه يقول بهدوء المؤمن الواثق: وخذل الله بينهم، وحتى يتضح ذلك التدخل الإلهي الذي يجب أن تظهر له مظاهر واضحة، في أدوات فاعلة تليق بحجم فاعلها.. وهكذا يعود ابن هشام من قوله: وخذل الله بينهم إلى القول بقدرات لله أعظم بكثير من أساليب الخداع الإنساني، فيتابع القول: وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم. مصورا فعل الطبيعة قاصر فقط على الأحزاب..**(حروب. ج2.ص 162)**

وقال عما حدث في الحديبية من إظهار لمعجزات على يد رسول الله عليه السلام: ورغم تأكيد النبي والله أن ما حدث كان أعظم الفتح فإن هناك من شك، وهناك من اعترض، ومن جانبهم رأي كتاب السيرة والأخبار أن يضيفوا للأمر بعض المبهرات من أحاجيهم المعتادة فيروي البيهقي عن البراء: كما مع النبي أربع عشرة مئة، والحديبية بئر فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء ماء منها، فتوضأ ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركها غير بعيد، ثم أنها أصدرتنا نحن وركائبنا. ومعجزة مائية أخرى يرويها لنا الصحابي جابر في حوار له مع شعبة إذ يقول: أتي رسول الله بماء في تور، فوضع يده فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنه العيون، قال: فشربنا ووسعنا وكفانا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا ألفا وخمسمائة.**(حروب. ج2.ص 162)**

ولا أعلم على أي أساس يرد القمني ما جاء في تلك المعجزات؟!

أبعيد تحقيقها على الله؟ أم بعيد جريانها على رسول الله؟ أم ماذا؟

فالروايات صحيحة لم يشكك فيها أي من أهل الرواية والحديث؛ ومثل تلك المعجزات والآيات قد شهدها العشرات من الصحابة العدول والذين تناقلها جمهورهم آباء إلى أبناء إلى أحفاد!؟ فمن نكذّب ولماذا نكذّب؟ وإن كان القمني ينكر رواية ومعه سند يدفعه للتشكك في هذه الرواية فليطرحه ونناقشه فيه ويناقشنا؛ ولكن الرجل ينكر موضوع المعجزات وإمكانية وقوعه من الأساس؛ وذلك بالطبع لكونه مادي!!

12: غزوة بني قريظة

أما عن أحداث غزوة بني قريظة فلها عند القمني وضعا خاص جدا؛ فالرجل يعتبرها سبة وعار على جبين الرسول والمسلمين ما يفتأ أن يكررها ويعيدها ويكررها تارة بعد أخرى في كل مناسبة ومقال؛ مؤكدا على أنها مذبحة وليست غزوة من الغزوات التي اعتاد كتاب السير أن يسموها بها؛ لذا فنريد أن نوضح حقائق واقعية حول تلك الغزوة حتى لا نعود لها مرة أخرى.

أما عن واقعة بني قريظة فهم كانوا ضمن اليهود المحالفين للمسلمين أهل المدينة وكانوا ضمن من دخل تحت صحيفة المدينة أو دستور المدينة كما يحب أن يسميها به العلماء والمفكرين المحدثين، وهي بالفعل أول دستور مكتوب يحكم العلاقة بينه صلى الله عليه وسلم وبين المسلمين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين سائر أهل المدينة من جهة أخرى؛ وإن لم تشمل الصحيفة المسلمين عامة فهي لا تضم إلا المقيمين بالمدينة من أهلها ومن هاجر إليها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبله أو بعده؛ لقوله تعالى: والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. **الأنفال 72**. فقد شملت صحيفة المدينة -أو دستور المدينة- اليهود المقيمين في المدينة من مواطني الدولة وحددت مالهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات: فقد جاء فيها: وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، بني النجار مثل مواليهم وأنفسهم **إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته**..

ولا يقف الأمر عند يهود بني عوف وحدهم بل قررت لباقي قبائل اليهود مثل ما تقرر ليهود بني عوف. وقد وافق جميع من وقعوا على الصحيفة على كل ما جاء بها من بنود؛ والتي من أهمها تحديد شخصية رئيس الدولة وهو محمد رسول الله بنصها على: أن ما اختلف فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد صلى الله عليه وسلم. وبنصها كذلك على أن ما وقع بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار: يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله. وكذلك النص على أنه: لا يخرج منهم أحد (أي من المدينة) إلا بإذن محمد. وبناء على تلك الصحيفة تعايش المسلمون مع اليهود حتى جاء يوم الأحزاب وغزوة الخندق؛ وقد تآمر يهود بني قريظة مع كفار قريش والأحزاب؛ فأرادوا أن يدخل الأحزاب على مسلمي المدينة من جهتهم وهو الأمر الذي لو فلح لهلك كل المسلمين وكل ذرياتهم ولوقع نسائهم في الأسر والرق؛ وهذا الأمر يعتبر من باب الخيانة العظمى والذي لا عقوبة له إلا الموت؛ ولهذا ما أن أفشل الله تعالى تآمرهم وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده؛ حتى جاء جبريل يأمر الرسول بأمر الله أن يتوجه إلى بني قريظة؛ وعلى هذا توجه إليهم رسول الله وحاصرهم؛ وعندها طلب الأوس المسلمين من رسول الله أن يطلق لهم بني قريظة حلفاؤهم القدامى كما أطلق رسول الله يهود بني قينقاع لعبد الله بن أبي بن سلول حلفاؤه؛ ولهذا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أرادوا وحكّم فيهم كبير الأوس سعد بن معاذ ورضي الأوس بما قضى رسول

الله؛ فقضي سعد فيهم بقضاء رسول الله وقضاء الله تعالى بأن يرد عليهم تدبيرهم وتخطيطهم بأن يقتل رجالهم وتسبي ذراريهم ونسائهم؛ وهو العدل لأن هذا ما كان سوف يحدث للمسلمين عندما تآمر يهود بني قريظة مع كفار الأحزاب وأرادوا أن يدخلوهم إلى المدينة من خلال أرضهم وحصونهم. هذا هو أمر بني قريظة لما خانوا عهد الله ورسوله؛ ولكن القمني يريد بهذه الواقعة كما قلنا أن يشوه نظرة العالم إلى المسلمين ورسولهم صلى الله عليه وسلم **فيقول عن غزوة قريظة والتي أسماها في كتابه بمذبحة قريظة:** ويشرح لنا ابن هشام أنه بينما كان الأوس حلفاء قريظة في الجاهلية، فإن الخزرج لذلك السبب كانوا يحملون لقريظة العداوة، ولما كان الخزرج أخوال النبي فقد حبس الأسرى القرظيين لديهم ثم عند **المذبحة** أمرهم هم بإجراء المذبحة.**(حروب. ج2.ص176) أرأيتم** الشخصنة والكذب وتصوير الأمر على أنه مذبحة، لا عقوبة لخائن!! وعلى أنه ثأر للخزرج من بني قريظة لا عن أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.؟!! **يقول القمني:** ثم نعلم من مأثورنا علما جديدا بشأن تلك المذبحة حيث يعلمنا أنها لم تقتصر على الرجال فقط، بل نالت أيضا من الصبية، حيث يقول الطبري مدعما من كل رجال السير والأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أمر بقتل كل من أنبت منهم.. وبعد الانتهاء من شأن المذبحة أتى دور الغنائم والسبايا.. وهي القائمة التي تشي بمدي العدة والعتاد التي كانت في حوزة قريظة، وهو أيضا ما يفصح عن رغبة قريظة في النأي عن الحرب طمعا في مصير نضير وقينقاع للخروج بأرواحهم دون عتادهم وأموالهم.. وتتذكر قريش ما حدث لقريظة ، ذلك الحدث الذي أذهل العرب جميعا وقريشا بخاصة، فأي قتال كان في الجزيرة كان لا يصل إلى إبادة ذلك العدو جميعا، وإبادة قوم بكاملهم..**(حروب. ج2.ص 216) أرأيتم:** إبادة قوم بكاملهم.. مذبحة.. غنائم وسبايا.. رغبة قريظة في النأي عن الحرب.. هذا هو أمر بني قريظة كما يراه القمني؛ متناسيا محاولاتهم الدائبة على التفريق بين الأنصار والمهاجرين، والأنصار أنفسهم والوقيعة بينهم ودس الفتنة في جسد المجتمع الإسلامي ودولته الناشئة؛ متناسيا مكائد اليهود وخيانتهم ونبذهم لعهودهم وكراهيتهم للمسلمين وللإسلام ورسوله؛ متناسيا تحالفهم مع كفار الأحزاب لدحر المسلمين؛ وكأنهم لو سمحوا للأحزاب بدخول المدينة من جانبهم كانوا سيربتون على المسلمين ويكرمون نسائهم ويرحمون أطفالهم ويحافظون على أموالهم؟!!! وكأنهم ما أتوا إلى المدينة بهذا العدد الكبير وتلك العدة الهائلة لقتل الرسول ومن آمن معه ومن آواهم من أنصار المدينة!!!

13: المسلمون واغتصاب الخيبريات

كعادته القمني يريد أن يبرز الرسول ومن آمن معه على أنهم عصابة وقاطعي طرق؛ لا والجديد يظهرهم في مظهر المغتصب لحرمات النساء؛ **يقول القمني عما وقع في فتح خيبر:** انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله عز وجل خيبر، وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم، هذه خيبر. **يقول القمني:** وهو الأمر الذي يفصح عن معرفة القائد بدواخل رجاله، وضرورة الإسراع بما يعوضهم بغنائم فورية، عوضا عن أملهم الطموح في ثروات مكة العظمي..**(حروب. ج2.ص275)** أرأيتم: يعوضهم بغنائم فورية عوضا عن أملهم الطموح في ثروات مكة؟!! وكأن المسلمون لم يكونوا يحاربوا في سبيل الله وفي سبيل نشر دينه؟!! لا بل طمعا في الثروات والمغانم فقط!! **ثم يثني القمني:** ويؤكد لنا رواة السير والأخبار جميعا أن غزوة خيبر قد فشي فيها إتيان المسلمين لنساء يهود على ملأ، ففشت السبايا الخيبريات في المسلمين، إلى الحد الذي دفع النبي لوقف اغتصاب النساء الحبالى، يناشد رجاله بندائه الراقي الرحيم: لا يحل لامرئ أن يسقي ماءه زرع غيره.**(حروب. ج2. ص265) أسمعتم:** قد فشى فيها إتيان المسلمين لنساء يهود على ملأ.. إلى الحد الذي دفع النبي لوقف اغتصاب النساء الحبالى!! المسلمون يواقعون الخيبريات على الملأ وأمام أعين الناس!! ومن أين أتى بهذا الخبر الذي تؤكده رواة السيرة والأخبار جميعا؟!! وهذا الحديث لم يقل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر بل قاله في حنين؛ **قال الشيخ الألباني:** عن رويفع بن ثابت الأنصاري قال قام فينا خطيبا قال: أما إني لا أقول لكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **يوم حنين؛** قال: لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره -يعني إتيان الحبالى-، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم. **هذا عن الصحابة؛ فما موقف الرسول ألم يغتصب هو أيضا واستحل فروج لا تحل له؟ يقول القمني:** ومن الجدير بالذكر أن الرواة اختلفوا في أمر صفية، هل ظلت محظية ضمن جواري الرسول أم تزوجها لتصبح من أمهات المؤمنين؟ خاصة أنه بنى بها ولم تكتمل عدتها، لكن تميل الأغلبية إلى أنه أعتقها وتزوجها..**(حروب. ج2.ص270) يقول المخزي:** خاصة وأنه بني بها ولم تكتمل عدتها!!!! **ويقول ابن كثير:** ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت في حوزه وملكه كما سيأتي، وبنى بها بعد استبرائها وحلها.

14: أخيرا موت الرسول والمؤامرة الكبرى

كالطامة الكبرى يختم القمني كتابه بسرد رواية أحد كبار الشيعة وهو شرف الدين الموسوي؛ **يقول القمني:** وهنا ننقل مجرد نقل دون أي انحياز، من الشيخ شرف الدين الموسوي رؤيته لما يحدث في تلك الساعات الفاصلة من الزمان، فيقول بشأن أبي بكر وعمر وسائر القوم: وقد تعلم أنهم إنما تثاقلوا عن السير أولا وتخلفوا عن الجيش أخيرا، ليحكموا قواعد ساستهم، ويقيموا عمدها ترجيحا منهم لذلك على التعبد بالنص، حيث رأوه أولى بالمحافظة وأحق بالرعاية، إذ لا يفوت البعث بتثاقلهم عن السير، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش، **أما الخلافة** فإنها تنصرف عنهم لا محالة إذا انصرفوا إلى الغزوة قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، وكان بأبي وأمي **أراد أن تخلو منهم العاصمة، فيصفو الأمر بعده لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب على سكون وطمأنينة، فإذا رجعوا وقد أبرم عهد الخلافة وأحكم لعلى عقدها كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد.. لكنهم فطنوا -أي أبو بكر وعمر-** إلى ما دبر صلى الله عليه وسلم فطعنوا في تأمير أسامة، وتثاقلوا عن السير معه فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي بربه.**(حروب. ج2. ص427-428) ويستطرد القمني:** ويستمر الشيخ شرف الدين في قراءته لتلك السويعات الفاصلة في تاريخ الدنيا، ليرى أن استبعاد أبي بكر وعمر لم يفلح، وعادا للمدينة والرسول في النزع الأخير ومعه علي بن أبي طالب..**(حروب. ج2.ص430) أرأيتم أيها المسلمون إلى تلك المؤامرة التي كان ينسجها الرسول صلى الله عليه وسلم** وهو على فراش الموت؟!!! كان يريد أن ينقل الملك والخلافة إلى ابن عمه الهاشمي علي بن أبي طالب؛ فأراد أن يبعد أكبر منافسان عن دائرة الخلافة؛ أي أبو بكر وعمر؛ واللذان فطنا إلى تلك المؤامرة الساذجة فأبيا الإنصراف مع حملة أسامة بن زيد؛ سبحان الله يا أيها القمني يا من تزعم العلمية والمنهجية وأنت أبعد الناس عن هذا؛ فعلمك ومنهجيتك لم يجدا إلا تلك الرواية المسمومة لتنهي بها كتابك المسموم فبان عليك كذبك وافترائك وكأن هذا هو ما تنادي إليه طوال هذا الكتاب: محمد والحزب الهاشمي الجزء الثاني؛ وفعلت كل ما فعلت لتؤكد على أسطورتك المسماة بالحزب الهاشمي فحتى لا يطعن عليك بأن لو كانت تلك النظرية الخيالية لها أي نصيب من الواقع والحقيقة لكان جهاد الرسول في تحقيق أحلام جده عبد المطلب -مؤسس الحزب- لابد وأن ينتهي بتسليم الملك والخلافة إلى هاشمي ولا أنسب لديك من علي بن أبي طالب؛ فنقلت تلك الرواية المكذوبة عن رافضي لتؤكد مسعاك الذي كنت تسعى.. **فاسمع أيها القمني أنت ومصدرك إلى قول كارين آرمسترونج الراهبة المسيحية السابقة والملحدة الحالية وهي تسجل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابها سيرة النبي محمد:** وفي الثاني عشر من ربيع الأول الموافق الخامس من يونيو عام 632 م لاحظ أبو بكر أن انتباه المصلين مشتت وأنهم كانوا يواجهون أنظارهم صوب مدخل المسجد. وعرف لتوه أن محمد لابد وأنه

أتى.. وبدا محمد وقد تحسن كثيرا.. وسرت في أنحاء المسجد موجة فرح وارتياح، وفور ذلك استعد أبو بكر لإفساح مكان له لكن محمدا وضع يديه على كتفيه ودفعه بلطف إلى مكانة على رأس المصلين وجلس بجانبه حتى انتهت الصلاة. وبعد ذلك توجه إلى مسكن عائشة ورقد في سكون ورأسه في حجرها، وبدا تحسنه مرموقا لدرجة جعلت أبا بكر يستأذنه في الذهاب لزيارة زوجته الجديدة التي كان قد تزوجها مؤخرا وكانت مازالت تقطن في الجانب الآخر من المدينة. وأثناء العصر زاره العباس وعلى، وأذاعا أخبار تحسن صحة النبي.. لكن سرعان ما لاحظت عائشة أن ثقله على حجرها قد ازداد وبدا وكأنه يفقد الوعي. ولكنها كانت بعد لا تدري ما حدث. وكما قالت فيما بعد: مات الرسول بين سحري ونحري وفي دولتي، لم أظلم فيه أحدا، فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله قبض وهو في حجري. وسمعته يتمتم قائلا: بل الرفيق الأعلى من الجنة. ثم اكتشفت أنه قد أسلم الروح.. وحينما سمع القوم ولولة النساء أسرعوا شاحبي الوجوه إلى المسجد؛ وسرت الأنباء سريعا في الواحة وأسرع أبو بكر عائدا إلى المدينة. ودخل عليه ونظر إلى وجهه وودعه، وبعد ذلك خرج حيث وجد عمر يخطب في الجموع ورفض عمر تصديق وفاة النبي رفضا مطلقا، وقال إن روحه قد تركت جسدة مؤقتا وأنه لا محالة عائد إلى قومه، وأنه أيضا سيكون آخر من يموت منهم. ولابد أنه كانت هناك مسحة هستيرية في كلام عمر القسري، ولك لأن أبا بكر تمتم قائلا: على رسلك يا عمر، أنصت. وكان كل ما بوسع أبي بكر فعله هو أن يخطوا إلى الأمام. ولابد أن تعبير وجهه وتماسكه أثرا في الناس، لأنهم تركوا الاستماع لتقريع عمر والتفوا حوله. وذكرهم أبو بكر أن محمدا قد كرس كل حياته إلى الوحدة الإلهية؛ كما أن القرآن قد حذرهم تكرار من إسباغ أي منزلة إلهية على مخلوق. وكان محمد أيضا يحذرهم دائما من إسباغ التبجيل عليه كذلك الذي يسبغه المسيحيون على عيسي، لأنه إنسان مثلهم. كما أن رفضهم الأعتراف بموت محمد هو إنكار للحقيقة الجوهرية لمحمد. لكن طالما بقى المسلمون مخلصين للاعتقاد بأن الله وحده هوالجدير بالعبادة، وأن محمد سيبقى. ثم اختتم قائلا: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم.. وتركت تلك الآيات أعمق الأثر في الناس حتى كأنهم لم يسمعوها من قبل. وأصاب عمر الارتباك التام حتى إنه قال: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله قد مات. **واسمع أيها القمني أنت ومرجعك الشيعي إلى قول الأستاذ العقاد في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه عبقرية الصديق:** وتوفي النبي عليه السلام وليس في أصحابه الأقربين من كان يتوقع وفاته، فتركه أبو بكر بعد الصلاة وهو يقول: يا نبي الله! إني قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب، واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها؟ فأذن له النبي في الإنصراف: وخرج أبو كبر إلى السنح حيث كان

يقيم. أما عمر فقد دهش لنعي النبي تلك الدهشة التي لم يكن لها على أهبة، ولو كان على أهبة لها لقد كان الأحري أن يؤكد وفاته ولا يستغربها، تمهيدا لذلك الاتفاق المزعوم الذي سيتلوها. وبلغ أبا بكر وعمر أن الأنصار مجتمعون في سقيفة بني ساعدة لاختيار الخليفة منهم فخرجا إلى السقيفة على غير اتفاق بينهما أيهما الذي يخاطب القوم.. فلا نحسب أن محمدا عليه السلام دل بعمله وقوله ومضامين رأيه على شيء واضح مصر كما دل على هذه الرغبة القوية، ولا ظهر منه الحرص على شيء كما ظهر حرصه على تنزيه النبوة من مطامع السيادة الدنيوية ومفاخر العصبيات.. فأبغض شيء كان إلى نفسه الكريمة قول من كانوا يقولون: إن النبوة تمهيد لدولة هاشمية أو وراثة دنيوية. ولهذا أثر عنه أنه لم يول أحدا من قرابته ولاية أو عمالة في مكة والمدينة أو في غيرهما. بل لهذا أصهر إلى أبي سفيان، واتخذ معاوية كاتبا للوحي، وأمر يوم فتح مكة مناديا ينادى في الناس: من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ليمحو من نفوس بني أمية حزازة العصبية بينهم وبين بني هاشم، ولا يدع في سرائرهم مجالا للظن بأنها غلبة أسرة على أسرة، أو بطن من قريش على سائر بطونها.

أعتقد أن قول الأستاذ العقاد وما جرى في حقيقة الأمر يكذب قول القمني كل تكذيب؛ ويبين بما لا يدع مجالا لأي شك أن القمني مدلس.. مزور.. غاش لنفسه ولبني جلدته المسلمين؛ والحمد لله رب العالمين..

تم

مراجع كتاب الرد المتأني

القرآن الكريم
كتب الحديث الشريف
عبقرية محمد عباس العقاد 1984م دار الكتاب اللبناني
عبقرية الصديق عباس العقاد 1984م دار الكتاب اللبناني
عمرو بن العاص عباس العقاد دار النهضة مصر
طوالع البعثة المحمدية عباس العقاد دار نهضة مصر
نوادر التراث أسرار ترتيب القرآن جلال الدين السيوطي دار الفضيلة للنشر والتوزيع
أهل الدين والديمقراطية سيد القمني الطبعة الأولى 2005م دار مصر المحروسة
السؤال الآخر سيد القمني الطبعة الأولى 1998م روز إليوسف
حروب دولة الرسول سيد القمني الطبعة الثانية مدبولي الصغير القاهرة
الأسطورة والتراث السيد القمني الطبعة الثالثة 1999م المركز المصري لبحوث الحضارة
الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية سيد القمني الطبعة الثالثة مدبولي الصغير
الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم الظاهري 2003م المكتبة التوفيقية
جوامع السيرة ابن حزم الظاهري
الإحكام في أصول الأحكام ابن حزم الظاهري 1404هـ دار الحديث القاهرة
بعض من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم مع تحليل لنظريات التطور. تأليف د. محمد برباب
تفسير القرآن العظيم ابن كثير
السيرة النبوية ابن كثير- تحقيق مصطفى عبد الواحد- دار المعرفة- 1976م- بيروت
البداية والنهاية ابن كثير تحقيق على شيرى دار احياء التراث العربي
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على الطبعة الثانية 1993م جامعة دمشق
العلمانيون ومركسة الإسلام منصور أبو شافعي الطبعة الأولى 2010 الناشر مكتبة النافذة
أنساب الأشراف البلاذري دار المعارف القاهرة
الروض الأنف أبو القاسم السهلي الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي بيروت
الكامل في التاريخ ابن الأثير. تحقيق عبد الله القاضي- ط2- 1415هـ دار الكتب العلمية بيروت
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ابن سيد الناس
طلع البدر علينا أنيس منصور الطبعة الأولى 1984م دار الشروق
مجموع فتاوى ابن تيمية
الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر
سيرة النبي محمد كارين آرمسترونج الطبعة الثانية 1998 دار اللواء للطباعة
السيرة النبوية ابن هشام دار المنار القاهرة

فهرس كتاب الرد المتأني